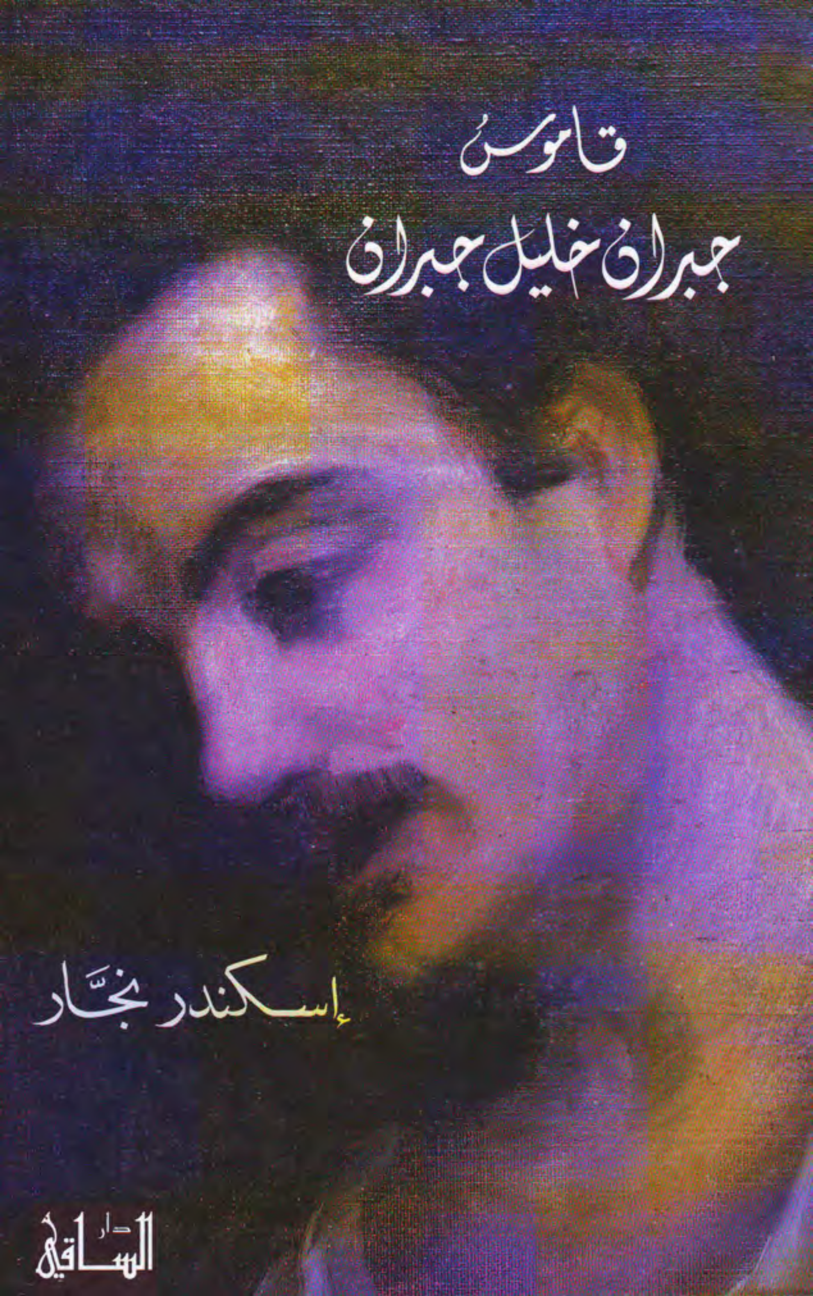

قاموس
جبران خليل جبران
إسكندر نجّار
دار الساقي

إسكندر نجَّار

قاموس
جبران خليل جبران

ترجمة ماري طوق



«Dictionnaire Gibran», *Œuvres complètes* de Khalil Gibran
Collection Bouquins
Éditions Robert Laffont

الطبعة العربية

الطبعة الأولى ٢٠٠٨

ISBN 978-1-85516-279-2

دار الساقي
بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ ـ ٢٠٣٣
هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٧٣٧٢٥٦ (٠١)
e-mail: alsaqi@cyberia.net.lb

مقدّمة

صدرت عن جبران كتبٌ ومقالات وأبحاث، لكن لم يُفرد له في اللّغة العربية، قاموس يتيح لنا التعرّف إلى أبرز العناصر المكوّنة لمشهديه الإنساني والإبداعي.

انطلقنا في قاموسنا هذا من الترتيب الأبجدي لما رأيناه أساسيّاً في العالم الجبراني. فهو إذاً ليس قاموساً مصطلحيّاً حصريّاً للموضوعات أو السيرة أو المفاهيم الخاصّة بالكاتب أو معانيه الملغزة، بل قاموس انتقائي يتطرّق إلى كلّ هذه الأمور، وقد أرفقناه في معظم الأحيان برسوم وصور فوتوغرافية تجعل الوجوه أكثر إلفة وبرسائل ووثائق نادرة أو غير منشورة من قبل، وتُلقي أضواء على شخصيّة جبران الملتبسة، خصوصاً أنّه كان كاتب رسائل لا يكلّ. وتوخّينا أن نجرّد سيرته ونجلو غوامضها، ما أمكن، لدى تناول موادّها المتعدّدة، بدءاً بولادته وهجراته وعلاقاته العاطفية وصداقاته وانتهاء بوفاته ووصيّته، وسعينا إلى تعريتها من كل ما لُفّق حولها من مزاعم وحِيك من روايات زائفة أو مغلوط فيها. ويتطرّق أيضاً هذا القاموس إلى تبيان تأثّرات جبران والمصادر التي نهل منها سواء أاتّجاهات فنّية كانت أم عقائدية أم دينية أم أدباء معيّنين: يسوع، نيتشه، وليم بلايك، التصوّف الإسلامي، التيوصوفيّة، . . . كما يستعرض آثاره ومؤلّفاته مبرزاً أهمّ الموضوعات التي كانت ركائز البناء الجبراني: التقمّص، العود الأبدي، الذات المجنّحة، وحدة الوجود، . . . والأمكنة التي سكنها أو سكنته، فكانت إمّا منطلقاً لخياله ووجدانه وملهمة لهما وإمّا لسعيه الفنّي وشهرته العالمية: بشرّي، بوسطن، باريس، نيويورك. . . ومختلف الحقب والمراحل التي ميّزت حياته،

والنساء اللواتي وسمنها: كاملة رحمة، جوزفين بيبودي، ماري هاسكل، . . . والمفردات التي اكتسبت تحت ريشته هالة طقسية أو مدلولاً رمزيّاً: الغاب، الضباب، العواصف، البحر، . . . ومختلف المواد المتعلّقة بجبران الرسّام.

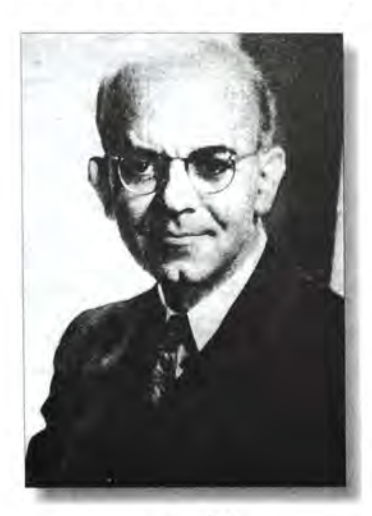
ولأنّ جبران من تلك الشخصيّات التي تستدعي حياتها تفسيراً وشرحاً وفتحاً متواصلاً لأبوابها المقفلة، بمقدار ما تستدعي مؤلفاتها، ومع ما يمثّله من أهمية تزداد ثباتاً وانتشاراً، خصوصاً وأن كاتب «النبي» بات مرجعاً من مراجع الحكمة في الأدب العالمي، يقترح هذا القاموس إطلالة على عالم جبران أو مدخلاً للتعرّف إليه.

إ. ن.



أبو ماضي، إيليا (١٨٨٩-١٩٥٧)

شاعر لبناني من أدباء المهجر. ولد في لبنان نحو عام ١٨٩١ في قرية المحيدثة وتوفي في نيويورك عام ١٩٥٧. سافر في سن الحادية عشرة إلى مصر، وأقام عند عمّه في الاسكندرية وتعاطى التجارة بإنشائه محلاً لبيع السجائر. راح يستغلّ أوقات فراغه في المطالعة ونظم الشعر. قرأ أنطون الجميّل، صاحب مجلّة



إيليا أبو ماضي

الزهور، شعره مصادفةً، فأعجب به ونشره في المجلّة. أخرج الشاعر الناشئ قصائده في ديوان **التذكار**. ثمّ هاجر سنة ١٩١١ إلى الولايات المتحدة واستقرّ في نيويورك. حرّر في بضع مجلاّت إحداها **مرآة الغرب**، وهناك تعرّف إلى جبران وانضمّ إلى الرابطة القلمية. أصدر مجموعته الشعرية الثانية **ديوان إيليا أبو ماضي**، في نيويورك عام ١٩١٨. أصدر مجلّة **السمير**. ثم صدرت مجموعته الشعرية الثالثة **الجداول** في نيويورك عام ١٩٢٧. أخذ الشاعر يتحرّر من التقليد الذي طبع مرحلة نشوئه ليشقّ طريقه إلى التجديد والأسلوب المتميّز الذي طبع أعماله اللاحقة. ففي مقدّمة **الجداول** تعريف جديد للشعر:

«لست منّي إن حسبت الشعر ألفاظاً ووزنا

خالفت دربك دربي وانقضى ما كان منّا».

قدّم جبران لـ **ديوان إيليا أبو ماضي** ولـ **الجداول** حيث يقول في مقدّمته للجزء الثاني من **ديوان إيليا أبو ماضي** عن الشاعر: «يصعد إلى الملأ الأعلى ولكن على سلّم أبقى وأقوى من الجبال، يصعد بعزم الروح ويتمسّك بحبال غير منظورة ولكنّها أمتن من سلاسل الحديد، يتمسّك بحبال الفكر، ويملأ كأسه من عصير أرقّ من ندى الفجر يملأها من خمرة الخيال...».

◀ راجع: الرابطة القلمية.

أجنحة

استوحى جبران من الصوفية فكرة «الذات المجنّحة» وصورة الجناحين اللذين يتردّدان في كتاباته وفي رسومه . ولعلّ مصدرهما نصّ لجلال الدين الرومي الذي يسأل كيف للنفس ألاّ تغدو طليقة عندما تتناهى إليها حضرة الجلال بنبرة العطف العذبة كالشهد قائلة: «ارتقي يا نفس وحلّقي، حلّقي نحو موطنك، فها أنت طليقة من قيدك، باسطة جناحيك. ابتعدي عن المياه الراكدة واهرعي إلى نبع الحياة».

الأجنحة رمز الطيران والتجرّد من المادّة وانعتاق النفس والفكر. إنّها التعبير عن الارتقاء باتّجاه الإلٰهي والاندفاعة التي تجعل الإنسان يتجاوز حدود وجوده.



الأجنحة في رسم من رسوم جبران (١٩١٨)

عام ١٩١٢، أصدر جبران **الأجنحة المتكسّرة** بالعربية. وفي رسالة غير منشورة أرسلها جبران في ١٤ أبريل/نيسان ١٩٢٥ إلى الشاعر ويتر باينر Witter Bynner، يرسم أفعى مجنّحة («الأفعى المجنّحة عنوان لافت حقّاً، كتب جبران إلى باينر، وأودّ أن أزيّن بها غلاف كتابك إذا كنت ستختاره، فهذا رسم جميل فعلاً»).

وفي رسالة إلى ماريتا لاوسن في ٢٦ مايو/أيّار ١٩٢٠، يشير جبران إلى أنّ «البشريّة كسرت أجنحة الشعراء...».

◄ راجع أيضاً **الأجنحة المتكسّرة**؛ الصوفية.

الأجنحة المتكسّرة

عام ١٩١٢، أصدر جبران **الأجنحة المتكسّرة** بالعربية عن دار «مرآة الغرب» في نيويورك. وكان باشر كتابة روايته الوحيدة ثم أضاف إليها فصلين خلال إقامته

في فرنسا ونقّحها خلال صيف ١٩١١. هذا الكتاب أكثر أعمال جبران رومانسية، ويدين بعنوانه على الأرجح إلى حوار جرى بين الكاتب ووالدته قبل وفاتها بتسعة أشهر.

قالت له أمّه:

ـ لو لم تولد لبقيت ملاكاً في السماء.

فأجاب جبران:

ـ لم أزل ملاكاً.

ـ وأين هي أجنحتك؟

فوضع جبران يد أمّه على كتفه وقال: «ها هي، متكسّرة[١]». أمّا جون جبران فرأت أنّ العنوان مستوحى من بيت شعر ورد في مسرحيّة من فصل واحد كتبتها جوزفين بيبودي صديقة جبران بعنوان The Wings (**الأجنحة**) («أشفق عليّ يا رب وقوِّ من عزيمة جميع الأجنحة المتكسّرة!»).

تروي **الأجنحة المتكسّرة** قصّة حبّ مستحيل بين الراوي، وهو شاب مثالي النزعة في مقتبل العمر، وسلمى كرامة، فتاة من بلدته زُوّجت قسراً، عقب ضغوط مارسها على والديها مطران البلدة، من ابن شقيقه وهو رجل غير مستقيم، طامع بثروتها. بعد الزواج تتواصل اللقاءات بين الراوي وسلمى في الخفاء. تحبل سلمى وتضع مولوداً ميتاً، قبل أن تفارق الحياة هي أيضاً. ينطوي هذا العمل، وهو أحد الأعمال الروائية الأولى في الأدب العربي الذي لطالما طغى عليه الشعر، على البذور الأولى لما ستؤول إليه أفكار جبران وأسلوبه.

على صعيد الشكل، يلاحظ القارئ أنّ الحبكة الرومانسية تطغى عليها الأفكار والاستطرادات التأمّلية، وأنّ القصّة ليست أكثر من ذريعة تتيح للمؤلف صوغ الأفكار المعتملة في صدره: رفض التقاليد البالية التي تقيّد المرأة الشرقية، انتقاد السلوك الإقطاعي لرجال الدين، ممثّلين بالمطران، إلى موضوعات أخرى

(١) رسالة إلى مي زيادة، ٢٨ يناير/كانون الثاني ١٩٢٠، منشورة في **الشعلة الزرقاء**، دار النهار للنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤.



غلاف «الأجنحة المتكسرة» لجبران

كالكآبة والموت والجمال والثورة والحبّ والأمومة والطبيعة. . . يكتب جبران في مقاربته وحدة الوجود، وهي متكرّرة في أعماله: «أنّ حياة الإنسان لا تبتدئ في الرحم كما أنّها لا تنتهي أمام القبر، وهذا الفضاء الوسيع المملوء بأشعّة القمر والكواكب لا يخلو من الأرواح المتعانقة بالمحبّة والنفوس المتضامنة بالتفاهم». وعلى غرار روسو الذي يستحسن أفكاره، يؤكّد أنّ «الإنسان، وإن ولد حرّاً، يظلّ عبداً لقساوة الشرائع التي سنّها آباؤه وأجداده»، ويحتفي بالجمال المتناغم وطهارة الطبيعة التي يرى أنّها تتعارض مع فساد البشر. وفي علاقته مع ماري هاسكل، يقول عن الحبّ: «ما أجهل الناس الذين يتوهَّمون أنّ المحبّة تتولّد بالمعاشرة الطويلة والمرافقة المستمرّة. إنّ المحبّة الحقيقية هي ابنة التفاهم الرّوحي. . .». ويتطرّق أخيراً إلى موضوع الموت، فيقول على لسان والد سلمى المحتضر: «أيّام العبودية قد مضت فطلبت روحي حرّية الفضاء». غير أنّ الروائي لا ينجح دوماً في الاحتجاب وراء شخصيّاته، فعندما تقول سلمى «إنّ ظمأ الروح

أعظم من ارتواء المادّة، وخوف النفس أحبّ من طمأنينة الجسد،» إنّما تتكلّم بلسان جبران. وما يشفع لـ **الأجنحة المتكسّرة** على المستوى الشكليّ هو النَّفَس الشعري الذي يبثّ الحياة في مجمل النصّ. فأشكال المجاز والرموز الماثلة حتى في عناوين الفصول تثير باستمرار خيال القارئ، عدا أنّ وتيرة الجمل موقّعة بحيث يخيّل إليه أنّه أمام قصيدة نثر وهي نوع من الشعر كان جبران سبّاقاً إليه في الأدب العربي.

ويرى بعضهم أنّ **الأجنحة المتكسّرة** تندرج في باب السيرة الذاتية، وأنّ سلمى كرامة صورة حلا الضاهر أو سلطانة تابت. لكن ماري هاسكل نقضت في يوميّاتها هذه النظرية، ويظهر أنّ جبران أسرّ لها: «لا علاقة لأيّ من التجارب الموصوفة في هذا الكتاب بحياتي. ولا تمتّ أيّ شخصية من الشخصيّات التي رسمتها بصلة لأيّ إنسان عرفته. إنّ الطبائع والأحداث هي من وحي خيالي فقط». أمّا بربارة يونغ فتذهب إلى أبعد من هذا في رسالة غير منشورة وجّهتها إلى السيّد سميث (مسؤول في دار كنوبف للنشر) في ٢٢ يوليو/تموز ١٩٤٥، وممّا جاء فيها:

«كان جبران منزعجاً من إصرار بني شعبه اللبنانيين والسوريين على اعتبار هذه القصّة سيرة ذاتية وليست قصّة من وحي خياله الشاعري. وهذا ما نفاه جبران قطعاً (. . .) لا يمكن أحداً يتمتّع بحسّ سليم أن يزعم بأنّ هذا الكتاب سيرة ذاتية. كيف أمكنه أن يتخيّل أنّ جبران قادر على أن يكتب بهذا الإسهاب والصراحة عن تجربة شخصية مشابهة وهو أكثر الناس تكتّماً! كان من المستحيل بالنسبة إليه الكشف عن علاقة إنسانية حميمة».

عقب وفاة جبران، سعت دار كنوبف للنشر، يحدوها النجاح الذي لاقاه كتاب **النبيّ**، إلى نشر الترجمة الإنكليزيّة التي أنجزها أنطوني ر. فارس (أستاذ في بريفلايت سكول، في ماكسويل فيلد - ولاية ألاباما) وم. سعد. لكن هذه المبادرة اصطدمت برفض بربارة يونغ فوجّهت إلى الناشر الرسالة المذكورة آنفاً لكي تشرح فيها السبب الكامن وراء عدم وجوب نشر هذه الترجمة: «أجدني عاجزة عن التعبير بدقّة عمّا أحسّ به حيال هذه المسألة الشائكة والدقيقة المتعلّقة

بمخطوطة **الأجنحة المتكسّرة** المترجمة من العربية، والتي أرسلتموها لي يوم الجمعة الفائت. سأبذل جهدي لأكون واضحة في موقفي وصريحة لأنّني أخشى أن نكون في مأزق (. . .) كانت هناك نسخة في الستوديو عن الكتاب مترجمة إلى الإنكليزية ولكنّه (أي جبران) لم يكن يرغب في أن أقرأها لأنّه كان يعتبرها «رواية تافهة». وقال لي إنّه إذا كان لا بدّ من ترجمة الكتاب إلى الإنكليزية يوماً (وهذا الأمر لم يكن يشجّعه) لوجب عندئذ إعادة صوغه كاملاً. وهو مزّق هذه النسخة، حسب ما أذكر (. . .) لو كان جبران حيّاً لقال، كما كان يفعل دوماً حين يرى أنّ السطر الذي كتبه أدنى مرتبة من الكمال: «لن يطبع هذا السطر إلاّ على جثّتي.» وأعتقد، والحالة هذه، أنّه لا يحقّ لنا أن ننشر أسطراً كثيرة على جثّته.

«وفي الكتاب اتّهامات ومزاعم مناهضة للكنيسة ورجال الدين تعكس أفكاره خلال فترة شبابه الثائر. لكنّ الحياة علّمته أنّ مثل هذه الحملات على النظام السائد غير مجدية. كان جبران آخر من يرغب في زرع بذور الشقاق في عالمنا اليوم.

أرى أنّ هذا النصّ ثمرة جهود بذلها شابّ موهوب في نهاية مرحلة المراهقة، ويحاول أن يكتب قصّته الرومانسية الأولى ويضمّنها انفعالاته المضطربة وهو لا يزال غير قادر على التحكّم بتعبيره عن تلك المشاعر أو ضبطها كما فعل في أعماله اللاحقة.

ليس مهمّاً أن تُنشر الأعمال التي كتبها مؤلّف عظيم والتي تعبّر عن انفعال اعتراه في بداية شبابه الطائش بدون أن يتسنّى له إعادة النظر فيها مجدّداً وإلاّ نكون أسأنا إلى تراث هذا المؤلّف ومكانته. . . هل بإمكانك أن تتصوّر، ولو لحظة واحدة، ما سيؤول إليه موقف النقّاد والباحثين من **الأجنحة المتكسّرة**؟ بوسعي أن أجزم بأنّ نقدهم سيكون مصيباً إلى حدّ ما. وهنا تكمن المشكلة!».

لكنّ موقف بربارة يونغ غير المبرّر، والمستند إلى دوافع ذاتيّة، لم يحل دون صدور الكتاب بترجمته الإنكليزية عام ١٩٧٥ لدى دار نشر أخرى!

◀ راجع أيضاً أجنحة؛ سلطانة تابت؛ بربارة يونغ.

إرم ذات العماد

ورد ذكر «إرم ذات العماد» في **القرآن الكريم**، وكذلك في **ألف ليلة وليلة** التي تحمل إحدى قصصها هذا العنوان. إنّها مدينة خرافية، ضائعة بين الرمال وحافلة بالعجائب، سكنها شعب غامض هو قوم عاد، انقرضوا قبل زمن طويل. ومنذ ذلك الحين، حرسها الجنّ، جنّ الصحراء...

«وإذا صودف واهتدى المسافرون إلى المدينة وجدوها غير مأهولة وكانت لهم الحرّية في الاستيلاء على الكنوز التي يعثرون عليها[1]».

«إرم ذات العماد»، هو أحد نصوص **البدائع والطرائف**، وهو تمثيليّة من فصل واحد تسرد قصّة كاتب شاب اسمه نجيب رحمة يسافر بحثاً عن آمنة العلوية «جنيّة الأودية» لكي يسألها عن المدينة الأسطورية «إرم» التي زارتها. فتعلم آمنة نجيب أنّه يحمل في داخله الخلق بأسره وأن لا شيء يفنى على الإطلاق، مشدّدة على أهمّية الإيمان والخيال بوصفهما مكمّلين للملكات العقلية: «كل مكان وزمان حالة روحيّة. وكل المرئيّات والمعقولات حالات روحيّة. فإن أغمضت عينيك ونظرت في أعماق أعماقك، رأيت العالم بكلّياته وجزئيّاته (...) كلّ ما في الوجود كائن في باطنك. وكل ما في باطنك موجود في الوجود (...) ففي قطرة الماء جميع أسرار البحار. وفي ذرة واحدة جميع عناصر الأرض (...) إنّما الإيمان بالشيء المعرفة بالشيء. والمؤمن يرى ببصيرته الروحية ما لا يراه الباحثون والمنقّبون بعيون رؤوسهم، ويدرك بفكرته الباطنة ما لا يستطيعون إدراكه بفكرتهم المقتبسة. المؤمن يختبر الحقائق القدسيّة بحواس تختلف عن الحواسّ التي يستخدمها الناس كافّة...».

يكوّن هذا الكتاب منعطفاً في أدب جبران الذي، بعد أن أعلن ثنائيّة الجسد والروح في **لعازر ومحبوبته**، يؤكّد ههنا وحدتهما: «ولدت ثانية عندما وقع

---

(١) Alberto Manguel, *Dictionnaire des lieux imaginaires*, Arles, Actes sud, 1998, p. 210.

جسدي بحبّ نفسي وتزوجا معاً.» هذه الوحدة تمهّد لوحدة الذات الممسوخة بالذات الإلٰهية التي ستصبح من الآن فصاعداً توق جبران الروحي المقتنع بوجود كلٍّ مطلق، المكان الوحيد الذي يمكن أن يكون الإنسان فعلاً ذاته.

◄ راجع أيضاً **البدائع والطرائف**.

الأرواح المتمّردة

قبل سفره إلى باريس، أصدر جبران عام ١٩٠٨ لدى منشورات **المهاجر** كتابه الثالث بالعربية **الأرواح المتمرّدة** وهو من أربع قصص واقعيّة تدور أحداثها في لبنان، عبَّر فيها عن ثورته على أساليب الاضطهاد التي يمارسها الإقطاعيّون ورجال الدين ورجال القانون وفضح بشدّة خضوع العالم الشرقي للتقاليد البالية.

القصّة الأولى «وردة الهاني» وثيقة اتّهام ضدّ الزواج القسري. قصّة «صراخ القبور» جعلها صدى لثلاثة نداءات تطلقها شخصيّات محكوم عليها بالإعدام ظلماً: شاب يقتل قائداً من قادة الأمير في حالة من الدفاع المشروع عن النفس، وامرأة زانية، وخادم عجوز. «مضجع العروس» تروي القصّة الحقيقية لفتاة مخطوبة وحبيبها، جعلا ضحيّتين على مذبح التقاليد الاجتماعية والأعراف ويجري دفنهما على نحو لائق على الرغم من سباب الكاهن الذي لعنهما. أمّا قصّة «خليل الكافر» فهي قصّة راهب شاب يطرد من الدير فتستقبله أمّ وابنتها. وبعد وشاية يمثل الشاب أمام محكمة. وخلافاً لما هو متوقّع، تنقلب مجريات المحاكمة لتغدو لمصلحته. فيسخر من قضاته ويبثّ روح التمرّد في أوساط القرويين. وفي أحد المقاطع المفردة للحرّية، يقول جبران: «لحفظ عروشهم وطمأنينة قلوبهم قد سلّحوا الدرزيّ لمقاتلة العربيّ، وحمّسوا الشيعّي لمصارعة السُنّيّ، ونشّطوا الكرديّ لذبح البدويّ، وشجّعوا الأحمديّ لمنازعة المسيحيّ. فحتّى متى يصرع الأخ أخاه على صدر الأمّ (..) وإِلامَ يتباعد الصليب عن الهلال أمام عين اللّه؟ اِصغي أيّتها الحرّية واسمعينا! (...) بدّدي بعزمك هذه الغيوم السوداء وانزلي

كالصاعقة واهدمي كالمنجنيق قوائم العروش المرفوعة على العظام والجماجم المصفّحة بذهب الجزية والرشوة المغمورة بالدماء والدموع.»

بعد ذلك بأعوام، كتب جبران في رسالة إلى ماري هاسكل: «يسمّونني حفّار القبور. يعتقدون أنّني حاقد وهدّام. ولكنّهم لا يعلمون أنّ البناء يقتضي الهدم أوّلاً... إنّ اللّمسة المحبّبة لا توقظ الناس». تنطلق **الأرواح المتمرّدة** من هذه الاقتناعات. إنّه كتاب ملتزم القضايا الاجتماعية، مفعم بالرومانسية ويجاور، بالنسبة إلى بعضهم، رومانسية هوغو لفرط ما تذكّر نبرة جبران العنيفة الجادّة، في بعض الأحيان بنبرة شاعر **العقوبات** (Les Châtiments). سارع جبران إلى وضع نسخة من **الأرواح المتمرّدة** مرفقة بالإهداء الآتي: «ببالغ الحبّ إلى ماري هاسكل التي بثّت وستبثّ الحياة فيَّ، والقوّة في جناحي، وجمال الحركة في أناملي.»

تقول بعض المصادر إنّ السلطة العثمانية أمرت بإحراق «الأرواح المتمرّدة» في الساحات العامّة، عقب إدخال مئتي نسخة من الكتاب سرّاً إلى سوريا. ربّما كان هذا الخبر وليد خيال الكاتب الجامح نفسه. لكن كتابات جبران كانت مصدر إزعاج حقيقي للسلطات الدينيّة والسياسيّة القائمة في عصره. وفي رسالة تعود إلى ١٥ مارس/آذار ١٩٠٨، كتب جبران إلى قريبه نخلة: «فالقوم في سوريا يدعونني كافراً والأدباء في مصر ينتقدونني قائلين: «هذا عدوّ الشرائع القديمة والروابط العائلية والتقاليد البالية.»

وإلى ماري هاسكل كتب: «يتّهمونني بأنّني مدمّر الفضائل البشرية وبأنّني أعيش في كنف إله غريب...».

◀ راجع رقابة؛ عثمانيّون.

اسم

الاسم الفعلي لجبران هو «جبران خليل جبران». حين التحق جبران بمدرسة كوينسي المجّانية، اقترحت عليه معلّمته أن يحذف اسمه الأوّل «جبران» ويقدّم الحرف الثالث (a) على الثاني (h) في كتابة اسمه الثاني بالإنكليزية Khalil ظنّاً

توقيع جبران بالعربية

توقيع جبران بالإنكليزية

منها أنّه بذلك يسلس الاسم لفظاً. وجبران كان يوقّع أعماله العربية باسمه الكامل فيما آثر أن يوقّع أعماله الإنكليزية بالاسم الذي اقترحته عليه المعلّمة، أي Kahlil Gibran. وفي بعض الوثائق كبطاقات الدعوة إلى المعرض عام ١٩٠٤ في مبنى «هارتكورت»، اعتُمد اسم جبران خليل جبران. أمّا جوزفين بيبودي فاستخدمت في يوميّاتها الأحرف الأولى من اسمه الكامل «G.K.G.»

الأعمى

تمثيليّة بالإنكليزية نُشرت للمرّة الأولى بعد خمسين عاماً من وفاة جبران (عام ١٩٨١). تسرد مسرحية **الأعمى** قصّة حياة أربعة أشخاص: فتاة شابّة وزوج أمها الأعمى والأم وعشيقها. أكثرهم تبصّراً هو الأعمى. وثمّة مجنون حاضر على المسرح يذكّر الآخرين ببعض الحقائق: «حين يلتقي نسر السماء دودة الأرض، ويتجاذبان أطراف الحديث، يسأل أحدهما الآخر عمّا أبصره... يظنّ كلّ واحد منهما أنّ الآخر ليس سوى أعمى لا يبصر».

تكوّن هذه المسرحية جزءاً من خمس مسرحيّات ذات فصل واحد عرضت على الناشر كنوبف عام ١٩٦٤ فرفضها بناء على نصيحة ويتر باينر. لكن قريب جبران وسميّه النحّات خليل جبران اتّخذ المبادرة ونشرها ولو متأخّراً.

◄ انظر أيضاً: مسرح.



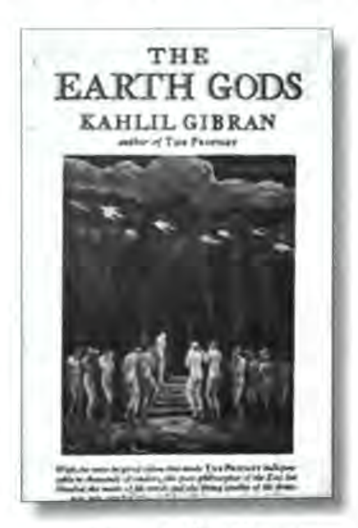
الله

◄ راجع دين؛ صوفية؛ يسوع.

آلهة الأرض

منذ يونيو/حزيران ١٩١٥، بدأ جبران كتابة **آلهة الأرض** بالتوازي مع **المجنون والنبيّ**. كان العنوان الأول للكتاب **آلهة الأرض الثلاثة** كما ورد في رسالة غير منشورة وجّهتها دار كنوبف للنشر إلى جبران. لكن كلمة «الثلاثة» حُذفت أخيراً.

آلهة الأرض آخر كتب جبران. نشرته في ١٤ مارس/آذار ١٩٣١ دار كنوبف في نيويورك. قوامه حوار «سقراطيّ» يدور بين آلهة ثلاثة تمثّل النزعات الثلاث المسيطرة على القلب البشري. الأوّل متبرّم بتكرار الحياة ويصبو إلى العدم، والثاني راضٍ بما هو عليه ويستغلّ سلطانه الذي يمارسه على الناس الذين هم «خبز الآلهة»، والثالث يستنكر لامبالاة الأوّل وجبروت الثاني فيغتبط لرؤيته زوجين من البشر ينشدان ويرقصان عند سفح الجبل، مقتنعاً بأنّ سرّ الوجود يكمن



غلاف «آلهة الأرض» بالإنكليزية

في الجمال والحبّ. وفي رسالة غير منشورة وجّهها جبران إلى إليزابيت سليغ، المسؤولة في دار كنوبف للنشر مؤرّخة في ٢٥ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٣٠، يشرح لها فحوى الكتاب: «يرمز **آلهة الأرض الثلاثة** (. . .) إلى العناصر الأساسية في الإنسان شهوة السلطة والسعي إلى إقامة حكم أكثر عدالة والمحبّة».

في هذا الكتيّب (لا تتعدّى صفحاته الأربعين) أثر واضح لوليم بلايك وكيتس في قصيدة «هيبريون»، تطالع القارئ الفكرة القائلة إنّ الإنسان ـ الجسد ينبغي له أن يسمو على ذاته، وأن ينمو باتّجاه الإنسان ـ الإله لكي يتّحد به: ف «الإنسان إلٰه يسمو ببطء»، كتب جبران. فآلهة الأرض هم الكائنات التي ارتفعت «من التراب إلى الغمام»، هم الذين عرفوا كيف يتخطّون حدود ذاتهم الضيّقة لكي يصبوا إلى المطلق ويذوبوا فيه: «مجد الإنسان يبتدئ عندما تمتصّ شفاه الآلهة المقدّسة نسمته الهائمة على غير هدى. . .».

وفي رسالة وجّهها جبران إلى ماري هاسكل في ٣٠ يناير/كانون الثاني ١٩١٦، كان جبران بدأ بتصّور هذه الفكرة: «ليست غاية اللّه أن يحكم الإنسان ولا الأرض. بل إنّه يتوق إلى أن يصبح الإنسان والأرض مثله وجزءاً منه. ينمو اللّه عبر رغبته. والإنسان والأرض، كل ما في الأرض يرتقي باتّجاه اللّه بقوّة الرغبة، فالرّغبة هي القدرة الملازمة التي تبدّل كل شيء وتحوّله. إنّها قانون كلّ ما هو مادّة وكلّ ما هو حياة[١].»

أوبنهايم، جيمس (١٨٨٢ ـ ١٩٣٦) James Oppenheim

شاعر أميركي، له دواوين عدّة منها *Monday Morning and Other Poems* (المنشور عام ١٩٠٩) و*War and Laughter* (١٩١٦) و *The Sea* (١٩٢٤). كان يدير مجلّة The Seven Arts (الفنون السبعة). التقاه جبران عن طريق الطبيبة

(١) Virginia Hilu, *Beloved Prophet: The love letters of Kahlil Gibran and Mary Haskell, and her private journal*, New York, Knopf, 1972, p. 265.

وقد صدر هذا الكتاب باللغة العربية عن دار الأهلية للنشر والتوزيع، ترجمة الأب لوران فارس.

النفسانية بياتريس هينكل ووافق على أن يكون عضواً في هيئة تحرير المجلّة. نشر فيها جبران بضعة نصوص ورسوم لكنّه قرّر الاستقالة منها بسبب الأفكار المناهضة للحرب التي كان اوبنهايم يروّج لها واعتراضه على دخول الولايات المتّحدة الحرب العالمية الأولى.

◀ راجع أيضاً صحافة؛ بياتريس هينكل.

أورفليس

في مدينة أورفليس الخيالية، يتحدّث المصطفى في **النبيّ** إلى الشعب. ربّما كان اسم أورفليس مشتقّاً من أورفيوس، إلٰه الموسيقى والشعر في الأساطير الإغريقية الذي كان يهدّئ بعزفه على القيثارة من روع العناصر الغاضبة ويسحر كائنات الطبيعة. تأثّر جبران بفريد هولاند داي الذي صوّر موديلاً متنكّراً بثوب



متحف جبران

«أورفيوس بريشة جبران

أورفيوس فحذا جبران حذوه ورسم أورفيوس تعبيراً عن إعجابه بهذه الشخصية الميتولوجية وعلاقتها الأثيرة بالطبيعة.

وفقاً لميخائيل نعيمة، الأحرى أنّ كلمة «أورفليس» مشتقّة من «Orphan» التي تعني «يتيم». ترمز مدينة أورفليس ليس فقط إلى نيويورك، أي بابل أميركا والغرب حيث كان الفنّان يقيم في المنفى بعيداً من وطنه، بل إلى الأرض التي انفصلت عن السماء، الأرض الأرملة أو «اليتيمة». أورفليس هي إذاً الحياة على هذه البسيطة فيما الجزيرة التي يتّجه إليها النبيّ هي أرض الحياة الأخرى: «وكان مركب الليل يقوده إليها كيما يلتقي الأوقيانوس الأعظم، رمز وحدة الوجود»، كما كتب جان ـ بيار دحداح.

◄ راجع **النبيّ**.

أونيل، روز سيسيل (١٨٧٤ ـ ١٩٤٤) Rose Cecil O'Neill

رسّامة وفنّانة رسوم للكتب. كرّست جزءاً من المال الذي جنته من قصّتها المصوّرة *The Kewpie Dolls* لمساعدة الفنّانين الذين هم في ضيق مادّي. كانت مقرّبة من جبران ورسمت له بورتريه عام ١٩١٤، وكثيراً ما استقبلته في محترفها في واشنطن سكوير.



باري، جرترود Barrie, Gertrude

عام ١٩٠٦ (سنة زواج جوزفين بيبودي، وقبل أن يلتقي ماري هاسكل) تعرّف جبران إلى جرترود باري عن طريق صديقه سليم سركيس (مترجم وصحافي في «مرآة الغرب» في نيويورك).

كانت في السادسة والعشرين وتتحدّر من عائلة إيرلندية بروتستنتية. عازفة بيانو حائزة شهادة من الكونسرفاتوار في نيو إنغلند. كانت تقيم على مسافة قريبة من مسكن جبران، في الطبقة الثانية من العمارة القائمة في ٥٢٢ تريمونت ستريت. استمرّت علاقتهما الغرامية سنتين ثم تحوّلت عام ١٩٠٨ إلى صداقة. راسل أحدهما الآخر على نحو متقطع (عام ١٩١٨، بعث لها جبران بنسخة من **المجنون**) حتى أكتوبر/تشرين الأوّل ١٩٢٢، تاريخ اقتران جرترود باري في الواحدة والأربعين بعازف الكمان والطيّار الإيطالي هكتور بازينيلّو. ويؤكّد الكاتب ووترفيلد Waterfield أنّ «الدور الذي لعبته في حياته (أي جبران) من نسق جنسي وعاطفي. لم تكن عازفة البيانو كائناً أثيريّاً مُعداً لتأجيج المشاعر الرومنطيقية لدى الشعراء بل امرأة شهوانية جاهزة للعلاقات الجسدية. لم يتطرّق العشيقان إلى موضوع الزواج ولا تكلّما عن علاقة جديّة. كانا فقط يتمتّعان برفقة أحدهما للآخر. هذا كلّ ما في الأمر[١].»

---

(١) Robin Waterfield, *Khalil Gibran. Un prophète et son temps*, Saint - Laurent, Fides, 2000, p 128.

وقد صدر هذا الكتاب باللغة العربية عن دار ورد، ترجمة ميشيل خوري.

باريس

في طريق عودته إلى أميركا بعد رحلة إلى لبنان دامت أكثر من ثلاث سنوات، توقّف جبران في باريس عام ١٩٠٢ وزار المدينة مفكّراً في المعنى الذي يريد أن يضفيه على حياته. غداة وصوله، أبلغه القنصل نبأ وفاة شقيقته سلطانة. فانطلق فوراً إلى بوسطن.

في مطلع ١٩٠٨، اقترحت ماري هاسكل على جبران أن يذهب إلى باريس ليقيم فيها سنة كاملة، على نفقتها الخاصّة، بغية استكمال مهاراته الفنيّة. لطالما راوده الحلم في زيارة مدينة النور. فقد كتب ذات يوم في رسالة إلى جميل المعلوف: «سمعت بأنّ في نيّتك الرجوع إلى باريس لتسكن فيها، وأنا أيضاً أريد أن أذهب إليها. فهل نلتقي في مدينة الفنون؟ هل نلتقي في قلب العالم ونذهب ليلاً إلى الأوبرا وإلى الكوميدي فرانسيز ثم نعود لنتحدّث عن مسرحيّات راسين وكورناي وموليير وهوغو وساردو؟ نعود إلى البيت شاعرَين بملامس روح روسو وفولتير ونكتب عن الحرّية والاستبداد لنكون من المساعدين على هدم الباستيل القائم في كل بلدة في الشرق. أو نذهب إلى اللوفر ونقف قبالة رسوم رفائيل ودافنشي وكورو. ثم نعود إلى البيت نكتب ونكتب عن الحبّ والجمال وتأثيرهما في خلايا القلب البشري؟»

ليل ١٢ فبراير/شباط، كتب جبران إلى أمين الغريّب: «لأنّ في بوسطن ملائكة تريني المستقبل مشعشعاً، (مشيراً بذلك من دون شكّ إلى داي وهاسكل)، وتفتح أمامي سبيل النجاح الأدبي والمادّي... سيكون ذلك، بمشيئة اللّه، بداية صفحة جديدة في تاريخ حياتي». وفي ٢٨ مارس/آذار، أبلغ ناشر مقالاته وكتبه، الموجود في لبنان، أنّه سيغادر «بوسطن المفعمة بالحركة والضجيج»، متوجّهاً إلى باريس: «أنا في هذه الأيّام مثل صائم يترقّب قدوم فجر العيد، لأنّ سفري إلى باريز يجعل أحلامي وميولي حائمة حول الأعمال الكبيرة التي سوف أحاول إتمامها في عاصمة المعارف والفنون... أنت ستمرّ بباريز طبعاً عندما تعود من سوريا وفي باريز سنلتقي ونفرح».



منزل جبران في باريس (حيث توجد لوحة تذكارية) 14, avenue du Maine

في الأوّل من يوليو/تموز ١٩٠٨، أبحر جبران من نيويورك على متن السفينة «روتردام» التابعة للخطوط البحرية «هولند ـ أميركان.» وصل إلى باريس في ١٣ يوليو/تمّوز ١٩٠٨ وشهد بافتتان الاحتفالات التي تقام في ذكرى الاستيلاء على الباستيل ـ الواقعة التي ذكرها بكثير من الحماسة في رسالته إلى جميل المعلوف! انضمّت إليه ميشلين وساعدته في إيجاد غرفة ليسكن فيها مؤقّتاً في الطبقة الخامسة من أحد المباني في جادة كارنو. بعد ذلك بوقت قصير انتقل للسكن في استديو (١٤ جادة مين - في حيّ مونبارناس). وقد وضعت لوحة تذكارية عند مدخل العمارة للتذكير بأنّ جبران «الشاعر والرسّام اللبناني الأميركي» أقام فيها.

سارع الفنّان الشاب إلى الالتحاق بأكاديمية جوليان، أكبر أكاديميّات باريس الخاصّة آنذاك، أنشأها رودلف جوليان عام ١٨٦٨. انتسب جبران طالباً مستمعاً إلى معهد الفنون الجميلة. بعد أيّام قليلة، وصلت ماري هاسكل إلى باريس برفقة أبيها. سرّ جبران كثيراً لرؤيتها مجدّداً ولِمَا سمعه منها عن أحوال مريانا ـ لأنّها لا

تحسن الكتابة. شعر جبران بالوحدة عقب عودة ماري إلى بوسطن وانتقال ميشلين إلى مدينة نيفير حيث والدها. ألمَّت بجبران وعكة صحية. بعد شفائه بفضل عناية زوجين لبنانيين من آل رحيم، استأنف دروسه في الأكاديمية: «إنّي أرسم أو أتعلّم»، كتب في إحدى رسائله إلى ماري: «لن أتمكّن من رسم ما أريد إلاّ بعد وقت طويل. ولكن من الرائع أن يشعر المرء بتحسّن نظرته إلى الأشياء... الآن بدأت أفهم الأشياء والناس من خلال عينيَّ أنا. ويبدو أنّ ذاكرتي بدأت تحفظ أشكال وألوان الأشخاص والأشياء». عادت ميشلين إلى أميركا وأقامت في نيويورك على أمل تحقّق حلمها في أن تجد لها مكاناً في عالم المسرح. لكن جبران، لحسن الحظّ، وجد العزاء عن غياب ماري وميشلين في صداقة رفيق الدراسة يوسف الحويّك الذي التقاه جبران في باريس.

أحرز جبران تقدّماً لكنّه بدا نافد الصبر. فبعد أشهر قليلة على التحاقه بأكاديمية جوليان قرّر أن يترك هذه المدرسة. ضاق ذرعه بالفوضى التي كانت تعمّها، يروي يوسف مستذكراً. ورأى أنّ نصائح أستاذه جان ـ بول لورنس لا تأتيه بأيّة فائدة. ولا عجب في ذلك، فجان ـ بول لورنس (١٨٣٨ ـ ١٩٢١)، وهو من زيّن البانتيون وكابيتول تولوز (قاعة المشاهير) ومبنى بلدية باريس (قاعدة لوبو) كان يُعدّ آخر رموز الرسم التاريخي. فمن البديهيّ ألاّ تنجذب روح جبران الرومنسيّة إلى أسلوبه. وفي مطلع فبراير/شباط ١٩٠٩، اهتدى جبران إلى أستاذ جديد: بيار ـ مارسيل بيرونو. لكن جبران رأى بعد فترة قصيرة أنّه أخذ عن أستاذه كل ما في وسع هذا الأخير أن يعطيه فقرّر التخلّي عن متابعة دروسه. عندئذٍ التحق مع يوسف بأكاديمية كولاروسي وقصد المتاحف وارتاد المعارض لكي يتمكّن من «مواكبة الأنشطة الفنيّة»، بحسب زعمه. أعطى خمسة تلامذة دروساً خاصّة في الرسم مرّتين في الأسبوع لكي يجني بعض المال، وباشر تنفيذ مشروع طموح هو إنجاز سلسلة من البورتريهات لشخصيّات عصره البارزة. كانت باكورة السلسلة (التي سمّاها **معبد الفن**) بورتريه النحّات الأميركي بول بارتلت، مبدع تمثال لافاييت في مدخل اللوفر، ثم استكملها ببورتريهات لكلّ من أدمون روستان، كلود دوبوسي، أوغست رودان، هنري روشفور، صاحب القلم النقدي

اللاذع المشهور. كما تردّد، خلال هذه الحقبة، إلى الأوساط المنادية باستقلال لبنان وسوريا.

وكل يوم أحد، كان جبران ويوسف، المتعطّشان للمعرفة، يقصدان متحف اللوفر كأنّهما في زيارة حجّ. كانا يمضيان ساعات طويلة متنقّلَين بين قاعاته الرحبة ثم يغادرانه متوجّهين إلى حديقة الـ «لوكسمبورغ» للتمتّع ببساط أديمها الأخضر وأشجارها وأزهارها وخمائلها، يستذكران سِير الأدباء الكبار: دانتي، بلزاك، فولتير، وروسو، ويتناقشان ويتبادلان الآراء. أحياناً، كانا يقصدان مطعم «مدام بوده» (تقاطع شارع ليوبولد ـ روبير وبولفار راسباي) أو يذهبان إلى مسرح «الشاتله» للاستمتاع بمشاهدة الراقصة إيزادورا دانكان Isadora Duncan. ذات يوم، تلقّيا دعوة من صديق هو الدكتور غاسبار لزيارة معهد باستور. أبدى ابن بشرّي إعجابه الكبير بالمكان. وسأل يوسف هل كان لا يلاحظ حقّاً أنّ العالِم يتفوّق على الأديب والفنّان. كان جبران يقرأ جيد Gide وكلوديل وهوغو وفلوبير وأناتول فرانس وروسو وفولتير وريلكه Rilke، وتولستوي ورينان ونيتشه الذي وصفه يوسف الحويك بأنّه «فيلسوف عابس». انصرف جبران إلى كتابة نصوص بالعربية وجدها المقرّبون منه «كئيبة واعظة». كان مكبّاً على مخطوطته «لأجل أن يكون الكون خيراً»، نواة كتابه **النبيّ**. واستكمل تأليف روايته **الأجنحة المتكسّرة**. ونُشرت إحدى قصصه «مرتا البانية» (من مجموعة **عرائس المروج**) في ترجمة فرنسية لميشال البيطار، أستاذ اللغة العربية في جامعة السوربون، ضمن العدد العاشر من مجلّة Les Mille Nouvelles nouvelles. شعر جبران بالزهو لرؤية اسمه مجاوراً اسم كاتب كبير كتشيخوف. ورغبة منه في تعريف الناس على أعماله الفنّية، أفلح جبران في الحصول على دعوة للمشاركة في «صالون الربيع»، أحد أبرز المعارض السنوية في باريس. ومن الأعمال الثلاثة التي رشّحها للاشتراك في المعرض، حُظي عمل واحد بموافقة لجنة التحكيم المنبثقة من «الجمعية الوطنية للفنون الجميلة»: لوحة «الخريف» التي تصوّر روزينا نصف عارية جامعة خصلات شعرها الذهبي بيدها اليمنى.

في يونيو/حزيران ١٩١٠، عرّج أمين الريحاني على باريس. استأجر أمين

ويوسف وجبران عربة خيل وراحوا يجولون فيها طويلاً في أحياء باريس. «الآب والابن والروح القدس،» علّق أمين الريحاني على تلك الصحبة ساخراً. عند المساء، قصد أمين ويوسف «المولان روج» للاستمتاع برؤية الفتيات شبه العاريات يرقصن «مدوّمات»، تاركين جبران في شقّته الجديدة في شارع شيرش ميدي. وفي اليوم التالي، خضعا لبرنامج تثقيفي: جال الأصدقاء الثلاثة بجولة ثلاث ساعات في أرجاء متحف اللوفر.

عام ١٩١٠، غادر الريحاني وجبران إلى لندن في رحلة قصيرة. أمّا يوسف الحويّك فقام برحلة تبدأ من ألمانيا وتنتهي بإيطاليا مروراً بالنمسا وتركيا واليونان. وخلال رحلته الطويلة تلك، واظب على الكتابة إلى جبران الذي كان منهمكاً بإعداد ست لوحات آملاً أن تُعرض في «صالون الاتّحاد الدولي للفنون الجميلة» الذي تلقّى دعوة رسمية للمشاركة فيه (١-٣/ ١١/ ١٩١٠) في قصرالصيف في الشانزيليزيه. غير أن ضيقه من ظروف حياته غير المستقرّة دفعه للتخلّي عن هذا المشروع.

وفي ٢٢ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١٠، غادر جبران عائداً إلى أميركا. وبحسب يوسف الحويّك، لم تكن إقامته في باريس بالغة الأهمّية على الصعيد الفنّي. لكن هذا الرأي ليس الراجح. لا شكّ أنّ جبران لم يعرف ـ أو لم يشأ ـ الاختلاط بالفنّانين الكبار الذين كانوا في مدينة النور أثناء إقامته فيها. موديلياني Modigliani كان طالباً في أكاديمية كولاروسي عام ١٩٠٦ والتقى بابلو بيكاسو وغيوم ابولينير وأندريه دوران وماكس جاكوب وموريس أوتريلو فلمَ لم يقم جبران بالخطوة اللازمة للتعرّف على التيّارات السائدة في زمانه؟ هل بسبب طبعه المتحفّظ، الذي يشهد عليه يوسف الحويّك، أم بسبب «الإعاقة» التي فرضتها أصوله المشرقية؟ تشير شارلوت تلر الوافدة إلى باريس زائرة صديقتها ماري هاسكل إلى أنّ «عمله يكشف عن تطوّر لافت. اختبر الواقع وتعلّم الرسم. امتلك حسّ الألوان. وأشعر أنّ فطرته نضجت ونمت في تلك السنة. النداء الفكري والنفسي والإنساني الذي وسم أعماله وتحكّمه بالتقنية التصويرية، وخصوصاً الرسم بالألوان الزيتية والمائية والأكواريل، والتحسّن الكبير الذي طرأ على إجادته

البورتريه والتزامه السياسي، هذه الأمور كافية لاعتبار إقامته في باريس حاسمة في مسيرته. احتفظ جبران من تلك الحقبة بذكريات مؤثّرة كما تشهد رسالته في ١٩ ديسمبر/كانون الأول ١٩١١ من بوسطن، إلى صديقه يوسف:

«أخي يوسف،

سعداً لمن له مرقد عنزة ـ في باريس! وهنيئاً لمن يسير على ضفاف نهر السّين متأمّلاً صناديق الكتب العتيقة والرسوم القديمة. أنا في هذه المدينة (بوسطن) المملوءة بالأصدقاء والمعارف (. . .) لكنّني غير مسرور (. . .) أُذكر اسمي في قصر اللوفر أمام ربّة الانتصار. سلام إلى موناليزا».

بعد ذلك ببضعة أشهر (٢٣ أبريل/نيسان ١٩١٢) كتب إلى صديقه جميل المعلوف المقيم آنذاك في فرنسا:

«باريس ـ باريس ـ باريس مسرح الفنون والفكر ومهبط الخيال والأحلام. في باريس ولدت ثانية وفيها أودّ أن أصرف ما بقي لي من العمر. . . سأعود إلى باريس وأطعم قلبي الجائع وأسقي روحي الظمآنة فنشترك بالتهام خبزها العلوي وبشرب خمرتها السحريّة. . .».

ولكن لم يعد جبران إلى باريس.

◀ راجع أيضاً أكاديمية جوليان؛ يوسف الحويّك؛ **الخريف**؛ أوغست رودان؛ روزينا؛ أمين الريحاني؛ بيار مارسيل ـ بيرونو؛ **معبد الفن**.

باينر ويتر (١٨٨١ ـ ١٩٦٨) Bynner, Witter

ولد الشاعر الأميركي ويتر باينر في بروكلين وتخرّج في جامعة هارفرد عام ١٩٠٢. انطلق في عالم الصحافة وأصدر مجلّة Magazine Mc Clure's قبل أن ينصرف إلى كتابة الشعر بدءاً من ١٩١٥. عام ١٩١٧، زار اليونان برفقة صديقه آرثر دافيسون فيك ثمّ الصين حيث درس الأدب الصيني الذي وسم أسلوبه وسماً عميقاً. كان باينر مثليّاً معلناً (عاش أربعاً وثلاثين سنة مع روبرت هنت). استقرّ مع صديقه في سانتا فيه وجال على المكسيك برفقة الكاتب د. هـ. لورنس



الشاعر ويتر باينر (١٨٨١-١٩٦٨)

D.H.Lawrence. ألهمته هذه الرحلة كتاباً عنوانه *Journey With Genius* (١٩٥١). كذلك كتب باينر بضعة دواوين منها *The New World* (١٩١١)، *Roots* (١٩٢٩)، *New Poems* (١٩٦٠).

التقى جبران باينر في نيويورك حوالي ١٩١٣ وأنجز رسماً له عام ١٩١٩. أهدى باينر (كان أصدقاؤه، وأحدهم جبران، يدعونه «هال») مسرحيّته *Cycle: A play of War* (١٩٢٢) إلى جبران، فكتب له ابن بشرّي في رسالة غير منشورة (٢٣ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٢٢): «تحسن صنيعاً مع أصدقائك لكنّك لا ترغب في أن يعرف أصدقاؤك الأشياء الجميلة التي تقوم بها. هل لأنّك لا تريد أن تعرف يدك اليسرى ما أعطته اليد اليمنى؟ هذا أمر رائع يا هال لكن ما تقوم به ليس مسيحيّاً! مصادفةً، وقع نظري في منزل شخص غريب على كتابك *Book of Plays* وعليه اسمي في صفحة الوقاية لمسرحيّة *Cycle*. كنت معزولاً عن العالم الخارجي منذ زمن طويل حتى أنّني لم أعلم بصدور هذا الكتاب لدى كنوبف ولا

أعرف لَمَ لم يرسل إليّ نسخة. آه يا هال، كيف السبيل إلى شكرك؟ يبدو أنّك من إباء النفس بحيث لا تتقبّل الشكر. هذا هو السبب في أنّك تحجب عطاياك الثمينة خلف نقاب من الصمت». أفلح باينر في إقناع الناشر ألفرد كنوبف بنشر كتاب **المجنون** والأعمال اللاحقة لجبران بالإنكليزية. في ٢ ديسمبر/ كانون الأول ١٩١٠، شارك جبران باينر في قراءات نصوص شعرية في ماكدويل كلوب (نيويورك) حيث تلا كلٌّ منهما أعماله المنشورة أو قيد النشر. عام ١٩٢٥، كتب ويتر باينر «خليل الجبراني» *Khalil* the gibraniste الذي نشر في كتاب جامع عنوانه *The Borzoi* وصدر لدى دار كنوبف للنشر.

الرسائل التي بعث بها كاتب **النبيّ** إلى ويتر باينر (وكان يدعوه على سبيل المودّة والتحبّب «حبيبي ويتر») شاهدة على صداقتهما المتينة. كان جبران يحكي له عن مشكلاته الصحّية وإصابته بانهيار عصبيّ متطرّقاً إلى الأوضاع في الشرق خلال الحرب الكبرى. وفي رسالة تتّصف بالأهمّية (١٤ أبريل/ نيسان ١٩٢٥) يكتب إليه:

«يصعب عليّ يا ويتر أن أقول لك ما هو موقعي في العالم العربي. يحلو للناس في الشرق القول إنّي أسّست مدرسة جديدة في الأدب. ربما كان الأمر صحيحاً لكنّي لم أدركه. كما يحلو للأدباء والنقّاد أن يردّدوا كلمتين: كلمة «جبراني» وتعني شخصاً مجدّداً أو مختلفاً. وكلمة «الجبرانيّة» وتعني الحرِّية في كل شيء. لكنّك تعرف يا هال أنّ للناس طرقهم في إلصاق الأوصاف بك فقط لأن لأنفك شكلاً غير مألوف. ثمّة جدال كبير في الشرق حول شخصي، جدال بين جيل القدامى وجيل الشباب. أعتقد أنّني إذا كنت لا أزال حيّاً فالفضل في ذلك يعود إلى أنّ الشباب لم يهزموا بعد».

وفي رسالة أخرى غير منشورة ومغفلة التاريخ، يبدو جبران غارقاً في الوجدانية ويحثّ صديقه على التخلّي عن منفاه في سانتا فيه والعودة إلى نيويورك:

«ويتر

الآن ملأت جرّتك بالخمرة الغريبة وجعبتك بالسهام الغريبة، أفلن تلتفت إلينا؟ ألن تعود لتستريح بيننا نحن المساكين الوحيدين الذين جرارهم خالية من

الخمر وجعباتهم من السهام؟ أفلن تعود لكي نسمع منك أصوات البلدان والبحار النائية؟ فليكن سلام اللّه المجنّح معك دوماً».

بعد وفاة جبران بوقت طويل، أظهر كنوبف رغبته في نشر مسرحيّات جبران الخمس غير المنشورة، بينها **الأعمى ولعازر ومحبوبته**، فاستشار ويتر باينر في يناير/كانون الثاني ١٩٦٤. لكن باينر لم يقتنع بها وعدل كنوبف عن نشرها بناءً على توصيته.

◄ راجع أيضاً: مسرح.

البحر

رمز البحر حاضر كثيراً في أعمال جبران. يمثّل البحر في نظره «الروح الكبرى» أو «الذات الكبرى»، المصدر الذي تتوق الذات للعودة إليه[١]. ثمّة نصوص كثيرة تتحدّث عن البحر: «البحر الأعظم»، «البحر»، . . . كان جبران متنبّهاً لإيقاع البحر فكتب إلى ماري هاسكل: «على الشعراء الإصغاء إلى إيقاع البحر. . .».



البدائع والطرائف

آخر كتب جبران بالعربية، صدر في القاهرة. وهو يضمّ مجموعة مقالات نُشرت في الصحف، ذات طابع اجتماعي وسياسي، منها «العهد الجديد»، «لكم لبنانكم ولي لبناني»، مقالته الشهيرة. لكنّ الكتاب تضمّن أيضاً بورتريهات أدبيّة لابن سينا والغزالي وجرجي زيدان وابن الفارض وأمثالاً وحكماً ومسرحية **إرم ذات العماد**. بالإضافة إلى بعض المخطّطات تمثّل فلاسفة وشعراء عرباً.

◄ راجع أيضاً **إرم ذات العماد**.

---

(١) Suheil Bushrui et Joe Jenkins, *Khalil Gibran. L'homme et le poète*, Paris, Véga, 2001, p. 373, note 79.

برنهارت، سارة (١٨٤٤ ـ ١٩٢٣) Bernhardt Sarah

ولدت الممثّلة الفرنسيّة المسرحيّة سارة برنهارت في باريس. بعد مرورها بـ«الكوميدي فرانسيز»، برعت في مسرح البولفار ثم أنشأت مسرحها الخاصّ. استغلّ جبران فرصة وجودها في نيويورك ليعرض عليها رسم صورة لها: «بعبارة واحدة أقول لك (في إحدى رسائله إلى ماري هاسكل) إنّها كانت آية في الرقّة. حدّثتني بفرح غامر عن أسفارها إلى سوريا ومصر وأخبرتني بأنّ أمّها كانت تتكلّم العربية وأنّ موسيقى هذه اللغة كانت ولا تزال حيّة في نفسها». في تلك الحقبة، كانت سارة برنهارت جاوزت سنّ الصبا ـ إذ كانت تشارف التاسعة والستّين ـ لكنّها لم تفقد شيئاً من دلالها. وافقت على الوقوف قبالة جبران لإنجاز رسمها مشترطةً عليه أن يرسمها من بعيد كي لا تظهر «التفاصيل الدقيقة» في ملامح وجهها. امتثل للأوامر. وفي نهاية الجلسة، عاينت الممثّلة البورتريه فَراقها صنيعه



الفنانة سارة برنهارت بريشة جبران

على أن تُجرى تعديلات بسيطة عليها: إزالة بعض التجاعيد، روتشة الفم المتهدّل. . . كان جبران يعلم أنّه من «الصعوبة إرضاء سارة برنهارت أو فهمها. ومن الصعوبة أن يكون المرء برفقتها فلها مزاجها الخاصّ. ينبغي أن تعامل كمملكة مكرّسة وإلاّ فسدت العلاقة معها». فتعامل معها بصبر وتفهّم وطواعية. عندما همّت بمغادرة المحترف مدّت له يدها اليسرى لكي يقبّلها: في ذلك شرف لا يناله عادة إلاّ من يحظون بمودّتها!

بشرّي

تقع بلدة بشرّي، مسقط رأس جبران، في شمالي لبنان على ارتفاع ١٦٠٠ متر، على مقربة من الأرز. سكنها الفينيقيّون قديماً وخلفّوا فيها آثاراً، ثم أطلق عليها الصليبيّون اسم «بويسارة» وجعلوها إحدى إقطاعات قومسية طرابلس. شغلت باستمرار أفكار جبران. فيها عاش سنواته الأولى، سنوات هانئة لامبالية وسط ربوع الطبيعة قبل أن يُسجن أبوه وتهاجر العائلة. في بشرّي أيضاً وفي مدرسة مار اليشاع لقّنه الأب جرمانوس مبادئ العربية والسريانية. وفي مدرسة بشرّي الابتدائية، لقّنه الأب سمعان مبادئ القراءة والكتابة. وهناك حظي باهتمام سليم الضاهر. حين عاد جبران إلى لبنان أواخر عام ١٨٩٨، لم يتوانَ، برغم أنّ معهد الحكمة في بيروت، عن الإقامة في قريته مع كلّ التوتّر الذي وسم علاقته بأبيه. وفي بشرّي أيضاً عرف حبّه الأوّل ووقع في غرام حلا الضاهر.

يبدو تأثير بشرّي في أعمال جبران واضحاً. فالشمس، الأعاصير، المراعي، القمح، الآس، الضباب، الريح، الجداول، «أسرار التلال وأناشيد الغابة»، المحراث، الناي، القصب، أعمال القرويين (الذين يذرون ويغربلون ويهرسون الحبوب. . .) ماثلة في كتبه وخصوصاً في **النبيّ** حيث الرموز كلّها تنبع من صورة القرية، مسقط رأس المؤلّف. وحتى في أواخر حياته، في كتاب **التائه**، لن يجد جبران بديلاً من مدينة بشرّي إطاراً لقصصه («الهدايا الثلاث»)، في وادي قاديشا («النهر») أو على سفوح جبل لبنان («الطريق»)، مؤكّداً بذلك ارتباطه العضوي بعالم طفولته.



مجموعة غازي جعجع

صورة لبشرّي (١٩١٢)

ولا تختلف في ذلك أعماله التصويرية التي تتّخذ على الدوام خلفيّة لها وإطاراً مناظر شبيهة بتلك التي نجدها في بشرّي: الجبال الوعرة المسالك المتّشحة بالزهري والأزرق، الهضاب الصخرية، الأودية السحيقة، الينابيع ولوحات مثل **رقص وإيقاع**، **والهبة**، ونشأة **المأساة**، **وامرأة تكتشف الطبيعة**، تعيد كلّها رسم تلك البيئة التي أُتيح لجبران أن يعرفها في طفولته. عن ذلك كتب في **الأجنحة المتكسّرة**:

«وأنا أيضاً أذكر تلك البقعة الجميلة من شمال لبنان، فما أغمضتُ عينَيّ عن هذا المحيط إلاّ رأيت الأودية المملوءة سحراً وهيبة وتلك الجبال المتعالية بالمجد والعظمة نحو العلاء، ولا صممت أذني عن ضجّة هذا الاجتماع إلاّ سمعت خرير تلك السواقي وحفيف تلك الغصون».

طوال حياته سيظلّ جبران متشوّقاً إلى بلاده وطفولته، مستغرقاً في استذكار

ماضيه بنشوة، مقتنعاً بأنّ «الذكرى شكل من أشكال اللقاء.» ولن يفوّت فرصة في مشاطرة أصدقائه اللبنانيين الصور التي احتفظ بها من عهد الطفولة المبارك. في رسالة إلى ابن عمّه نخلة، كتب:

«رأيت خيالات عواطفك بين سطور رسالتك كأنّها جاءت من البرازيل لترجع إلى قلبي صدى الأودية والطلول والسواقي المحيطة ببشري. الحياة يا عزيزي أشبه شيء بفصول السنة (. . .) فهل يأتي ربيع حياتنا ثانية فنفرح مع الأشجار ونبتسم مع الأزهار ونركض وراء السواقي ونترنّم مع العصافير مثلما كنا نفعل في بشري عندما كان بطرس حيّاً - هل تعود العاصفة وتجمعنا مثلما فرّقتنا- هل نرجع ونجلس بقرب مار سركيس وعلى نهر النبات وبين صخور مار جرجس؟(. . .) وأجمل ما في الحياة يا نخلة هو أنّ أرواحنا تبقى مرفرفة فوق الأماكن التي تمتعنا فيها بشيء من اللذة. وأنا من الذين يحفظون ذكرى الأشياء مهما كانت بعيدة ودقيقة ولا يدعون خيالاً من خيالاتها يضمحل مع الضباب، وقد يكون احتفاظي بأشباح الأيّام سبباً لكآبتي وانقباضي في بعض الأحايين. لكن لو خُيّرت لما أبدلت بأحزان قلبي أفراح العالم كلّه. . .».

وفي ٢٨ مارس/آذار ١٩٠٨، يستذكر جبران عهد الطفولة في رسالة إلى صديقه أمين الغريّب عندما كان عائداً إلى لبنان: «أذكرني يا أمين عندما ترى الشمس طالعة من وراء صنّين أو من وراء فم الميزاب، أذكرني عندما ترى الشمس جانحة نحو الغروب وقد وشّحت الطلول والأودية بنقاب أحمر كأنّها تذرف لفراق لبنان الدماء بدلاً من الدموع. أذكرني عندما ترى رعاة المواشي جالسين في ظلال الأشجار بشبّاباتهم يملأون البرّية الهادئة أنغاماً كما فعل أبولون عندما نفته الآلهة إلى هذا العالم، أذكرني عندما ترى الصبايا حاملات على أكتافهنّ آنية الماء، أذكرني عندما ترى القرويّ اللبنانيّ يفلح الأرض أمام عين الشمس وقد كلّلت قطرات العرق جبينه ولوت المتاعب ظهره، أذكرني عندما تسمع الأغاني والأناشيد التي سكبتها الطبيعة في قلوب اللبنانيين، تلك الأغاني المنسوجة في خيوط أشعّة القمر، الممزوجة برائحة الوادي، المنسوجة مع نُسيمات الأرز. . .»

ثمّ في ١٨ فبراير/شباط ١٩١٣، كتب:

«قفْ على إحدى قمم لبنان صباحاً وتأمّل طلوع الشمس وانسكاب شعاعها الذهبي على القرى والأودية وابقِ هذه الصورة السماوية مرسومة على لوح صدرك لكي تراها عندما تعود إلينا. . .».

هذا الارتباط العاطفي الذي يبديه الكاتب بمسقط رأسه، والذي تؤجّجه الهجرة، يجد أوضح تعبير له في كتابه **يسوع ابن الإنسان**: يشبّه وجه المسيح بقمم لبنان الوعرة، وينتقي المسيح تلاميذه من أهل الشمال وسفوح لبنان، ويسأل اللّه أن يكون ثلج لبنان كنفه. . . فلا عجب إذاً أن يكون جبران كتب بالعربية تلك الكلمات المحفورة عند قاعدة تمثاله، في وسط بيروت:

«لو لم يكن لبنان وطني لاتّخذت لبنان وطني».

بعد عودته إلى بوسطن في ١٣ أبريل/نيسان ١٩٠٢، لن يرى جبران بشرّي ثانية. كان دائنو أبيه الذين استولوا على أملاك العائلة يلاحقونه ولم يكن بوسعه التصدّي لهذه المهانة. لكن عقب وفاته، نُقل جثمانه من الولايات المتحدة إلى مسقط رأسه حيث ووري في الثرى بحضور حشد هائل من المشيّعين. وفي وصيّته الأخيرة، أوصى جبران بريع كتبه لبلدته بشرّي وطلب من ماري هاسكل أن ترسل إلى بلدته كل ما في محترفه من رسوم وسلع فنية وكتب وسواها، كان أورثها إيّاها. واليوم تُعنى لجنة جبران الوطنية (المؤلفة من مجموع ممثّلي عائلات بشرّي) بإرثه وبالمتحف الذي يحمل اسمه.

◄ راجع أيضاً قاديشا؛ لبنان؛ متحف.

أنطونيوس، بشير (١٨٩٨ ـ ١٩٦٦)

مطران أرثوذكسي، أرشمندريت ثم متروبوليت نيويورك وأميركا الشمالية. هو أحد المترجمين الأساسيين لأعمال جبران من الإنكليزيّة إلى العربيّة وأحدها **النبيّ** (القاهرة، سبتمبر/أيلول ١٩٢٦ لدى منشورات يوسف البستاني)، **ورمل وزبد** (١٩٢٦ وقدّم له جبران نفسه). وجّه الأب أنطونيوس بشير رسائل إلى جبران بدءاً من عام ١٩٢٤. قال له جبران: «أنا معجب بقدراتك الكتابية» وطلب منه أن يرسل

إليه نسخة من **العهد الجديد** بالعربية. وفي رسالة وجّهها جبران إلى أنطونيوس بشير (١٠ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٢٥)، ينصحه بترجمة أربعة كتب إلى العربية يعتبرها من بين أفضل الكتب التي ألّفها الغربيّون، في عصرنا، وهي **كوخ الودعاء** لماترلنك (كان له عظيم التأثير في الأدب الجبرانيّ) و*Tertium Organum* لمؤلّفه ب. د. أوسبنكسي P.D Ouspensky و*Folklore in the Old Testament* لجيمس جورج فريزر James Georges Frazer و*The Dance of life* لهافلوك إليس Havelock Ellis. أنطونيوس بشير هو أيضاً مؤلّف أنطولوجيا تضمّ كلمات جبرانيّة: **كلمات جبران**[1] بالإضافة إلى بضعة كتب لاهوتية.

بطرس: راجع: رحمة، بطرس

بلايك، وليم (١٧٥٧-١٨٢٧) William Blake

ولد وليم بلايك في لندن عام ١٧٥٧ وتوفّي فيها عام ١٨٢٧. شاعر ورسّام ونحّات إنكليزي كان له عظيم الأثر في أعمال جبران، فمكتبة جبران في بشري تحوي كتاب **قران السماء والجحيم** لبلايك وأربعة مؤلّفات تتناول أعماله من بينها نسخة من كتاب لورنس باينيون *The Drawings and Engraving of Blake* و*The Art of William Black* لإليزابيت لوثر (مهدى من جبران إلى ماري هاسكل!) وكثيراً ما كان يأتي في رسائله على ذكر الفنان الإنكليزي الكبير. كان فريد هولاند داي وجوزفين بيبودي (لعبا دوراً حاسماً في تنشئة جبران الثقافية) متأثّرين جدّاً ببلايك وقد نقلا شغفهما به إلى صديقهما اللبناني («كانت جوزفين بيبودي ترى في بلايك، كما تؤكّد في يوميّاتها، فكراً قريباً من فكرها. . .» كتب جورج ب. بايكر).

في ٦ أكتوبر/تشرين الأوّل ١٩١٥، كتب جبران إلى ماري هاسكل: «أمّا

(١) القاهرة، عام ١٩٢٧.



الكاتب والرسّام وليم بلايك

بلايك فهو الإنسان ـ الإله. ورسومه أعمق ما أخرجه الفنّ الإنكليزي حتّى الآن ـ ورؤياه، بصرف النظر عن قصائده ورسومه، هي أكثر ألوهية». وخلال معرض جبران الأوّل، في هارتكورت غاليري، عام ١٩٠٤، لاحظ ناقد الـ *Evening Transcript* أنّ إحدى اللوحات المعروضة «تذكّر بإحدى روائع وليم بلايك الصوفية». ويروى أنّ رودان قال عن جبران إنّه «بلايك القرن العشرين». وماري هاسكل، نفسها، كتبت إلى صديقها: «بلايك ذو سطوة. صوت اللّه ويد اللّه ماثلان في ما يصنعه... وهو يبدو، حقّاً، أقرب إليك من أيّ شخص آخر...» والحقيقة أنّ ماري هاسكل لم تكن مخطئة على هذا الصعيد. فبلايك لم يكن في نظر جبران مجرّد مُلهم كسواه (أمثال جان دلفيل وأوديلون رودون وبيار بوفي دوشافان وفرنان كنوبف وأوبري بيردسلي وإدوارد برن ـ جونز ورسّامي المرحلة ما قبل الرافائيلية...): بل كان أباً روحيّاً بحقّ. فإذا ما تأمّلنا، كيفما اتّفق، في رسومه Pity وفي Whirlwind of lovers أو في The house of Death، نجد

النساء المجنّحات والكائنات المتحجّرة والأجساد المتلوّية والشخوص العارية والجثث المكدّسة، هي نفسها التي يزخر بها عالم جبران التصويري. تذكّر لوحة بلايك Queen Katherine's dream (١٨٢٥) برسوم جبران، بنسائها المتلاشيات، الهوائيّات، ذوات الراحات المبسوطة، المرتديات الأثواب الرومانية الفضفاضة. إنّ رمزيّة بلايك الانطباعية، ورفضه المحاكاة الحرفية للطبيعة، وسطوة فتنته الحلمية، والمضمون الأسطوري ـ لا بل الصوفي! ـ لفنّه، ورؤياه المبنيّة على وحدة مفقودة مرجوّة تدعو الإنسان إلى الانفتاح على الامتلاء الإلهي الذي يحمله في أعماق ذاته، وروح التمرّد لديه، جميعها ماثلة في فنّ جبران الذي كان، كملهمه، قلّما يرسم الأجساد البشرية انطلاقاً من موديل، بل كان يجيد التعبير عن أشكالها بدقّة متناهية، بفضل نظرته الثاقبة الملاحظة وبفضل قوّة مخيّلته البصريّة ـ وهذا ما يفسّر من ناحية أخرى، حقيقة أنّ جبران، حتى في رسمه البورتريه (بوزي، سلطانة، . . .)، كان يحفظ غيباً ملامح الوجه ويرى في ذهنه، بوضوح، ما يودّ أن يرسمه. ولكن خلافاً لعالم بلايك، يمتاز عالم جبران بقدر أكبر من صفاء السريرة، وبقدر أقلّ من العنف، كما أنّه أقلّ تقبّلاً لأفكار الجحيم، وقوى الشرّ المدمّرة والقيامة التي كانت تكوّن هاجساً لدى مؤلف **قران السماء والجحيم**. كذلك الأمر فإنّ حلول اللّه يتجسّد ويكتمل في الطبيعة وليس، كما لدى بلايك، في المخيّلة الخلاّقة التي يسمّيها «العبقرية الشعرية»، والتي لا يتوانى جبران عن الاحتفاء بها.

البهائيّة

حركة روحيّة نشأت في إيران في القرن التاسع عشر على يد بهاء الدّين المولود عام ١٨١٧ والمتوفّى عام ١٨٩٢. تدعو البهائية إلى ديانة جامعة تبشّر بوحدانية اللّه وتعترف بوحدة الأنبياء وتدعو إلى تثبيت مبدأ وحدانية الجنس البشري وانسجامه، كما تدعو إلى المساواة بين الجنسين وتمجّد العمل. بالإضافة إلى ذلك تبشّر البهائية بمبادئ أخلاقية داعية إلى السلام العالمي ورافضة كلّ



عبد البهاء بريشة جبران (١٩١٢)

ممارسة طقسية. في انطلاقتها لم تضمّ البهائية في صفوفها إلاّ أتباعاً من إيران، لكنّها، بدءاً من ١٨٩٠، أخذت تنتشر في العالم الغربي.

عام ١٩١٢، وبفضل جارته جولييت تومسون (التي تسكن في ٤٨ غربي الشارع العاشر في غرينيويتش فيلدج) والتي كانت من أتباع البهائية، التقى جبران ابن بهاء اللّه، عبد البهاء (المولود عام ١٨٤٤ في طهران) ثلاث مرّات، ودعاه إلى إلقاء محاضرة أمام أعضاء «الحلقة الذهبية» موضوعها وحدة الأديان. يقول جبران في رسالة إلى ماري هاسكل مؤرّخة في ١٦ أبريل/ نيسان ١٩١٢: «إنّها المرّة الأولى التي أرى فيها هيئة بهذا النبل، قادرة على أن تكون وعاء للروح القدس[1].» ثم أضاف: «إنّه إنسان عظيم، كامل. وهناك عوالم كثيرة في روحه.

(١) Suheil Bushrui et Joe Jenkins, *Khalil Gibran, l'homme et le poète*, Paris, Véga, 2001, p. 22.

أيّ وجه مميّز ـ يا لجمال وجهه ـ حقيقي جدّاً، عذب جدّاً». عندئذٍ قرر أن يرسم له بورتريه ليضمّه إلى سلسلة بورتريهات «معبد الفنّ.» فأسرَّ إلى ماري هاسكل في ١٠ أبريل/ نيسان ١٩١٢: «عليَّ أن أرسم عبد البهاء. صورته ضرورية لسلسلة رسومي تماماً كما صورة رودان». فأجابته ماري في اليوم التالي مطمئنّة إيّاه: «سيوافق على رسمك له ـ سيتفهّم السلسلة التي تنجزها وسيكون ذلك ممتعاً لكلّ منكما على السواء». كان الموعد يوم الجمعة ١٩ أبريل/ نيسان ١٩١٢ الساعة السادسة والنصف صباحاً. بدأت الجلسة الساعة الثامنة بحضور عدد من أتباع «المعلّم» وأُنجز الرسم في غضون ساعة. كان البورتريه آسراً. في نهاية الجلسة شكر عبد البهاء جبران: «كلّ إنسان يعمل بواسطة الروح، يحسن العمل. وأنت أحسنت لأنّ فيك شيئاً من قدرة اللّه». واستنتج جبران أنّ في ابتسامة المعلّم «سرّ سوريا وجزيرة العرب وبلاد الفرس.» قال إنّه أحبّ البورتريه لأنّه « يعبّر عن ذاته الفضلى أفضل تعبير!»[(١)]. وقبالة بورتريه مصغّر لعبد البهاء أنجزه جبران، علّقت ماري هاسكل: «استطعت أن تظهر لديه الضوء اللازمني والعين المحدّقة إلى الحقيقة. الناس، سيرون في الرّسم ما يرغبون لكنّهم سيدركون في جميع الأحوال أنّ الكائنات الحقيقيّة موجودة وعندئذٍ سيشعرون بالعزاء وستقوى عزيمتهم» (رسالة إلى جبران في ٢٤ أبريل/ نيسان ١٩١٢).

ابتداءً من أبريل/ نيسان ١٩١٢، زار عبد البهاء على مدى ثمانية أشهر، أربعين مدينة في الولايات المتحدة وفي كندا، وألقى ما يزيد على المئة محاضرة.

أراد بعضهم، على غرار جولييت تومسون، أن يجعل من جبران بطلاً من أبطال البهائية: «كان جبران يحبّ كثيراً المعلّم ويسعى إثر رفقته ويأتي ليراه». الواقع أنّ جبران، برغم أنّه كان حسّاساً حيال معظم الأفكار التي بشّرت بها هذه الحركة، لم ينتمِ إليها البتّة.

---

(١) رسالة إلى ماري هاسكل في ١٩ أبريل/نيسان ١٩١٢، منشورة في كتاب:
Virginia Hilu, *Beloved prophet: The Love Letters of Kahlil Gibran and Mary Haskell, and her private journal*, New York, Knopf, 1972, p. 74.

بوسطن

مدينة ومرفأ في الولايات المتحدة (ولاية نيوأنغلند)، عاصمة ماساتشوستس أنشأها المستوطنون الإنكليز عام ١٦٣٠، وسرعان ما أصبحت بوسطن مركزاً ثقافيّاً كبيراً. كانت في القرن التاسع عشر عاصمة البلاد الثقافية وفيها أقام إمرسون وهاوثورن وتورو ولونغفلو. ارتبطت بوسطن ارتباطاً وثيقاً بحياة جبران، وفيها استقرَّ لدى وصوله إلى العالم الجديد، وفيها فقد والدته وأخاه غير الشقيق وإحدى شقيقتيه. وفيها التقى فريد هولاند داي وجوزفين بيبودي وماري هاسكل وإميلي ميشيل وشارلوت تِلر. وفيها تعرّف على مختلف التيّارات الأدبية والفنِّية السائدة في زمانه. وهناك أيضاً، دُفن موقّتاً.

في ١٧ يونيو/حزيران ١٨٩٥ وصل جبران وأمّه وأولادها إلى ألّيس آيلند. ثم انتقلت العائلة إلى بوسطن وأقامت في حيّ «ساوث أند» حيث يعيش اللبنانيّون والسوريّون في ظروف صعبة. أقام آل جبران لدى أقارب لهم كانوا هاجروا من بشرّي إلى بوسطن قبل ذلك بخمسة أعوام. ثم انتقلوا إلى الإقامة في الطبقة الخامسة من مبنى عتيق على مقربة من بيتش ستريت الرقم ٩، أوليفر بلايس. في ٣٠ سبتمبر/أيلول، التحق جبران بمدرسة كوينسي المجّانية (الحيّ السوري من المدينة) حيث يتجاور العرب واليهود والصينيّون ومهاجرو أوروبا الشرقية. في «بوتقة الانصهار» هذه التي تعكس وجه أميركا ترسَّخت لدى جبران مبادئ التسامح. هناك تعلّم القراءة والكتابة باللغة الإنكليزية. وأمضى ثلاث سنوات في تلك المدرسة التي انطبعت ذكراها في ذهنه. وكان جبران يتردّد إلى مكتبة بوسطن العامّة (حيث تمثال فريديريك ماك مونيّز: «الكاهنة» وقد سحر جبران)، وإلى مؤسّسة خيرية تدعى «دونيسون هاوس»، يشرف عليها آباء كاثوليكيون حيث تعطى دروس في الرّسم والمسرح. وبفضل مرشدة اجتماعية اسمها جيسي فريمونت بيل، التقى جبران فريد هولاند داي، رسَّام غريب الأطوار مقيم في بوسطن وسيصبح معلّمه وسيتعرّف عبره إلى الشاعرة الجميلة جوزفين بيبودي.



النصب التذكاري الخاص بجبران في كوبلي سكوير في بوسطن

بعد رحلة قصيرة إلى لبنان، عاد جبران مجدّداً إلى بوسطن وأعاد اكتشاف هذه المدينة التي وُصفت آنذاك بـ «أثينا أميركا» حيث ازدهرت الحركات الزهدية كـ New Thought وTheosophical Society وChristian Science، كما كانت تدور في فلكها نخبة من الفنّانين المعروفين والواعدين الذين راحوا يستكشفون الميثولوجيا والحضارات والعلوم الباطنية والعوالم الروحانية، ناهلين من تلك الروحانية القادرة على رفد إلهامهم وحفظ توازنهم النفسي. وبرغم «حضور ملاكيْه الحارسين» (أي فريد هولاند داي وماري هاسكل التي تدير مدرسة في المدينة)، وبرغم ذكرى جوزفين بيبودي ولقاءاته مع إميلي ميشيل وشارلوت تِلِر، آل الأمر بجبران إلى الشعور بالسأم «من بوسطن هذه المدينة الصاخبة العجّاجة».

عام ١٩٠٨، غادر جبران بوسطن متّجهاً إلى باريس حيث أقام في العاصمة الفرنسية التي شغلته عن بوسطن التي وجدها مشؤومة مقارنة بمدينة النور. وفي

رسالة إلى يوسف الحويّك مؤرّخة في ١٩ ديسمبر/كانون الأول ١٩١١، اعترف جبران: «أنا في هذه المدينة (بوسطن) المملوءة بالأصدقاء والمعارف، ولكنّي غير مسرور في حياتي.» لدى عودته من فرنسا أحسَّ جبران بالاختناق في بوسطن فقرّر الانتقال إلى نيويورك ـ على أمل أن يحقّق طموحاته ـ لكنّه، مع ذلك لم يغادر بوسطن نهائيّاً بسبب إقامة شقيقته مريانا الدائمة فيها.

وفي يوم الاثنين ١٣ أبريل/نيسان ١٩٣١، بعد ثلاثة أيام من وفاته في نيويورك، نقل جثمان جبران إلى بوسطن. وفي اليوم التالي، أقيم قدّاس لراحة نفسه في كنيسة سيّدة الأرز، ترأّسه المونسينيور اسطفان الدويهي. عقب القدّاس، أُودع جبران مدفناً موقّتاً في مقبرة «مونت بنيديكت» حيث ترقد أمّه وشقيقته وأخوه غير الشقيق. وفي ٢٣ يوليو/تموز، غادر جثمان جبران العالم الجديد متوجّهاً إلى بلاد الأرز.

لم تنسَ بوسطن جبران، ففي عام ١٩٧٧، كرّمته المدينة بإقامة نصب تذكاري له في كوبلي سكوير، إحدى أهمّ ساحات المدينة، حيث كُتب:

«Kahlil Gibran - A native of Bsharri, Lebanon, Found Literary and artistic sustenance in the Denison settlement house, the Boston public schools and the Boston Public Library. A grateful city acknowledges the greater harmony among men and strengthened universality of spirit given by Kahlil Gibran to the people of the world in return».

◀ راجع أيضاً، فريد هولاند داي، دونيسون هاوس، كوينسي سكول.

بوفي دو شافان، بيار (١٨٢٤-١٨٩٨) Puvis de Chavanne, Pierre

رسّام رمزي فرنسي. كان جبران معجباً به وقد تأثّر به كثيراً. واستناداً إلى بطاقة بريدية أرسلها إلى مي زيادة في ١٧ يناير/كانون الثاني ١٩٢٤، اعتبره جبران «أكبر مصوّري القرن التاسع عشر على الإطلاق لأنّه أبسطهم قلباً وأبسطهم فكراً وأبسطهم تعبيراً ولأنّه أطهرهم نيّة...» خلال إقامته في باريس، زار جبران البانتيون ووقف متأمّلاً بإعجاب جدارية تمثّل القدّيسة جنفياف، وهي من أعمال



الفنان بيار بوفي دو شافان

بوفي دو شافان: «هل من طمأنينة أرحب وأعمق ممّا على وجهها؟»، يسأل صديقه يوسف الحويك.

◀ راجع: باريس؛ رسم.

بيبودي، جوزفين بريستون (١٨٧٤-١٩٢٢) Peabody, Josephine Preston

يمكن اعتبار جوزفين بريستون بيبودي، الملقّبة بـ «بوزي» ملهمة جبران الأولى في أميركا قبل وقت طويل من التقائه ماري هاسكل وإميلي ميشيل وشارلوت تِلِر. ترعرعت جوزفين في بروكلين في نيويورك حتى وفاة أبيها المفاجئة عام ١٨٨٤، والتي أغرقت العائلة في الحرمان وأرغمت جوزفين على السكن لدى جدّتها لأمّها في دورشستر بولاية ماساتشوستس. أظهرت جوزفين في سنّ مبكرة جدّاً شغفاً بالأدب والمسرح. نشرت أوّل قصيدة لها عام ١٨٨٨ في



جوزفين بيبودي في الثامنة عشرة من عمرها

The Woman's Journal. التحقت ثلاث سنوات بـ «المدرسة اللاتينية للبنات» في بوسطن (١٨٨٩ ـ ١٨٩٢) ومن ثم بـ «رادكليف كولدج.» التقت جبران خلال معرض في بوسطن. بادرته بالقول، مشيرةً إلى البورتريهات ورسوم المراهق: «أراك في كلّ مكان! غير أنّي أجدك كئيباً جدّاً. لِمَ أنت كئيب؟» بهت جبران متلعثماً حيال جمال الفتاة. ولم يحاول إنكار الكآبة الغالبة على طبعه. تأمّل جبران وجه بوزي متفرّساً بملامحها وقد صمَّم في قرارة نفسه أن يرسمها في أقرب فرصة. وقبل رحيله إلى لبنان، أنجز جبران بورتريه «بوزي» وعرضه على فريد هولاند داي الذي اقترح عليه إرساله إلى الفتاة مذيّلاً بإهداء. أذعن الفنّان المراهق لنصيحة صديقه. ولم تمضِ أيّام حتى تلقّت جوزفين بيبودي البورتريه بكثير من الدهشة مصحوباً برسالة باللغة العربية، مقتضبة ومبهمة الفحوى: «في الحقيقة، لم أنسَ خليل، تقول في إحدى رسائلها إلى داي. لكن ما أدهشني هو أنّه ما زال يتذكّرني. . .» فدفعها فضولها إلى استشارة أستاذ اللغات الشرقية في

جامعة هارفرد لفكّ رموز الرسالة التي كتب فيها جبران بكثير من الاستحياء: «إلى العزيزة غير المعروفة، جوزفين بيبودي».

وفي أواخر عام ١٨٩٨، أصدرت جوزفين باكورتها الشعرية *The wayfarers* (عابرو السبيل) لدى منشورات كوبلاند وداي. في مناسبة الاحتفال بصدور كتابها، التقت داي وراحا يستعيدان ذكرياتهما مع جبران. وفور عودتها إلى منزلها، قرّرت بوزي أن تكتب لصديقها الشاب تشكره على البورتريه الذي أهداه إليها.

«كانت مفاجأة سارّة ذلك اليوم الذي تلقّيت فيه البورتريه الذي رسمته بيديك قبل أن تبحر صوب الشرق. في البداية، لم أصدّق أنّ الرسم لي. كيف حفظت ملامح وجهي؟

(. . .) التقيت أخيراً صديقك داي وتحدّثنا عنك. أطلعني على عدد من رسومك التي أبقيتها في عهدته. وأودّ أن أقول لك إنّها كانت بلسماً للقلب. من خلالها يخيّل إليّ أنّني أفهمك على نحو أفضل وأشعر بأنّ نفسك توثّبت شوقاً غامراً للمشاركة. لك عينان لتبصر وأذنان لتسمع.

(. . .) أعتقد أنّ روحك تتنعّم في بلادك الجميلة وأنّك وجدت مكاناً هادئاً لتنمو فيه. . . أذكر كم أنّ كثيراً من الأنبياء عاشوا في البريّة يرعون الماشية! ألم يحرس أبولون قطعان الملك أدميتوس؟ كلّ من أغوته نفسه بالعزلة ردحاً سوف يهتدي إلى الأبرار في قلب العزلة، مثل ربيع مخبوء في كنف الصحراء».

ومن دون تردّد، أكبّ جبران على تحرير رسالة جوابية إلى بوزي بالإنكليزية مع أنّه كان لا يزال غير متمكّن منها:

«عزيزتي جوزفين،

يبدو أنّني أخيراً ربحتك صديقةً. هل يمكنني أن آمل ذلك؟ هذا الأمل كاد يتلاشى.

بالطبع، كنت جدّ مسرور لما شاهدت صورتك وما قيل عنها. ولكنتُ أكثر سروراً لو تلقّيت رسالة صغيرة منك لي تفتح الباب للصداقة بيننا (. . .) سأحتفظ

لك في قلبي بنوع من الحبّ. وسأحتفظ بذكراك في قلبي ولن يفرّق أيّ شيء بينك وبين فكري (. . .) مرّت الأيّام بسرعة هائلة بحيث لم أعد أراك لأزداد معرفة بك، حتى حملني حبّ الحكمة والمعرفة على اجتياز هذه المسافة البعيدة، وحطّني في بيروت، حيث أدرس، في إحدى كلّياتها، اللغة العربية والفرنسية وأشياء أخرى عديدة».

ثم ذيّل الرسالة بعبارة: «من صديقك البعيد البعيد، خليل جبران». وقد أخطأ الفتى المراهق في تدوين اسمها. ولأنّ العربية لا تحتوي على الحرف «P»، كتب الاسم كالآتي: «Miss Beabody»! تلقّت الفتاة الرسالة ببهجة ونسخت بعناية «هذه التحفة» في دفتر يوميّاتها «لكي تحفظها على نحو أفضل».

وخلال غياب صديقها، لم تهدر جوزفين وقتها سدى. أصدرت تمثيليتين، الأولى، *Fortune and men's Eyes* (١٩٠٠) من فصل واحد مستوحى من أبيات شكسبير، والأخرى *Marlowe* (١٩٠١) مخصّصة للشاعر كريستوفر مارلو. وزاولت التدريس من عام ١٩٠١ إلى عام ١٩٠٣ في «ويلسلي كولدج»، وذهبت إلى إنكلترا لتمضية عطلة الصيف ومنها إلى جولة في أوروبا. ولدى عودته إلى بوسطن، لم يتّصل جبران ببوزي على الفور، ذلك أنّ المآسي العائلية المتعاقبة صرفته لبعض الوقت عن تلك التي لم ينسها يوماً. وفي نوفمبر/تشرين الثاني، كتب إليها يُنبئها بعودته. وفور تلقّيها رسالة المعجب بها، سارعت جوزفين، في اليوم التالي، إلى الردّ برسالة جوابيّة دعته فيها إلى حفل استقبال كان مقرّراً أن يقام يوم الأحد في ١٦ نوفمبر/تشرين الثاني. قبل جبران دعوتها على الفور. وكان لقاؤهما حارّاً.

لم تكن تشعر حيال الفتى بحبّ حقيقي، لكنّها كانت تفتخر بكونها ملهمته: «لو التقيته أكثر ممّا ينبغي لجعل منّي بوذا»، تقول في يوميّاتها. لكنّها أيضاً مفتونة بهذا الشابّ «المختلف» وبأفكاره وبرسومه: «إنّه منصرف حاليّاً إلى نظم قصائد بالعربية. أمّا رسومه الجديدة فسوف أطّلع عليها قريباً. إنّي على يقين من أنّها ستهزّ العالم ذات يوم، لقد كان عزائي طوال هذه السنوات الخمس أنّني أدركت رقّة فؤاد هذا النبيّ الشابّ». ممّا لا شكّ فيه أنّ جوزفين هي أوّل من استشعر تلك

الروحانية الملابسة لأعمال هذا «الزاهد الشابّ»، هذا «العبقري» الذي تنظر إليه شقيقتها ماريون كأنّه «ملاك».

تكرّرت اللقاءات بين بوزي وجبران، فتبادلا الكثير من الرسائل، وتردّدا معاً إلى الحفلات الموسيقيّة، وشاهدا معاً عرضاً لأوبرا فاغنر «برسيفال». وقد قدّم لها عدداً من الهدايا: ناي وبورتريه بالباستيل، مرفق بهذه العبارة البليغة التي هي أشبه بالإلماح: «حذار، يا نفسي، ذاك أنّ الحبّ يخاطبك: فلتصغي إذاً: افتحي سدود قلبك واستقبلي الحبّ فلسوف يمجّدك الحب»... ففي نظره جوزفين هي «الصديقة العزيزة» و«المحبوبة» وهي «الحب العذب.» ويوقّع رسائله التي يبعث بها إليها بأحرف اسمه الأولى مرسومة كالأرابيسك «G.K.G». وفي دفتر يوميّاتها الحميمة، كانت تذكّره بهذه الأحرف. إنّه «أليف نفسها»، «ذلك المخلوق العبقري» الذي تسعى إلى أن تكون «عرّابته» (ففي مايو/أيّار ١٩٠٣، تتدبّر عرض أعماله في ويلسلي كولدج)؛ إنّها ملهمته.

غير أنّ سلوك المرأة الشابّة يشوبه بعض التعالي، حتى العجرفة، وهذا ما جعل التعاطي معها على مقدار من الصعوبة. جوزفين ـ التي يرى جبران أنّها تبالغ في تقدير جمالها ـ كانت مقتنعة أنّها تغذّي موهبة الفنّان، وتحسب أنّ وجودها بقربه ضرورة لتوازن الفتى وإبداعه: «لا يسعني إلاّ أن أبقى موجودة لأجله»، كتبت ذات يوم، كما كتبت في موضع آخر: «في كل مرّة أمدّ يديّ المملوءتين بالأمل، فينهل منهما الأفكار والسعادة والامتلاء. ثم أصغي إلى عبارات امتنانه ويغادرني وقلبه مفعم بالحرِّية والمجد. فليبارك اللّه ذاك الذي يتلقّى منّي الأعطيات التي أهبها بطيبة خاطر...» فهي ترى صديقها أشبه «بنعجة مصابة من قطيع الربّ يسعدني أن أغذّيها على نحو ما...» كأنّ «بوزي»، لا تكتفي بدور الملهمة بل تجعل من نفسها بغماليون.

واجه جبران وجوزفين مواقف بالغة الصعوبة، غير أنّ هذه الشراكة في المآسي كانت تشدّ عُرى صداقتهما («إنّ النفس الحزينة المبتلاة تجد راحتها عبر انصهارها بنفس أخرى تخالجها المشاعر نفسها، يكتب جبران. ففي كنف الحزن تُنسج روابط أمتن من تلك التي ينسجها الرخاء والبهجة...»)، لأنّ الأمر لا يعدو

كونه صداقة، على الأقلّ في نظر جوزفين. أمّا جبران فكان يؤلّه المرأة الشابّة تأليهاً تبدو معه في نظره تجسيداً لمثال الأنوثة، والسبيل المفضي إلى ذاك الكيان الأنثوي العلوي الذي يسمّيه «هي» وفي حالٍ مماثلة تبدو الصلة الجسدية مستبعدة. «وحبّي، يكتب لها، لا يولّد رغبة، لا يثير أيّ خاطرة أنانية (. . .) فهذه نفوس ضعيفة تستسلم لشهوة الجسد: ولا تقدر أن تحبّ». مع ذلك، في أكتوبر/تشرين الأول ١٩٠٣، انقلبت الأمور: تأخذ بوزي على جبران «تلميحه المغيظ على نحو ما» أو كما ترد العبارة حرفيّاً: Your infuriating suggestion more or less. ماذا تعني بذلك؟ هل تردّ على اعترافه لها بحبّه؟ وعلى طلب يدها للزواج بها؟ المرأة الشابّة بدت حانقة ومزّقت جميع الرسائل التي كان صديقها قد أرسلها إليها منذ أغسطس/آب. لمَ أتلفت هذه الرسائل بالذات واحتفظت بالرسائل السابقة؟ كان جبران غيَّر موقفه منها منذ ذلك التاريخ، ولعلّه كتب لها، بدءاً من شهر أغسطس/آب، أشياء كانت تفضّل أن تنساها. . . بحلول مايو/أيّار، تغدو رسائل جبران «أكثر إلحاحاً»: «لقد ألقيت تحيّة الصباح للتوّ على الوردة التي أعطيتني إيّاها مساء أمس. لثمت شفتيها وتخيّلتك تلثمين شفتيها أنت أيضاً». أيكون الشاعر قد أبقى علاقته بها على هذا النمط؟

لم يكفّا عن التراسل (وإن تبدّلت النبرة) مواظبين على التلاقي بين الفترة والفترة (ففي عام ١٩٠٤، يقضي ليلة عيد الميلاد وعيد مولده الثاني والعشرين بصحبتها)، إنما أدرك جبران وبوزي أخيراً أنّ علاقتهما مبنية على سوء تفاهم. كان يحبّها؛ أمّا هي فكانت تحبّ أن يحبّها. وشيئاً فشيئاً شهدت علاقتهما بعض الفتور. وكعربون انفصال، قدّم لها جبران خاتماً عتيقاً من الفضّة، عمره نحو قرنين، كان جدّه لأمّه، الخوري اسطفان، انتزعه من يد تمثال العذراء ليعطيه إيّاه لمناسبة عماده. كما رسم لها بورتريه يذيّله بسطرين بالإنكليزية غنيين بمشاعر الحبّ نحوها: «أحببتك بثقة، واليوم أحبّك بخشية. أحببتك كما لم أحبّ يوماً، غير أنّني أخاف منك.» بعد تفاقم مشكلاتها المالية، ارتبطت بوزي بعلاقة مع مهندس إنكليزي اسمه ليونيل ماركس، كان يعمل أستاذاً في جامعة هارفرد، لم يتقبّل جبران هذا الغريم الموسِر الحائز شهادات جامعية. أدرك مكامن ضعفه

ومقدار سذاجته. غير أنّ ما حصل قد حصل، فوجّه في نصّ أسماه «مناجاة» نداءً بائساً إلى تلك التي تسكن أفكاره وهجرته للتوّ من أجل رجل آخر.

«أين أنت يا حبيبتي؟ هل أنت سامعة من وراء البحار ندائي وانتحابي، وناظرة ضعفي ومذلّتي (...) آه ما أعظم الحبّ وما أصغرني!...»

عام ١٩٠٦ تزوَّجت بوزي بخطيبها. وعلى الرّغم من تلقّيه دعوة إلى حفل الزفاف، رفض جبران أن يحضره.

عام ١٩٠٧، أصدرت جوزفين بيبودي مسرحية شعرية بعنوان *The wings*. وفي السنة التالية مجموعة قصائد للأطفال، وفي ١٩٠٩ مسرحية تراجيدية عنوانها *The piper*، نالت على أثرها جائزة ستراتفورد وعرضت في لندن ونيويورك، كذلك أصدرت ديوانين *The Singing Leaves* (١٩١١) و*The wolf of Gubbio* (١٩١٣) ومسرحية عن فرنسيس الأسيزي: *Harvest Moon* (١٩١٦)، بالإضافة إلى *The Chameleon* (١٩١٧) و*Portraits of Mrs. W.* (١٩٢٢). ألهم جبران عدداً من نصوصها إذ كتبت قصيدة عنوانها *Boyhood* (طفولة شاب) ثم أبدلت العنوان بآخر فأصبح *The prophet* (النبيّ). وفي أنطولوجيا شعرية لهارييت مونرو *Harriet Monroe* نجد قصيدة لجوزفين بيبودي عنوانها «الأرز» مأخوذة من ديوانها *The Singing Leaves* ومستوحاة ولا شك من جبران:

The Cedars
All down the years the fragrance came
The mingled fragrance, with a flame,
Of cedars breathings in the sun,
The cedar - trees of Lebanon

الأرز

من سحيق السنين جاء الأرز
ممزوجاً بشعلة من غابة تتنفّس
هي غابة الأرز في لبنان

أهدى جبران إلى بوزي كتابه **الموسيقى** («مع الحبّ والتقدير والتمنّيات»)،

واستوحى من أحد أبياتها عنوان روايته **الأجنحة المتكسّرة**.

◀ راجع أيضاً وليم بلايك؛ فريد هولاند داي؛ **الموسيقى**؛ نساء.

بيرس، فلورانس Pierce, Florence

معلّمة جبران الرّسم في «دونيسون هاوس» في بوسطن. في عام ١٨٩٦، وبعد أن رسم جبران الكاهنة، تمثال فرديريك ماك مونيّز، عرض رسمه على فلورانس بيرس فلفتتها موهبته وأوصت به إلى مرشدة اجتماعية اسمها جيسي فريمونت بيل التي اتّصلت على الفور بمصوّر فوتوغرافيّ وناشر اسمه فريد هولاند داي وسألته العناية بهذا الفنّان الصاعد. وعندما علمت، بعد سنتين، أنّه عائد إلى لبنان، أرسلت شيكاً إلى داي «مساهمة منها في نفقات خليل» المترتّبة على سفره. وفي التاسع من يوليو/تموز، أقامت حفل عشاء تكريماً لتلميذها الموهوب كي تودّعه وفي ١٠ سبتمبر/أيلول كتبت إلى داي: «أعتقد أنّ خليل وصل إلى سوريا الآن. أخشى أن يكون رحيله غير مناسب له. لكنّه الآن بات واثقاً بميوله الفنّية، وبإمكانه أن ينهل من الأجواء المحليّة ثم يعود (. . .) منتعشاً من زيارته إلى مسقط رأسه».

◀ راجع أيضاً جيسي فريمونت بيل؛ فريد هولاند داي؛ دونيسون هاوس.

بيل، جيسي فريمونت Beale Jessie Fremont

مرشدة اجتماعية في بوسطن. أوكلت إليها مهمّة إنشاء مكتبات في الأحياء المعدمة. اتّصلت بها فلورانس بيرس، معلّمة جبران في دونيسون هاوس. استوقفتها موهبة جبران فكتبت إلى صديقها المصوّر والناشر فريد هولاند داي في ٢٥ نوفمبر/تشرين الثاني ١٨٩٦ موعزة إليه أن يأخذ هذا الفتى الواعد على عاتقه: «الحقيقة أنّ اهتمامي بالفتى كبير ولمّا كنت عاجزة عن مساعدته، وجدت نفسي، في آخر المطاف، مرغمة على البحث عمّن يقدر على مساعدته فعلاً».

◀ راجع أيضاً: فلورانس بيرس؛ فريد هولاند داي؛ دونيسون هاوس.

made quite a sensation.
I fear you will feel this re-
quest in regard to Khalil almost
an intrusion, but I am so inter-
ested in the little fellow myself,
and yet so utterly helpless, that I feel
as if I must try to find some
one else who can be of real use
to him. Very cordially Yours
Wednesday. Jessie Fremont Beale

رسالة جيسي فريمونت بيل إلى فريد هولاند داي حول جبران (١٨٩٦)



التائه

صدر كتاب **التائه** عام ١٩٣٢بعد وفاة جبران. اختار جبران عنواناً أوّليّاً له هو **الدرويش**. يروي **التائه** عبر أمثال وحكايا قصيرة تيَهان المفكّر على دروب الندم، وبذلك يكون استكمالاً لكتابيه **المجنون** و**السابق**. بلهجة متهكّمة أحياناً وكاشفة أحياناً أخرى، يتطرّق إلى أحبّ الموضوعات إلى قلبه: المحبّة، الحقيقة،



غلاف «التائه» بالإنكليزية

الطبيعة، اللّه. . . «إنّي أهيّئ كتاباً آخر، **التائه**، كتب جبران إلى ماري هاسكل في ١٦ مارس/آذار ١٩٣١ قبل أيّام قليلة من وفاته، مع الرسوم التي ستدرج فيه. إنّه كتاب أمثال. ويرغب ناشر كتبي في إخراجه خلال نوفمبر/تشرين الثاني المقبل. . . وعليَّ أن أسلّم المخطوط إليه مع رسومه في غضون شهر. ولا أدري هل يعنيك رؤية المخطوط بعينيك البصيرتين لتضعي يديك العارفتين عليه قبل دفعه إلى الناشر».

تابت، أيّوب (١٨٧٤-١٩٤٧)

رجل سياسي لبناني، زميل جبران في معهد الحكمة وشقيق سلطانة تابت. عام ١٩١٧، التحق جبران في الولايات المتحدة بلجنة التطوّع لأجل سوريا وجبل لبنان التي كان يترأسها أيّوب تابت والمكلّفة تجنيد سوريي أميركا ولبنانيّيها الراغبين في القتال إلى جانب الحلفاء لتحرير المنطقة من النير العثماني. في تلك



الرئيس أيوب تابت

الفترة تولّى أيّوب تابت وزارتَي الداخلية والصحة ومن ثمّ رئاسة الجمهورية. زعم جبران أنّ تابت اقترح عليه منصباً وزارياً لكنّه رفض. ولكن لم يتأكّد هذا الأمر.

◄ راجع: سلطانة تابت؛ معهد الحكمة.

تابت، سلطانة

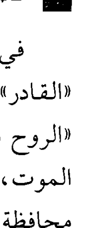
شقيقة أيّوب تابت. تعرّف إليها جبران في سنّ الثامنة عشرة وكانت هي في الثانية والعشرين وقد فقدت زوجها للتوّ. «كانت (باعتراف جبران الذي رسم لها بورتريه) جميلة، متعدّدة المواهب وتعشق الشعر.» تواصلت لقاءاتهما أربعة أشهر تبادلا خلالها الكتب ودوّنا على حواشيها الملاحظات والانتقادات. «كنت في الثامنة عشرة عندما فتح الحبّ عينيَّ بأشعّته السحريّة ولمس نفسي لأوّل مرّة بأصابعه الناريّة (...) أيّ فتى لا يذكر الصبيّة الأولى التي أبدلت غفلة شبيبته



سلطانة تابت بريشة جبران (١٩٠٠)

بيقظة هائلة بلطفها، جارحة بعذوبتها، فتّاكة بحلاوتها؟ من منّا لا يذوب حنيناً إلى تلك الساعة الغريبة (. . .) كنت حائراً بين تأثيرات الطبيعة وموحيات الكتب والأسفار عندما سمعت الحبّ يهمس بشفتي سلمى في آذان نفسي» سوف يكتب في **الأجنحة المتكسّرة**، حيث بطلة الرواية سلمى كرامة مستلهمة من شخصية سلطانة تابت. لكن سلطانة توفّيت فجأة، وتعاظم حزن جبران عليها أضعافاً عندما بُعث إليه ببعض متعلّقات الراحلة: «منديل حرير وبعض الحلى ورزمة من سبع عشرة رسالة». هي رسائل حبّ كتبتها المرأة الشابّة لجبران ولم تجرؤ على إرسالها إليه. عندئذٍ كتب جبران: «لا أحد قد يتخيّل شدّة الألم الذي شعرت به. لمَ لم ترسلها إليَّ من قبل؟»

◀ راجع: **الأجنحة المتكسّرة**.



تصوّف

في جميع أعماله ولا سيّما في **النبيّ**، لا يكفّ جبران عن ذكر اللّه: فهو «القادر»، «حارس الليل»، «الشجرة السماوية»، «رامي السهام»، «الخزّاف»، «الروح السيّد على الأرض». . . كل شيء يتّجه إليه: الصلاة، المحبّة، الأهواء، الموت، العطاء، العمل. . . جبران المسيحي الماروني ترعرع في كنف أمّ مؤمنة محافظة وتربّى على يد الأب سمعان، ثم على أيدي رهبان معهد الحكمة. كان يمتلك معرفة عميقة بالدين المسيحي والكتاب المقدّس الذي ما زالت نسخة منه محفوظة في مكتبته في بشرّي. لكن هذه المعرفة لم تكن مصحوبة يوماً باحترام الكنيسة. امتعض من تصرّف بعض رجال الدين ـ من تسلّطهم الجائر وثرائهم الفاحش زمن المجاعة ـ بالإضافة إلى تأثّره البالغ بكلّ من بلايك الذي كان يعتبر أنّ «الرهبان يقيّدون المباهج والرغبات بحبال الشوك»، وبأمين الريحاني الذي كان يدعو إلى التسامح الديني و«جعل الإيمان مسألة شخصية»، وأصدر عام ١٩١١ روايته المعادية لرجال الدين **كتاب خالد**. عمد جبران في معظم أعماله الأولى إلى استهداف رجال الدّين بسهامه، في «يوحنا المجنون» (**عرائس المروج**) أو

«خليل الكافر» (**الأرواح المتمرّدة**)؛ فهؤلاء «باعة صلوات» ومن رفض الشراء يُرمى بالإلحاد والكفر ويحجب عنه الفردوس. يقيم جبران مقارنة بين عطف المسيح وتفانيه وبين ضغينة رجال الإكليروس وصغارتهم. ولا يتوانى في **الأجنحة المتكسّرة** عن تشبيه الأساقفة بـ «أفاعي البحر».

أيّ إلٰه ذاك الذي يؤمن به جبران؟ إلٰه جبران إلٰه خاصّ، تنهل نزعته الصوفية من مناهل وتأثيرات متقاطعة في ما بينها: المسيحية، الإسلام، التصوّف الإسلامي (مذهب الاتحاد باللّه وإحادية الوجود)، ديانات الهند الكبرى، الباطنية، التيوصوفية، علم النفس اليونغي (نسبة إلى يونغ)... وتجد أصداء لها في أعمال نيتشه وبلايك وجيد وماترلنك ورينان وإمرسون ووالت ويتمان، التي كان يعرفها جيّداً، وربما في أعمال هرمان هِسه الذي قرأ على الأرجح روايته الشهيرة **سيدهارتا**. لا يُعقل في نظر جبران أن يختزل الإنسان بما هو عليه. إذ ينبغي له أن يتخطّى ذاته ويسير بشوق نحو ذاته الربّانية ويتوق إلى بلوغ الوحدة الكونية الجامعة حيث كل شيء يتوحّد مجدّداً في نشيد واحد فريد كلّي. هذه الوحدة ليست سوى اللّه. وبعد أن تسلك الذات الدرب المفضي إليه، تمتزج به. يقول جبران في **آلهة الأرض**: «الإنسان إلٰه ينهض في تمهّل». وفي ٣٠ يناير/كانون الثاني ١٩١٦، يوضح فكرته في إحدى رسائله إلى ماري هاسكل: «اللّه يشتاق لأن يغدو الإنسان والأرض على مثاله وحفنة منه. اللّه ينمو من خلال شوقه، ويصبو الإنسان والأرض وكل ما عليها إلى اللّه بقوّة الشوق».

◄ راجع: تقمّص؛ دين؛ صوفية؛ طبيعة؛ يسوع.

تقمّص (أو تناسخ)

لم يستخدم جبران هذه العبارة البتّة، إلاّ أنّه يؤمن بـ «ديمومة الحياة»، مستلهماً النظريّة الهندوسيّة في موضوع تجسّد النفس في مراحل تطهيريّة حتّى الحلول النهائي في المطلق، يتبنّى جبران فكرة العود الأبدي كمفتاح خلود النفس: «لا تنسوا أنّي سآتي إليكم مرّة أخرى. فلن يمرّ زمن قليل حتّى يشرع

حنيني في جمع الطين والزبد لجسد آخر. قليلاً ولا تروني، وقليلاً تروني، لأنّ امرأة أخرى ستلدني». وفي رسالة إلى ماري هاسكل مؤرّخة في ٨ يونيو/ حزيران ١٩٢٤: «في أعماق نفسي، تجارب شخصية عديدة تؤكّد أنّني عشت في الماضي أكثر من مرّة. وأنا واثق بأنّني عرفتك قبل الآن، قبل آلاف السنين».

ما مصدر هذه الفكرة؟ لربَّما مصدرها هو الألم الناجم عن فقده حبّه الأوّل سلطانة تابت، ثم فقده على التوالي كلاً من شقيقته، وأخيه غير الشقيق، وأمّه وأبيه، إذ يحدوه الأمل على أنّهم سيحيون مجدّداً. ذلك أنّ التقمّص (التناسخ) الراسخ في معتقدات طائفتين دينيّتين في لبنان وسوريا، لا سيّما لدى الدروز والعلويين، وفي الأوساط المورمونية في أميركا، تمنح العزاء بحياة جديدة بعد الموت...

جبران تأثّر أيضاً بنيتشه. وبعض أصدقائه أمثال ميخائيل نعيمة وشارلوت تِلِر وبرباره يونغ (التي كانت مقتنعة بأنّها كانت أفريقية في حياتها السابقة!) كانوا يشاطرونه هذه الفكرة، فضلاً عمّا تنطوي عليه هذه النظرية المساواتية من وعد للمحرومين بـ «ثأر» اجتماعي ما دام أغنياء اليوم سيكونون فقراء الغد والعكس صحيح، هذه الموضوعية الحاضرة بقوّة في أعمال جبران، يعبّر عنها بشاعرية فائقة في **البدائع والطرائف**:

«يا نفس ما العيش سوى ليل إذا جنّ انتهى
بالعجز، والفجر يدوم...
وفي ظما قلبي دليل على وجود السلسبيل
في جرّة الموت الرحوم
يا نفس إن قال الجهول الروح كالجسم تزول
وما يزول لا يعود
قولي له إنّ الزهور تمضي ولكنّ البذور
تبقى وذا كنه الخلود»

◄ راجع أيضاً: تصوّف؛ دين.



متحف جبران

شارلوت تِلر بريشة جبران

تِلر، شارلوت (١٨٧٦ ـ ١٩٥٤) Teller, Charlotte

شارلوت تِلِر هي ابنة المحامي العام بولاية كولورادو جيمس ب. تِلِر، وعمّها السيناتور هنري تِلِر. تخرّجت في جامعة شيكاغو (١٨٩٩). وكانت مولعة بعلم التحليل النفسي فواصلت دروسها في برلين وارتبطت بصداقة مع كارل غوستاف يونغ. عملت صحافية في *Chicago Tribune* و*New York Journal* و*Everybody's Magazine*. كانت مناضلة من أجل حقوق النساء، ولم تتردّد في إلقاء محاضرات في «النموذج الاشتراكي الفرنسي» دعماً لصديقها الحميم تشارلز إدوارد راسل، المرشّح الاشتراكي في الانتخابات لمنصب حاكم ولاية نيويورك. طمحت شارلوت إلى أن تصبح كاتبة فنشرت عدداً من النصوص لدى دار Hearst وألّفت مسرحيّات عدّة (من بينها مسرحية تاريخية عنوانها **ميرابو** *Mirabeau*) كما راسلت مارك توين الذي كتب لها: «لديك من النبل يا شارلوت، أكثر ممّا

تصوّرين.» أصدرت عام ١٩٠٧ رواية **القفص** *The Cage* لدى دار ابلتون. كانت مطلّقة (عقب زواجها عام ١٩٠٢ بالمهندس فرانك ميناتري جونسون الذي افترقت عنه بعد سنتين من الزواج) ومنفتحة جدّاً، تكنّ لماري هاسكل حبّاً يقارب العشق («لا أحد يقدر أن يحبّني كما تحبّينني أنت، ولا حتّى كما أنا أحبّك» كتبت لها ذات يوم)، وأقامت معها علاقة ملتبسة.

نشأت مودّة بين جبران وهذه المرأة الشابّة في يناير/كانون الثاني ١٩٠٨، لمناسبة حفل عشاء أقيم في منزل ماري هاسكل التي كانت تعينها ماديّاً، اعتبر جبران جمالها غريباً «وكرّس لها بضعة رسوم ولوحات. عرّفته على مبادئ التيوصوفية وزارته في باريس، ثم وضعت في تصرّفه شقّتها في غرينويتش فيلدج عندما اتّخذت قرارها الانتقال إلى نيويورك. وبواسطتها تعرّف على المعالجة النفسانية بياتريس هينكل.

أصبحت عشيقة الريحاني، ثمَّ قطعت علاقتها به، وبعد مضيّ بضعة أشهر، تزوّجت جيلبيرت هيرش (صحافي شابّ متخرّج في جامعة هارفارد توفّي في ٣ مايو/أيار ١٩٢٦ في ظروف غامضة). بدءاً من عام ١٩٢٢، انتقلت للإقامة في أوروبا حيث أصدرت بضعة أعمال من بينها *Reasons for France* (١٩٣٩) تحت الاسم المستعار (اسم رجل) جون برانغوين John Brangwyn. وافتها المنية في باريس عام ١٩٥٤ مخلّفة ابناً وحيداً ريتشارد تِلِر هيرش المولود في ألمانيا عام ١٩١٣. وتولّى لاحقاً إدارة متحف أوكلند للفنون في نيوزيلندا.

◀ راجع: التيوصوفية؛ أمين الرّيحاني،؛ ماري هاسكل؛ بياتريس هينكل.

التيوصوفية Théosophie

تأسّس هذا المذهب عام ١٨٧٥ على يد هيلينا بتروفنا بلافاتسكي (١٨٣١ ـ ١٨٩١). كانت التيوصوفية ماثلة بقوّة في الأوساط الفارسيّة لتلك الحقبة، تدعو إلى وحدة الوجود والماهيّة الإلٰهية للكائنات البشرية والتناسخ. كان ثلاثة من أصدقاء جبران مقرّبين من الـ Theosophical Society، هم شارلوت تِلِر

والمهندس المعماري والناقد كلود براغدُن (Claude Bragdon) وميخائيل نعيمة الذي تلقّن مبادئ هذه العقيدة على يد طالب اسكوتلندي شابّ. أمّا فريد هولاند داي فلم يعتنق مذهب التيوصوفية. «لم يتبع داي مذهب التيوصوفية ولا مذهب «الكريستشان ساينس» السائدين في زمانه، وكان لهما أتباع ودعاة في بوسطن»، كتبت أنا. إ. هافينغا[١].

◄ راجع: تقمّص.

(١) Pam Roberts (dir.), *F. Holland Day*, Amesterdam B.V. waanders / Uitgeverij, 2001.

ج



جبران، خليل سعد

هو والد جبران. وُلد خليل سعد جبران في بشرّي عام ١٨٥٢ وتوفّي فيها عام ١٩٠٩. متحدّر من عائلة مارونية من بشرّي أعطت ثلاثة أو أربعة كهنة: «أمّا بالنسبة لعائلة أبي، فأنا فخور بأنّها تحوي ثلاثة أو أربعة كهنة»، كتب جبران إلى مي زيادة في ١٨ يناير/كانون الثاني ١٩٢٠. كان والد جبران جابي ضرائب ويمتلك مزرعة في مرجحين في الهرمل، لكنّه كان يصرف معظم وقته في معاقرة الخمر ولعب الورق. كان صلب البنية، ذا بشرة فاتحة وعينين زرقاوين وشاربين بُنّيَيْن. من الناحية الأخلاقية، «كان طبعه صلفاً ولم يكن رجلاً محبّاً[(١)].» عانى جبران الكثير من تنكيده وعجزه عن تفهّم الأمور. لكن خليل كان يمتاز بتسامح ديني كبير: ذات مرّة تعاملت امرأة من أهل بشرّي، جارة لجبران، بعنف مع بائع زيت جوّال من الطائفة الأرثوذكسية، بذريعة أنّ هذا الأخير لا ينتمي إلى الطائفة المارونية، الأمر الذي أغضب والد جبران الذي لا يقرّ بهذا التمييز فعمد إلى شراء الزيت من البائع المسكين ثم دعاه إلى تناول طعام العشاء في بيته، الأمر الذي أشعر ابنه بسعادة عارمة ودفعه طوال حياته لنبذ التزمّت الدينيّ. عام ١٨٩١، اعتُقل والد جبران بتهمة إساءة الأمانة في جباية الضرائب. وهكذا فإنّ «أملاكه وبساتينه وحقوله حُجزت، بالإضافة إلى دارة العائلة بكل ما تحويه من متاع قيّم،

---

(١) Virginia Hilu, *Beloved prophet: The Love Letters of Kahlil Gibran and Mary Haskell*, New York, Knopf, 1972, p. 32.



خليل سعد جبران متوسطاً عائلته (جبران إلى يسار الصورة)

من كتب وأثاث، بعضها إرث تناقلته العائلة أباً عن جدّ ولأجيال متعاقبة. لقد صادروا كلّ شيء حتّى أنّنا صرنا ضيوف السلطة في منزلنا بالذّات»، سيقول جبران في ما بعد، وتتابعت إجراءات المصادرة بعد وفاة والده، وهذا يفسّر إلى حدّ كبير تحفّظ جبران في العودة إلى بلاده.

لدى عودته إلى لبنان، بعد إقامته الأولى في بوسطن، اصطدم جبران بإعراض والده عنه وعدم مراعاة مشاعره وهزئه من «شروده»، وعدم تفهّمه رغبته في أن يكرّس حياته للرسم والأدب بدل أن يصبح محامياً.

ضاق الفتى ذرعاً بملاحظات أبيه المهينة، هجر المنزل العائلي وراح يبدّل إقامته بين قبو منزل ريفيّ لأحد وجهاء المنطقة اسمه راجي الضاهر، وبين منزل عمّته ليلى. بلغت جبران وفاة والده في رسالة موجّهة إليه من بشرّي عام ١٩٠٩. وفي ٢٣ يونيو/ حزيران، كتب إلى وليّة نعمته ماري هاسكل: «ماري الحبيبة، لقد فقدت والدي. مات في المنزل القديم حيث ولد... كتب إليّ أصدقاؤه

ليخبروني بأنّه باركني قبل أن يسلم الروح. لا أستطيع إلاّ أن أرى ظلال الأيّام السالفة عندما كان أبي وأمّي وبطرس وكذلك أختي سلطانة أحياء ويبتسمون أمام وجه الشمس. أين هم الآن؟ هل ما زالوا معاً؟ هل يمكنهم تذكّر الماضي كما نفعل نحن؟ هل هم قريبون من هذا العالم أم بعيدون عنه؟ أعلم يا عزيزتي ماري أنّهم يواصلون حياتهم وأنّ حياتهم الجديدة أكثر حقيقة وأجمل من حياتنا. هُم أقرب منّا إلى اللّه».

راجع أيضاً: لبنان.

جبران، سلطانة (١٨٨٧ ـ ١٩٠٢)

شقيقة جبران. ولدت في بشرّي. هاجرت مع والدتها إلى بوسطن وساعدت أخاها غير الشقيق بطرس، فعملت بائعة في دكّانه. كانت، بحسب فريد هولاند



سلطانة جبران بريشة شقيقها جبران (١٩١٠)

داي، الأكثر شبهاً بجبران لناحية المظهر أم لناحية الطباع. أصيبت بتدرّن في جانبي عنقها لكنّها لم تخضع للجراحة لأنّ الطبيب اعتبرها غير قادرة على تحمّلها. أصيبت في سبتمبر/أيلول ١٩٠١ بسلّ حادّ سريع. وبدءاً من يناير/كانون الثاني ١٩٠٢، أصبحت عاجزة عن السير بسبب تورّم ساقيها حتى الركبتين. وافتها المنية يوم الجمعة ٤ أبريل/نيسان ١٩٠٢ عند التاسعة صباحاً، في غياب جبران الذي توقّف في باريس على طريق عودته من لبنان. كانت في سنّ الرابعة عشرة. لم يصل جبران إلى بوسطن إلاّ في ١٣ أبريل/نيسان، بعد انقضاء عشرة أيّام على الجنازة. مراعاةً منه لألم العائلة، اجتنب أيّ ذكر للفقيدة. وإكراماً للتقاليد، قرّر حداداً عليها أن يقصّ شعره ويرتدي الأسود.

جبران، مريانا (١٨٨٥ ـ ١٩٧٢)

شقيقة جبران. ولدت في بشرّي ورافقت العائلة إلى منفاها الأميركي. بدأت بمساعدة والدتها في أعمال الخياطة، ثمّ عملت بائعة في دكّان لأخيها غير الشقيق بطرس. عقب موت أختها المبكر سلطانة، اهتمّت بوالدتها وبأخيها بطرس المريضين. بقيت وحدها مع جبران في بوسطن وسهرت على راحته بحنان حتى انتقاله إلى نيويورك. ثم عملت في مجال التمريض عام ١٩٣٠، أذعنت لإصرار أخيها وغادرت الحيّ الجنوبي المشؤوم في بوسطن لتقيم في ٢٨١، فورست هيلز ستريت، جامايكا بلاينز، بولاية ماساتشوستس.

عقب وفاة جبران، وافقت على نقل جثمانه إلى لبنان. وامتثالاً لرغبته، تملّكت دير مار سركيس الذي احتضن متحف جبران. وبرغم من أنّ أخاها أوصى بكلّ ما له من دراهم وبأربعين حصّة من حصص شركة بناية المحترف ٥١ من الشارع العاشر غرباً إلى شقيقته مريانا، اعترضت على صحّة الوصية، لكنّها خسرت دعواها. عام ١٩٦٨، اشتدّ مرضها فذهبت إلى الإقامة في منزل للراحة حيث توفيت في ٢٨ مارس/آذار ١٩٧٢.



صورة لمريانا بعدسة فريد هولاند داي

كانت مريانا لجبران الأخت العطوف دوماً والساهرة على راحته ورفضت الزواج لكي تهتمّ به أحسن اهتمام.

جبران، نخلة

وُلد نخلة جبران في بشرّي وكان قريب جبران ورفيق اللعب أثناء الطفولة. هاجر إلى البرازيل حيث مارس التّجارة، لكنّه واظب من هناك على مراسلة جبران، وثمّة على الأقلّ سبع رسائل وجّهها كاتب **النبيّ** إلى نخلة ويدعوه فيها «أخي الحبيب».

جوليان، أكاديمية Académie Julian

فور استقرار جبران في فرنسا، سارع إلى الالتحاق بأكاديمية جوليان، أكبر

أكاديميّات باريس الخاصة. أسَّسها رودولف جوليان عام ١٨٦٨ واعتبرت بديلاً من معهد الفنون الجميلة الذي كان يتطلّب شروطاً أكثر صرامة. أذعن جبران بطيبة خاطر لطقوس «التزريك» bizutage. «خلال حفل الطلاّب الذي أقيم لاستقبال الوافدين الجدد، كان عليَّ أن أحتسي الشراب كما فعل الجميع. بعضهم غلبه النعاس، وبعضهم الآخر شعر بتوعّك. أمّا أنا فلم أشعر بشيء لا بل كنت مبتهجاً وأمضيت وقتاً ممتعاً.» في كتابه *In The Quarter*، يصف لنا الكاتب روبرت وليم تشامبرز محترفات ذلك الزمان التي كان يتردّد إليها عدد من الفنّانين الأميركيين:

كان الحرّ خانقاً، والجدران الملطّخة بفضلات نحو مائة مَلْوَن كأنّها تنشّ وتنبعث منها رائحة مقزّزة هي مزيج من روائح الطلاء والتربانتين. وضعتان فقط أنجزتا، ومع ذلك كان الموديلات، وقوفاً أو جلوساً متعبين تتصبَّب أجسادهم عرقاً. من بين الفتية المتمرّنين على الرّسم، كثيرون خلعوا قمصانهم ولبثوا عُراة الصدور. كان الهواء مثقلاً بدخان التبغ وبأنفاس نحو مائتي طالب ينتمون إلى نحو مائة جنسية...».

لم يتوانَ جبران المبتدئ عن ترك هذه الأكاديمية التي كان جوّها لا يوافق مزاجه. يكتب يوسف الحويّك: «ضاق جبران بالفوضى التي تعمّ أكاديمية جوليان التي التحق بها ورأى أنّ نصائح أستاذه جان ـ بول لورنس لا تأتيه بأيّة فائدة. وزيادة على ذلك، لم يكن هذا الفنّان معروفاً في أميركا».

◀ راجع: باريس؛ يوسف الحويّك.

ح

حدّاد، عبد المسيح

صديق جبران ومؤسّس مجلّة «السائح». ليل العشرين من أبريل/نيسان ١٩٢٠، أثناء اجتماع عُقد في منزل عبد المسيح حدّاد، أجمع الكتّاب اللبنانيّون والسوريّون المقيمون في نيويورك على إنشاء «الرابطة القلمية». عبد المسيح حدّاد آخر من رأى جبران. في ٦ أبريل/نيسان ١٩٣١، وفي نهاية زيارة قام بها



عبد المسيح حدّاد

لصديقه، فوجئ بحالة جبران الصحّية: «للمرّة الأولى أسمع الموت في صوته ويتراءى لي في ملامح وجهه. تبادلنا الحديث في أمور شتّى، غير أنّ أكثر ما تطرّق إليه جبران كان موضوع «الرابطة القلمية» والرفاق أعضائها. ذكرهم جبران واحداً واحداً بالاسم معبّراً بمثابة وداع عن المشاعر التي يكنّها لهم. ثم سألني عن أخبار عائلتي وحرص على تسمية الأولاد كلاًّ باسمه وأعطاني نقوداً وأوصاني بأن أشتري باقة زهور باسمه لأمّهم».

◄ راجع: الرابطة القلمية.

الحدّاد، يوسف

كاهن ماروني، ولد في عين كفاع (قضاء جبيل) عام ١٨٦٥. دخل سلك الكهنوت عام ١٨٨٩. كان أستاذ جبران في معهد الحكمة، وأثّر في العديد من



الأب يوسف الحدّاد، أستاذ جبران في مدرسة الحكمة (رسم قيصر الجميّل)

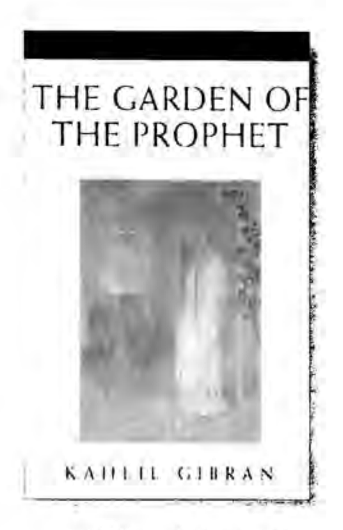
الأدباء المشهورين (أمين تقي الدين وميشال زكّور). ألَّف بعض القصائد والمسرحيّات، وكان يتمتّع بموهبة إرشاد تلاميذه إلى الأدب. أتيح لجبران، من خلال صلته به، اكتشاف كنوز اللغة العربية، فقرأ ابن خلدون والمتنبّي وابن سينا وشعراء الصوفيّة. كتب الأب يوسف حدّاد: «كان يأتيني بمقالات من عنديّاته، فأرى فيها جسماً متناسق الأعضاء عليه مسحة من الجمال تحت ثوب من اللفظ لا يشاكل المعنى. وكان جبران ينمو في أسلوبه نموّ الحورة وينبثق انبثاق الحوض، ومعه تقوى الروح الوثّابة المتمرّدة. فكّر طويلاً، واكتب قليلاً، قلت له، . . .» وجبران، من ناحيته، كان معجباً بأستاذه: «إنّه الوحيد الذي علّمني شيئاً. . .» ولدى صدور **الأجنحة المتكسّرة**، أرسل جبران، بحسب قول الشاعر الياس أبو شبكة، نسخة عن الكتاب إلى أستاذه[1].

◄ راجع أيضاً: معهد الحكمة.

حديقة النبيّ

صدر كتاب **حديقة النبيّ** عام ١٩٣٤. إنّه تتمّة لـ **النبيّ**، ويتحدّث فيه جبران عن وصول المصطفى إلى جزيرته. في أكتوبر/تشرين الأول ١٩٢٤، كتب جبران إلى ماري هاسكل: «الكتاب الثاني لـ **النبيّ** «ينمو بصمت»». وأسرّ لها في مايو/أيّار ١٩٢٩: «لا يزال كتابي عن شكسبير فكرة في الذهن. وقد يكون من الأفضل لي العمل على **حديقة النبيّ** قبل الخوض في الكتابة عن شكسبير». لحظة وفاة جبران (الذي كان يخطّط لمؤلّف ثالث عنوانه **موت النبيّ** ويتناول فيه العلاقة بين الإنسان واللّه)، كان العمل قيد الإنجاز لكنّ «الخيط الناظم لسياقه كان لا يزال مفقوداً»، بحسب زَعم بربارة يونغ التي أجازت لنفسها أن تضيف إليه مقاطع بأكملها ربّما كان المؤلف يعدّها لاستعمالات أخرى. ففي حين يتطرّق جبران في **النبيّ** إلى موضوعات هي، في جوهرها، ذات طابع دنيويّ، ويرسي خطبه الخمس

(١) جريدة المكشوف، المجلّد الرابع، الرقم ١٧٢، ص. ٣.



غلاف «حديقة النبي» بالإنكليزية

والعشرين على أسس أخلاقية، يثير ههنا ثلاث مسائل كبرى ذات طابع ميتافيزيقي: اللّه والكائن والموت. إذ يخاطب المصطفى أتباعه:

«أنتم أرواح وإن كنتم تتحرّكون في أبدان، وإنّكم لكالزيت الذي يحترق في الظلام، شُعَلٌ، وإن حُملتم في مصابيح.

وإذا أنتم لم تكونوا شيئاً سوى أجساد، فإنّ موقفي أمامكم ومخاطبتي إيّاكم، لن يكونا سوى هراء، كما لو كان ميت يخاطب أمواتاً. ولكنّ الأمر هو غير ذلك، فكلّ ما هو خالد فيكم إنّما هو حرّ أثناء الليل وأطراف النهار، ولا سبيل إلى الحجر عليه وتقييده، لأنّ تلك هي مشيئة القدير الأعلى. أنتم نَفَسه الذي لا يُقبض عليه ولا يمكن أن يُزجّ به في قفص شأنكم في ذلك شأن الرّيح. وأنا نَفَس نَفَسه».

حرب

أثناء الحرب العالمية الأولى، كان لوقائع المأساة أبلغ التأثير في جبران، على الرّغم من كونه بعيداً آلاف الكيلومترات من ساحة المعركة. وزادت الأنباء الواردة من لبنان من حال القلق التي استبدّت به. فبذريعة الحصار الذي فرضه الحلفاء، عمدت السلطات العثمانية، إلى مصادرة موارد البلاد كافّة وقطعت المؤن عن بيروت. كما صادرت الماشية وحظّرت الصيد. وزاد من تردّي الأوضاع انتشار الأمراض وغزو الجراد الذي قضى على المحاصيل، وهذا ما أدّى إلى المجاعة التي عمّت البلاد. وأُرغم معارضو الاحتلال العثماني على الصمت بعد أن نصبت المشانق في الساحات: بين ١٩١٥ و١٩١٦ نفَّذ الأتراك حكم الإعدام شنقاً بعدد من الوطنيين اللبنانيين والعرب الذين اتّهموا بالخيانة العظمى جرّاء اتصالهم بالحلفاء. رأى جبران أنّ ما كان يجري في لبنان ليس سوى تكرار لما جرى قبلاً، في أرمينيا. كان يعلم جيّداً أنّ «نواحنا لا يسدّ رمقهم، ودموعنا لا تروي غليلهم» لذا جنّد جبران نفسه وقبِل، دون تلكّؤ، منصب سكرتير لجنة إغاثة منكوبي سوريا وجبل لبنان التي تكوّنت في يونيو/ حزيران ١٩١٦ برئاسة نجيب المعلوف، وتولّى فيها أمين الرّيحاني منصب نائب الرئيس. كتب جبران لماري هاسكل في هذا الشأن: «أنا أعرف، يا ماري، أنّ هذه مسؤولية عظيمة، مادّية ومعنوية على السّواء، ولكن عليّ الاضّطلاع بها حتى نهايتها الأخيرة أيّاً تكن عظمتها. الفواجع العظيمة توسّع القلب. لم تتح لي من قبل الفرصة لكي أخدم شعبي في أعمال من هذا النوع. أنا سعيد لأنّ بوسعي أن أخدم قليلاً وأشعر أنّ اللّه سيأخذ بيدي». بذل جبران كلّ الجهود الممكنة داعياً الجالية السورية ـ اللبنانية في بوسطن ونيويورك إلى المساعدة. وبمعونة الصليب الأحمر الأميركي، تمكّن من تجهيز باخرة محمّلة بالمواد الغذائية لإمداد مواطنيه المنكوبين بالمؤن. في رسالة إلى أمين الريحاني، كتب جبران المثُبط العزيمة يشكو لصديقه الحواجز والمصاعب التي يواجهها: «من الأفضل مشاركة الجياع في جوعهم والمنكوبين في نكبتهم. لو خُيّرت الآن بين

Thursday – the seventh day of November. One Thousand nine hundred and Eighteen.

May.

Out of the dark mist a new world is born. It is indeed a holy day – the most holy since the birth of Jesus.

The air is crowded with the sound of rushing waters and the beating of mighty wings. The voice of God is in the wind.

Kahlil

كتاب من جبران إلى ماري هاسكل يوم انتهاء الحرب العالمية الأولى

الموت في لبنان والحياة بين هذه المخاليق، لاخترت الموت!». وعام ١٩١٧، غداة دخول الولايات المتحدة الحرب، ازداد نشاط جبران في هذا المجال: فانتسب إلى «لجنة التطوّع لسوريا وجبل لبنان» التي ترأّسها أيّوب تابت، زميل الدراسة، والمكلّفة تجنيد سوريي أميركا ولبنانيّيها الرّاغبين في القتال إلى جانب الحلفاء لتحرير المنطقة من النير العثماني. وبلغ عدد المتطوّعين، في شهر سبتمبر/أيلول، نحو خمسة عشر ألف التحقوا بفرقة الشرق التابعة للجيش

الفرنسي المتمركزة في قبرص. وفي رسالة غير منشورة وجّهها إلى ويتر باينر، يكتب جبران بمرارة:

«ما يحدث الآن على الجبهة الغربية حوّل كل شيء آخر إلى تفاصيل سخيفة. الحكومتان الفرنسية والإنكليزية رفضتا، إزاء حملة بيكاردي الضخمة، الاهتمام بالأمور الصغرى. منذ ثلاثة أسابيع، استدعت فرنسا البعثة التي جهّزتها وأرسلتها باتّجاه الشرق، فعادت البعثة أدراجها في وسط البحر!

لا تجري الأمور كما نشتهي.»

وفي نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩١٨، وقعت الهدنة. وبحماسة فائقة كتب جبران إلى ماري: «إنّه اليوم الأقدس مذ وُلد المسيح!»

موقف جبران من الحرب عموماً (كما أكّده روبن ووترفيلد عن حقّ[١])، يتّسم بمثاليّة كبيرة: يداعب فكرة الانخراط في الجيش الفرنسي لكي يعطي سوريي أميركا المثال مؤكّداً أنّ هذه الحرب «ستضع حدّاً لكلّ الحروب»، ويتتبّع بحماسة سير العمليّات الحربية مقتنعاً بأنّ نصر الحلفاء سيفضي إلى سلام دائم ومهلّلاً لاستفاقة الضمائر التي أثارتها الحرب.

راجع أيضاً سياسة؛ عثمانيّون.

حسّ الدعابة

حسّ الدعابة أحد الجوانب المجهولة في حياة جبران وأعماله. رسائله ونصوصه وأمثاله زاخرة بالعبارات الطريفة. رسائله بالعربية إلى ميخائيل نعيمة ملأى بحسّ الدعابة، وتلك التي أرسلها إلى ميّ زيادة، صديقته في القاهرة، تحفل بالعبارات المضحكة: فمثلاً حين تأخذ عليه إيثاره الشُّقر على السُّمر، يجعل جوابه في صيغة صلاة: «ابعث ربّاه ملكاً من ملائكتك ليقول لها إنّ عبدك هذا (. . .) يترنّم بجمال الشعر الحالك مثلما يترنّم بالشعر الذهبي».

(١) Robin Waterfield, *Khalil Gibran. Un prophète et son temps*, Saint - Laurent, Fides, 2000, p. 22.

وفي رسالة إلى ماري هاسكل (٢١ يناير/كانون الثاني ١٩١٨): «أبعث إليك برسمين بالألوان المائية. وأرسلهما فقط لما يحويان من ألوان ـ جدرانك تحتاج إلى الألوان. ليسا عاريين بالقدر الذي يسيء إلى ذوق أهل بوسطن ـ وأقصد هنا الرسمين وليس جدرانك!» ولدى سماعه أنّ وليّة نعمته أجَّلت رحلة إلى مصر، يكتب لها: «آسف لأنّ رحلتك تأجّلت. غير أنّ مصر موجودة هناك منذ ستة آلاف سنة وستبقى حيث هي ستة آلاف سنة أخرى. فلا بدّ أن تتمكّني من زيارتها يوماً!» وفي رسالة غير معروفة لويتر باينر تعود إلى عام ١٩١٧، يكتب جبران: «أجلس هنا قبالة الشمس طوال النهار، وأعرض الناحية اليسرى من جسدي لأشعّتها الدافئة الملطّفة حتّى أنّ الجانب الأيسر أكثر سُمرة من الجانب الأيمن. أمّا النتيجة فمنتهى الغرابة: أصبحت شبيهاً بمهرّجي القرن الخامس عشر.» ثم أضاف محوّراً كلمات الإنجيل: «إذا ضربتك الشمس على جانبك الأيسر فأدِر لها الأيمن!» وفي رسالة مؤرّخة في يونيو/حزيران ١٩١٧، يكتب: «أرسل إليك كتابي **المواكب** بالعربية. أعرف أنّه لن يكون بإمكانك قراءة الشعر من اليمين إلى اليسار ولكنّ في الكتاب رسوماً آمل أن تعجبك ـ من اليسار إلى اليمين!».

وفي شذراته (خصوصاً في **رمل وزبد**)، يُظهر ابن بشرّي قدراً من حسّ الدعابة ـ مبدياً أسفه لأنّ «حسّ الفكاهة» لدى يسوع بقي مجهولاً: «إنّ الذين يعطونك حيّة وأنت تسألهم سمكة لربّما ليس لديهم ما يعطونه سوى الحيّات. وذلك بحسب عملهم أريحية وسخاء.» أو: «إنّ علوّ الصوت ليس دلالة ذكاء. فالخطيب لا يختلف كثيراً عن البائع الجوّال». أو هذا الكلام المفاجئ: «من يودّ فهم امرأة أو تشريح عبقريّ أو الكشف عن سرّ الصمت، هو مثيل الرجل الذي يستيقظ من حلم سماويّ لكي يتناول طعام الفطور»! وتبدي ماري هاسكل إعجابها بظرفه: «أستضحكني عندما نلتقي في الجنّة؟» تسأله. وتدوّن في دفتر يوميّاتها: «كلّما كنت ألتقيه، حتى في حالات حزنه، كان يضحكني ويضحكني...».

كذلك تشير بربارة يونغ إلى أنّ جبران كان يتصرّف أغلب الأحيان بمرح عندما كان يُملي عليها **يسوع ابن الإنسان**، وكان يزعم أنّه يفعل ذلك بغية إزالة التوتّر من الجوّ:

«في أعماق هذا الرجل العظيم، يختبئ مهرّج. أحياناً، وبعد ساعات طويلة من الإبداع، وحين ينوء تحت وطأة عبقريّته بالذات، يتحوّل في لمحة بصر إلى مهرّج. كان ينهض عن كرسيه إذا كان جالساً، أو يطير إذا كان يمشي في الغرفة. عندئذٍ يبتسم فتشرق ملامح وجهه ويقول: «الآن سأؤلّف بعض الأبيات من الشعر الأميركي المعاصر» ويروح ينشد أشعاراً رديئة. ونضحك حتّى تتساقط الدموع من أعيننا. وأحياناً كان يبدأ بالرقص مسنداً يديه إلى خاصرتيه ويقوم بدورات لولبيّة كراقصة الباليه. وهكذا كان ينجح بفضل ظرفه وتهريجه بمؤاساتنا بعد ساعات من العمل المضني...».

الحكمة، معهد

عملاً بنصيحة سليم الضاهر، التحق جبران، لدى عودته إلى لبنان عام ١٨٩٩، بمعهد الحكمة لإكمال دروسه، أحد أفضل معاهد البلاد الذي أنشأته



جبران في معهد الحكمة

الكنيسة المارونية عام ١٨٧٥، وكان يديرها آنذاك حبر متخرّج في رهبانية «سان سولبيس» في فرنسا، هو المونسنيور دبس (١٨٣٣ ـ ١٩٠٧). وفي معهد الحكمة، وعند الأب يوسف الحدّاد، عمّق جبران معرفته باللغة العربية وتعلّم الفرنسية واكتشف الشعراء والمفكّرين العرب وشعراء الصوفية. وهناك أيضاً أنشأ مجلّة عنوانها **المنارة، الحقيقة، النهضة** وفاز بالجائزة الأولى في الشعر. والتقى يوسف الحويّك وأيّوب تابت اللذين سيصبحان من أصدقائه. تابع جبران دروسه في مدرسة الحكمة حتى ٣١ يوليو/تموز ١٩٠١.

◄ راجع: أيضاً يوسف الحدّاد؛ يوسف الحويّك.

الحلقة الذهبية

جمعية أدبية وسياسيّة تأسّست في فبراير/شباط ١٩١١ من أجل الدفاع عن قضيّة البلدان العربية الخاضعة للسلطنة العثمانيّة. قرّر المؤسّسون الإبقاء على نشاطاتهم سريّة وتسمية أعضاء هذه الأخويّة المستلهمة من المحافل الماسونيّة بـ «الحرّاس». وفي ٢٥ فبراير/شباط ١٩١١، ولمناسبة اجتماع كبير نظّمته الجمعيّة، توجّه جبران إلى المجتمعين بخطبة رنّانة دعا فيها السوريين إلى «الحذر من وعود السلطان وإلى الاتّكال على أنفسهم، من الآن فصاعداً، للتحرّر من النير التركي: من لا يسير مرفوع الرأس، فسوف يبقى عبد ذاته، من يكون عبد ذاته لا يستطيع أن يسير حرّاً. الحرّية هي نور ينبثق من أعماق الإنسان ولا يُسكب له من الخارج». هذه الخطبة التي نُشرت في جريدة **مرآة الغرب** أثارت ضدّه انتقاد الصحف الموالية في سوريا ومصر. وكتب جبران إلى قريبه نخلة في ١٧ يونيو/حزيران ١٩١١، معلّقاً على هذا الحفل: «قامت عليَّ قيامة العالم العربي بسبب خطبة ألقيتها في حفلة من الحفلات الأدبية قلت فيها إنّ السوريّ يجب ألاّ يتّكل على دولته بل على نفسه. فالجرائد في مصر وسوريا انتقدتني بحدّة وشدّة. أنا يا نخلة أقول كلمتي وأسكت تاركاً للناس أن يقولوا عنّي ما يريدون. الواجب عليَّ أن أقول الحقّ بإخلاص، رضي الناس أم غضبوا».

في وصيّته الأولى التي كتبها عام ١٩١١، أوصى جبران بكلّ الكتب التي يملكها في بوسطن إلى «الحلقة الذهبية». لكن ما إن رحل إلى نيويورك حتّى انحلّ القسم البوسطنيّ للحلقة الذهبية[١]. عزا جبران هذا الفشل إلى غيابه (يوميّات ماري هاسكل، ٢٩ سبتمبر/أيلول ١٩١١).

◄ راجع أيضاً: عثمانيّون.

الحويّك، يوسف (١٨٨٣-١٩٦٢)

ولد يوسف الحويّك في حلتا قضاء البترون عام ١٨٨٣ وتوفي في حارة صخر (جونيه) عام ١٩٦٢. نحّات وصديق جبران وابن شقيق البطريرك الياس الحويّك. تعرّف إلى جبران على مقاعد الدراسة في معهد الحكمة، وكان المراهقان مشتركين في شغفهما معاً بالفنّ. ومعاً أصدرا مجلّة عنوانها **المنارة، الحقيقة، النهضة**.

التقى جبران ويوسف الحويّك (درس الفنون الجميلة في روما من ١٩٠٣ إلى ١٩٠٨) مجدّداً في باريس بين عامَي ١٩٠٨ و١٩١٠ وتردّدا معاً إلى المعاهد والمتاحف نفسها. كان يوسف الحويّك بسيط الطبع، منفتحاً على الآخرين، ولم تكن لديه تلك الطباع القلقة الحالمة التي وسمت شخصية جبران. فبينما كان يوسف كثير التردّد إلى المقاهي معتبراً الجلوس في مقهى الدوم، فنّاً بذاته، كان جبران يتجنّب الأماكن الصاخبة ولا يحبّ الرقص، مؤثراً شأن الكاتب الفرنسي بلزاك، التسكّع على أرصفة السين والتجوال ليلاً في أحياء باريس القديمة. غير أنّ هذا لم يَحُلْ دون انسجام الرفيقين. أمضيا في باريس عامين لن يفارقا ذاكرتيهما، وسرد الحويّك وقائع تلك الفترة في كتاب **ذكريات**. وعندما قصد أمين الريحاني باريس، زار الأصدقاء الثلاثة عاصمة النور. ولكن، عندما قرّر جبران والريحاني أن يغادرا إلى لندن، فضّل الحويّك الذهاب إلى إيطاليا. الحويّك هو من هرع،

---

(١) Robin Waterfield, *op. cit.*, p. 364, note 49.



يوسف الحويّك

خلال افتتاح صالون الربيع في باريس لنجدة صديقه وتمكّن من رشوة الحرّاس لينقل لوحة **الخريف** التي عرضها المنظّمون على نحو سيّئ. استذكر جبران هذه الحقبة وبعث برسالة إلى يوسف: «كلّ مساء، تعود روحي إلى باريس وتتسكّع بين منازلها. وكلّ صباح أستيقظ مسترجعاً تلك الأيّام التي قضيناها وسط معابد الفن وعالم الأحلام».

عاد يوسف الحويّك إلى لبنان عام ١٩١٠ واحتلّ موقعاً مرموقاً في الأوساط الفنية. عام ١٩١٤، رافق موريس باريس Maurice Barrès الذي كان في جولة في بلاد الأرز وجعله يكتشف مغارة أفقا. وعملاً بنصيحة الكاتب الفرنسي، انطلق يوسف مجدّداً إلى أوروبا وأقام في روما ثم في باريس حيث قابل الملك فيصل. عام ١٩٢٠، نفت السلطات الفرنسية أباه سعد اللّه الحويّك واتّهمته بالتآمر مع الملك فيصل الذي هزمه غورو في موقعة ميسلون. عام ١٩٢٥، اقترن الحويّك بامرأة من الطبقة النبيلة الإيطالية فأنجبت له صبيّاً اسمه جورج سيمتهن المحاماة لاحقاً.

لكنّ الزوجين انفصلا، تزوجت هي ثانية وأقام هو في باريس حيث التقى من جديد في نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٢٥ الملك فيصل، وقد أصبح ملك العراق. فبادر على الفور إلى نحت تمثال نصفي للعاهل. عندما عاد الحويّك إلى لبنان عام ١٩٣٩، لقي دعم الشاعر ورجل الأعمال شارل قرم الذي وضع محترفه في الحديقة تحت تصرّفه. في الأربعينيات، انزوى النحّات في قرية عورا بالقرب من دوما. أصيب بالصمم وأمضى الأشهر الأخيرة من حياته في حارة صخر حيث توفي في ٢٤ أكتوبر/تشرين الأوّل ١٩٦٢.

له لوحات عدّة إحداها بورتريه لجبران وعدد كبير من المنحوتات من بينها أعمال تمثّل مي زيادة وشارل قرم وبشير الثاني وفخر الدين وأيضاً تمثال يوسف بك كرم على ظهر فرسه في إهدن ونصب «الباكيتان» الذي عرض طويلاً في ساحة البرج قبل أن يُستبدل به نصب الشهداء الحالي، وهو اليوم موجود في باحة متحف سرسق في بيروت.

◀ راجع أيضاً باريس؛ «الخريف»؛ أمين الريحاني.



الخريف

خلال إقامته في باريس، قرّر جبران المشاركة في «صالون الربيع»، وقدّم ثلاثة من أعماله إلى لجنة التحكيم المنبثقة من «الجمعية الوطنية للفنون الجميلة.» حَظِيَ عمل واحد منها بموافقة اللجنة وهو لوحة «الخريف» التي تمثّل «امرأة عارية الصدر يتلاعب الهواء بشعرها ونِقابها فهي بوقوفها وألوانها ومحيطها تتكلّم عن



متحف جبران

لوحة «الخريف» بريشة جبران (١٩٠٩)

الكآبة التي تجيء بين أفراح الصيف وأحزان الشتاء،» بحسب ما قال جبران، مفسّراً اللّوحة في رسالة إلى قريبه نخلة في ٧ مايو/أيار ١٩١٠. عندما حان موعد تعليق اللوحات، لم تعرض لوحته في القاعة الكبرى بل في رواق ضيّق من مبنى «الغران باليه»، وهذا ما أثار حنقه. كان يعلم أنّ رودان سيزور المعرض، وإذا بقيت اللّوحة في إحدى الزوايا فلن يتمكّن من مشاهدتها لإبداء الإعجاب بها والتعرّف إلى صاحبها. عندئذ هرع يوسف الحويّك لنجدة صديقه وتمكّن من رشوة أحد الحرّاس فوافق على نقل اللوحة وعرضها في القاعة الكبرى! وكتب جبران إلى ماري هاسكل عن اللوحة:

«اسمك مكتوب على لوحة «الخريف». منذ الآن فصاعداً ستحمل جميع لوحاتي أحرف اسمك الأولى مكتوبة داخل دائرة (M.E.H). ذات يوم سيرى الناس في ذلك رمزاً للخير الحقيقي والحبّ الحقيقي والإيمان الحقيقي».

◄ راجع أيضاً باريس؛ يوسف الحويّك؛ روزينا.

الخوري، ماري

التقى جبران ماري الخوري في أميركا. هي أرملة من أصل لبناني وتملك محلّ مجوهرات، وكانت تدعم جبران ماديّاً وتستقبله غالباً مع أصدقائه في الرابطة القلمية من بينهم أمين الريحاني الذي كانت تربطه علاقة ودّ بزوجها المتوفّى[1]. وفي رسالة تعود إلى ١١ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩١٠، طلب جبران في رسالة إلى أمين الريحاني أن ينقل تحيّاته إلى «أختنا ماري.» وبرغم فرق السنّ، أصبحت ماري عشيقة جبران. وكان جبران على مدى سنتين يتناول العشاء يومَي الأربعاء والسبت عندها ويمضي الليل برفقتها. أحياناً، كان العشيقان يتنزّهان في السنترال بارك. لكن جبران وضع، بسبب تردّي حالته الصحّية، حدّاً لهذه العلاقة، من دون أن يتخلّى عن رفقة هذه المرأة التي كانت تشتري لوحاته بغية تشجيعه.

(١) نديم مقدسي «سهرة مع ماري الخوري»، في النهار العربي والدولي عدد ٣٢٤، ١٨ يوليو/تمّوز، ١٩٨٣.

وعام ١٩٥١، حين سُئلت في نيويورك عن علاقتها بمؤلّف **النبيّ** قالت إنّها «المرأة اللبنانية الوحيدة التي وقع في غرامها». وهذا القول قابل للجدل لأنّ هناك أيضاً نساء لبنانيّات لعبن دوراً في حياة جبران كمثل حلا الضاهر، سلطانة تابت، ماري قهوجي، وهيلانة غسطين!



داي، فريد هولاند (١٨٦٤ ـ ١٩٣٣) Day, Fred Holland

ولد فريد هولاند داي في نوروود (ولاية ماساشوستس). إنّه الابن الوحيد لتاجر ميسور «مليونير»، كما يؤكّد روبن ووترفليد[١]. أقام داي في بوسطن وكان شغوفاً بجون كيتس John Keats ويجمع كل ما يتعلّق بالشاعر ويحلم بإقامة نصب تذكاري له. وقد تحقّق هذا الحلم عام ١٨٩٤ حين أنجزت آن ويتني تمثالاً نصفيّاً لكيتس وُضع في كنيسة هابستيد الراعوية في لندن. توظّف داي عندما كان في عمر الواحد والعشرين في دار النشر *AS Barnes & Company*. بعد انقضاء خمس سنوات، غادر داي إلى لندن حيث اكتشف «المثليّة الراقية والمعلنة التي يمارسها عدد كبير من مدّعي الفنّ الإنكليز[٢]». لدى عودته إلى بوسطن عام ١٨٩١، أنشأ مع أصدقائه جمعية «بوهيميي بوسطن» وطموحها أن تستورد المذهب الانحطاطي من أوروبا إلى أميركا.

كان مظهره يلفت الانتباه. وصفه ستيفن باريش: «يرتدي على الدوام شملة أوبرا ويعتمر قبّعة سوداء عريضة الاستدارة ويدخّن سجائر روسيّة مسطّحة متّصلة بأنبوب طويل. . .» كان مصوّراً فوتوغرافيّاً، تميّزت أعماله بالجرأة وبمزيج من الميول الرمزية والصوفية. أنشأ عام ١٨٩٣ مع هربرت كوبلند دار النشر «كوبلاند وداي»، شملت منشوراتها، من بين أعمال أخرى، الطبعة الأميركية لمسرحية

(١) Robin Waterfield, *op. cit.*, p. 189.

(٢) Estelle Jussim, *Slave to Beauty*, Boston, David R. Godine, 1981.



فريد هولاند داي

أوسكار وايلد **سالومي** عام ١٨٩٤. كان داي مثليّاً معلناً شَغِفاً بالجسد الذكوري ولا يتوانى عن تصوير الفتيان المراهقين في لقطات عري أمثال ناردو أو ماينارد وايت. . . عام ١٨٩٦، غدا داي صديقاً زائراً لمؤسّسة بوسطن لإعانة الأولاد وكان يتردّد إليها بانتظام ليقرأ للمراهقين الأميين. وفي ديسمبر/ كانون الأوّل ١٨٩٦، كان يبحث عن موديلات شرقية لصوره، ووافق على استقبال جبران، بناء على توصية من صديقته جيسي فريمونت بيل ودعاه إلى ملاقاته في الاستديو الخاص به في ٩ بنكي ستريت. . . فتنه المراهق فعرض عليه أن يكون موديلاً في زيّ عربي أو مشرقي أو هندي: «الشيخ الفتيّ»، «خليل»، «الفتى السوري». . . وعلى هوى استيهاماته كان المصوّر يلتقط عدداً كبيراً من الصور المتنوّعة لموديله الشاب. وسيقول عنه الفنّان المراهق، في ما بعد، أنّ داي يمتلك مجموعة من صوره وأنّه كان عطوفاً معه، حاثّاً جميع أفراد أسرته على الوقوف قبالة عدسته. كان داي يشتري له ملابس جديدة ويدعوه إلى عدد من الأمسيات والولائم. كما

عرّفه إلى سوينبرن وكاربنتر وويتمان وكيتس وإمرسون والروحانيّة والكتّاب الرومنطيقيين وكذلك على أعمال وليم بلايك، الذي كان كاتباً ورسّاماً في آن واحد. وأعطاه كتباً ليقرأها: «كنز الودعاء» لموريس ماترلنك.

انصرف جبران إلى الملاحظة والاستيعاب، ولن تلبث أن تمثل التفاصيل البيّنة في رسوم معلّمه، في عدد من لوحاته اللاحقة.

وبفضل داي، أُتيح للفنان المراهق الإفادة من فرص لا تُحصى: زيّن بالرسوم كتباً صادرة عن دار نشر كوبلاند وداي وعن دور أخرى، من بينها ديوان الكندي دانكان كامبل سكوت Duncan Campbell Scott، وكتاب عن الفلكي والشاعر الفارسيّ عمر الخيّام، من تأليف ناتان هاسكل دول. كان جبران يسلك طريق النجاح خطوة خطوة: أُتيح له، خلال مهلة زمنية قصيرة نسبيّاً، أن يزيّن بأحد رسومه الترجمة الإنكليزية لكتاب ماترلنك **الحكمة والمصير**.

وفي فبراير/شباط ١٨٩٨، نظّم فريد هولاند داي معرضاً من ٢٥٠ صورة فوتوغرافية في «كاميرا كلوب» في نيويورك. ثم أتبعه بمعرض آخر في مارس/آذار، في قاعة النادي نفسه في بوسطن. علّق داي عدداً من صوره ورسوماً لجبران. لكنّ العلاقة بين الفنّان الشابّ ومعلّمه أثارت قلق أمّه كاملة وأخيه غير الشقيق بطرس فتدبّرا عودة الفتى إلى لبنان. إلاّ أنّ جبران أبقى على علاقته بداي الذي كان يراسله ويهب له المال. عام ١٩٠٠، أقام داي معرضاً كبيراً في الرويال فوتوغرافيك سوسايتي ضمّ ٣٧٥ عملاً أنجزه ٤٢ مصوّراً فوتوغرافيّاً. أثار هذا المعرض ردود فعل النقّاد الذين تحدّثوا عن «خيال مريض.» لدى عودته إلى بوسطن، التقى جبران معلّمه في ٦ يناير/كانون الثاني ١٩٠٤. اقترح فريد هولاند داي على جبران أن يعرض لوحاته خلال فصل الربيع في «هارتكورت ستوديوز» في المبنى القائم في ٢٣، ايرفنغتون ستريت ويضمّ أربعين محترفاً لفنّاني المدينة ورسّاميها، من بينها محترف داي. أقبل الفنّان الشابّ على الفكرة متحمّساً على الرغم من إدراكه صعوبة هذه المهمّة: لم يفصله عن الموعد المقرّر سوى أربعة أشهر ينبغي له أن ينجز أعمالاً جديدة خلالها، وأن يعيد النظر في الأعمال المنُجزة. جذب المعرض (بين ٣٠ مارس/آذار و١٠ أبريل/نيسان) عدداً كبيراً من

الزائرين الفضوليين والقليل من الهواة الراغبين في الشراء. وخلال هذا المعرض التقى جبران ماري هاسكل التي ستلعب دوراً حاسماً في حياته، وستصبح «ملاكه الحارس.» لكنّ الكارثة حلّت في ١٢ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٠٤ حين اشتعلت النيران في مبنى «هارتكورت». حريق هائل أتى على محترفاته الأربعين، والتهم معدّات فريد هولاند داي وصوره ـ ما مجموعه ٢٠٠٠ صورة سالبة ـ بالإضافة إلى الرسوم التي كان جبران تركها في عهدة صديقه. كان الحريق في نظر داي كارثة قضت على ثمانية عشر عاماً من العمل والجهد.

احتفظ جبران بعلاقة طيّبة بداي الذي دعاه مراراً إلى منزله الصيفي في فايف آيلندز على ضفّة المحيط. وفي يونيو/حزيران ١٩٠٨، ولحظة انطلاقه إلى باريس، حرص جبران على إعلامه برحيله: «كنتَ يا أخي العزيز أوّل من فتح عينَي شبابي على النور». . . كتب له ممتنّاً.

كان داي لتظهير صوره يستخدم الطباعة البلاتينية ويؤثرها على سواها من الطرائق. والتوقّف عن إنتاج البلاتين عقب الثورة البولشفية سيضع حدّاً لمهنة داي التي أخذت في التراجع أمام خصمه المصوّر ألفرد ستيغليتز Alfred Stieglitz. توارى عن الحياة العامّة بعد وفاة والدته عام ١٩١٢. ثم تناساه معاصروه. أمضى فريد هولاند داي سنواته الأخيرة عليلاً في سريره وأسلم الروح عام ١٩٣٣.

واليوم يعيد العالم اكتشاف موهبة هذا الفنّان الغريب الأطوار الذي اعتُبر أفضل مصوّري زمانه، وقد احتفظت مكتبة الكونغرس في واشنطن وجمعية «الرويال فوتوغرافيك» بقسم كبير من أعماله الفوتوغرافية. وعام ٢٠٠١، كُرّس له معرض في صالة «متحف فان غوغ» في أمستردام. وصدر للمناسبة كتاب عنه.

دايفيس، آرثر باون (١٨٦٢-١٩٢٨) Davies, Arthur Bowen

رسّام ونحّات ومؤسّس «جمعية الرسّامين والنحّاتين الأميركيين.» التقى جبران دايفيس في نيويورك مطلع ١٩١٣ عن طريق آل مورتن، وزار محترفه. يقال إنّ آرثر باون دايفيس أسرّ إلى الكزندر مورتن: «هذا الرجل سيفاجئ العالم



الفنان آرثر دايفيس

كما فاجأني» (رسالة من جبران إلى ماري هاسكل في ٩ فبراير/ شباط ١٩١٣). بعد ذلك بوقت قصير، طلب جبران من دايفيس السماح له بأن ينجز رسمه لكن دايفيس تنصّل.

قبلت ماري هاسكل أن تتوضَّع له عارية لكي تثير غيرة جبران اختباراً لردّ فعله. وتروي بعض المصادر أنّ ماري حبلت من دايفيس وأجهضت[١]. وإذ أذعنت ماري هاسكل لإلحاح جبران معتبرةً أنّ هذا الرسّام «غريب الأطوار وذو شخصية منفصمة» (يوميّات ماري هاسكل، ٣ سبتمبر/ أيلول ١٩١٣) كتبت إليه تبلغه أنّها لا ترغب في أن تكون موديلاً له.

لدى وفاة دايفيس، تمَّ التأكّد من أنّه كان، كما استشعر جبران، يعيش حياة مزدوجة. أمضى دايفيس نصف حياته باسم مستعار مع زوجة أخرى غير زوجته

(١) Rafic Chikhani, *Religion et société dans l'oeuvre de Gibran Khalil Gibran*, Publications de l'Université libanaise, Beyrouth, 1997.

الشرعيّة، وكان له منها ولد[1]. فكانت زوجته الشرعية تعيش في مزرعة في كونجرز، والأخرى في نيويورك!

دمعة وابتسامة

صدر «**دمعة وابتسامة**» عام ١٩١٤. أهداه جبران إلى ماري هاسكل. وهذا الكتاب مجموعة من المقالات والمقطوعات النثرية باللغة العربية نشرت في جريدة **المهاجر** بين عامَي ١٩٠٤ و١٩٠٨، وكان جبران متحفّظاً عن نشرها: «الأمر يتعلّق بفترة غابرة من حياتي أمضيتها بين الانتحاب والغنائية» وفي ٢٨ يناير/ كانون الثاني ١٩٢٠، يكتب جبران إلى مي زيادة: «**مقالات دمعة وابتسامة** أوّل شيء نُشر لي في الجرائد. هي من حصرم كرمي وقد كتبتها قبل **عرائس المروج** بزمن طويل ثم نشرت متتابعة في جريدة **المهاجر** منذ ١٦ سنة. شاء نسيب عريضه جمعها وأضاف إليها مقالتين كتبتا في باريس قبل ١٢ سنة». هذه النصوص التي يبلغ عددها ستة وخمسين يحييها نَفَس مثالي وإنسانوي، متضمّنة تأمّلات في الحياة والحبّ والأوضاع في لبنان وسوريا. ونجد فيها تحديداً: «بين الأمس واليوم»، «أمام عرش الجمال»، «رفقاً يا نفس». الشكل المعتمد فيها هو القصيدة النثرية التي لم تكن شائعة في الأدب العربي، ويعتبر جبران رائداً في هذا المجال.

دونيسون هاوس Denison House

مؤسّسة خيريّة تقع في ٩٣، تيلر ستريت وتديرها هيلينا ستوارت دادلي. «تحت رعايتها تقدّم المؤسّسة خدمة خماسيّة: لقاء مُتاح للجميع، وفيها أندية، كما أنّها تتيح إعطاء دروس وإمكان الدرس فيها بالإضافة إلى الإعداد لبعض المهن والمعونة في حالات الشدّة[2]». خلال إقامته الأولى في بوسطن، تردّد

---

(١) Robin Waterfield, *Khalil Gibran. Un prophète et son temps*. Saint-Laurent, Fides, 2000, p. 189.

(٢) Robin Waterfield , *idem*, p. 51.

جبران إلى هذه المؤسّسة حيث تدرّس فلورنس بيرس التي سرعان ما لفتتها موهبته وأوصت به المرشدة الاجتماعية جيسي فريمونت بيل فكتبت إلى فريد هولاند داي وطلبت إليه أن يساعدها على الاهتمام بالفتى.

راجع أيضاً: فلورانس بيرس؛ جيسي فريمونت بيل.

الدويهي، اسطفان

كاهن ماروني من زغرتا في لبنان الشماليّ. كان أميناً للسرّ لدى البطريرك الياس الحويّك ثم انتقل إلى بوسطن ليصبح «راعي الأبرشية» في كنيسة «سيّدة الأرز» التي بناها الأب جوزف يزبك. كان الأب اسطفان الدويهي يقيم بالقرب من جبران في ٧٦، تيلر ستريت. وكثيراً ما زاره عابراً السطح، غير مضطر إلى اجتياز



الأب اسطفان الدويهي (الأول على يمين الصورة)

الشارع. ووفقاً لبربارة يونغ، ويستشهد فؤاد افرام البستاني بقولها[١]، كان أحياناً يقصد نيويورك للاجتماع بجبران ويظلّ الرجلان يتبادلان الحديث حتى ساعة متقدّمة من الليل.

عام ١٩٢٩، سيم الدويهي مطراناً فأخذ الرعية على عاتقه. ولدى وفاة جبران، طمأن مريانا وأكّد لها أنّ أخاها سيُدفن وفقاً للطقس الذي تتّبعه الكنيسة المارونيّة على الرغم من رفضه الاعتراف والمناولة قبل وفاته، وأقام قدّاساً لراحة نفسه في كنيسة «سيّدة الأرز» في ١٤ أبريل/نيسان ١٩٣١. أسلم الأب الدويهي الروح عام ١٩٥٩.

ديانة

ولد جبران في لبنان الذي يمثّل، برغم الرياح المعاكسة، أرض تلاقي الأديان ورسالة للتعايش، ولكي نستعيد عبارة صلاح ستيتية «وعداً» بسلام مسكوني. نبذ جبران التعصّب والطائفية واستقى اقتناعاته من خلاصة الرسالات الدينية مجتمعة مجرّدة من كلّ جمود عقائدي. أكّد جبران أنّ الدين إيمان فطري لدى الإنسان، وعليه، لا يمكنه التقوقع داخل حدود إحدى الديانات التوحيدية الكبرى الثلاث. وهو القائل: «تقول فكرتكم: «الموسوية، البرهمانية، البوذية، المسيحية، الإسلام.» أمّا فكرتي فتقول: «ليس هناك دين واحد مجرّد مطلق تعدّدت مظاهره وظلّ مجرّداً» (من مقالة «لكم فكرتكم ولي فكرتي»). وفي موضع آخر، ترد هذه العبارات الآسرة: «أنت أخي وأنا أحبّك، أحبّك ساجداً في جامعك، وراكعاً في هيكلك ومصلّياً في كنيستك، فأنت وأنا أبناء دين واحد هو الروح، وزعماء فروع هذا الدين أصابع ملتقية في يد الألوهية المشيرة إلى كمال النفس» (من كتاب **دمعة وابتسامة**). ويذهب أستاذ الفلسفة جاد حاتم في تحليله لـ «إرم ذات العماد:» «إنّ

---

(١) فؤاد أفرام البستاني، **جبران بين الجسد والرّوح**، بيروت، منشورات الدائرة، ٢٠٠٣.



رسمة لجبران ترمز إلى الأديان منشورة في كتاب «المجنون» (١٩١٨)

صوفيّة جبران هي صوفيّة ميتادينية، أي أنّ الأشخاص يحاولون تخطّي وجهات النظر الاختزالية لهذا الدين أو ذاك لبلوغ ما هو مشترك فيها».

◀ راجع أيضاً: تصوّف؛ يسوع.



الذات الإلٰهية أو الذات المجنحة:

◀ راجع: دين، تصوّف.

ر

الرابطة القلمية

ليل العشرين من أبريل/نيسان ١٩٢٠، أثناء اجتماع عُقدَ في منزل عبد المسيح حدّاد، صاحب ومؤسّس جريدة **السائح**، أجمع الكتّاب اللبنانيّون والسوريّون المقيمون في نيويورك على ضرورة السعي «لبثّ روح جديدة في الأدب العربي وانتشاله من وهدة الخمول والتقليد»، بحسب ميخائيل نعيمة، إذ ينبغي ضخّ دم جديد في هذا الأدب. وقرّر المشاركون إنشاء جمعية تكون الحداثة محور نشاطها وغايتها الجمع بين الكتّاب وتوحيد مسعاهم لخدمة اللغة العربية وآدابها. أبدى جبران حماسة استثنائيّة للفكرة ودعا الأعضاء المؤسّسين إلى الاجتماع مجدّداً في منزله بعد أسبوع واحد من انعقاد اللقاء الأوّل.

وفي الثامن والعشرين من أبريل/نيسان، التقى ثمانية كتّاب في منزل جبران (٥١ الشارع العاشر غرباً) لصوغ قوانين وأهداف الجمعية التي أطلقوا عليها اسم «الرابطة القلمية» ومن بين المهمّات التي كانت ستضطلع بها الجمعية العتيدة (ضمّت إلى عضويّتها عدداً من الأدباء المرموقين أمثال جبران وأمين الريحاني وميخائيل نعيمة ووديع باحوط ورشيد أيّوب وإيليا أبو ماضي ونسيب عريضة وندرة حدّاد والياس عطاللّه ووليم كاتسفليس)... نشر مؤلّفات «العاملين فيها» ومؤلّفات سواهم من كتّاب العربيّة «المستحقّين» وترجمة المؤلّفات المهمّة من الآداب الأجنبية إلى العربية. وانتخب المجتمعون جبران «عميداً» لها وميخائيل نعيمة مستشاراً وكاتسفليس أميناً للصندوق. كما اختاروا لها آية من الحديث الشريف شعاراً: «للّه كنوز تحت العرش مفاتيحها ألسنة الشعراء».



بعض أعضاء الرابطة القلمية (من اليمين إلى اليسار: ميخائيل نعيمة، عبد المسيح حداد، جبران خليل جبران ونسيب عريضة). نيويورك ٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٢٠

دأبت «الرابطة القلمية» كلّ عام على إصدار عدد ممتاز يشترك فيه كلّ أعضا الرابطة، في ما يشبه المختارات. وبفضل الأفكار الثورية غير التقليدية التي كانت تبثّها، لم تلبث الرابطة أن غدت منبراً ورمزاً لنهضة الآداب العربية. ويكتب ميخائيل نعيمة في كتابه **جبران خليل جبران**: «. . . انتشر اسم الرابطة في العالم العربي وكلّ مهاجره. وأقبلت الصحف على آثار عمّالها تنقلها وتعلّق عليها. وقا البعض يجمعها في مجموعات منها ما يُدرّس اليوم في كثير من المدارس. ونقم أنصار التقليد والجمود عليها فما كانت نقمتهم إلاّ لتزيدها قوّة وحماسة واندفاع ولتنمّي عدد أنصارها ومريديها في كلّ قطر عربي». اجتمع أعضاؤها، على نحو غير منتظم من ١٩٢٠ حتى وفاة جبران الذي كان محرّكها الفعلي والذي كان يشكو باستمرار، لا سيّما في رسائله إلى ميخائيل نعيمة، بطء زملائه في إرسال مقالاتهم إليه. . . وفي الخامس من يناير/ كانون الثاني ١٩٢٩، أقام أعضاء الرابط

القلمية حفل عشاء في فندق «ماك ألبين» بنيويورك، في ذكرى انقضاء خمسة وعشرين عاماً صرفها جبران في خدمة الأدب، ولمناسبة عشية عيد ميلاده

رأى جبران أن لا مستقبل للغة العربية إذا لم تتحرّر من القوالب القديمة ومن «عبودية العبارات الأدبية السطحية»، وإذا لم تتوصّل إلى إقامة حوار رصين مع الفكر الغربيّ الذي تجلّى في المنجزات التي بلغتها الحضارة الأوروبية مع حفاظها على خصوصيّتها واستقلاليّتها: «إنّ روح الغرب صديق وعدوّ لنا»، يكتب جبران، «صديق إذا أخذنا منه ما يوافقنا وعدوّ إذا وضعنا نفوسنا في الحالة التي توافقه». فهو يرى أنّ الفكر المبدع، «إرادة الاندفاع إلى الأمام» هي التي تضمن بقاء لغة من اللغات. أمّا إذا فُقد هذا الفكر، فإنّ «مستقبل اللغة العربية» ـ عنوان أحد مقالاته ـ يبدو قاتماً جدّاً: «فإذا هجعت قوّة الابتكار توقّفت اللغة عن مسيرها وفي الوقوف التقهقر والموت والاندثار». ووفقاً لوليم كاتسفليس: «ليست الرابطة القلمية جمعية بحصر المعنى ولا منتدى أدبيّاً. بل هي طاولة مستديرة تجتمع حولها العقول والقلوب المستنيرة التي هدفها انتشال الأدب العربي من كبوته (. . .) في إطار هذا المناخ الفكري، أوضحت الرابطة، بتأثير من جبران، ثورتها الحقيقية عندما كتب: «إذا تطلّب حسّ الجمال أو الفكرة لديكم تدمير القواعد، فلتدمّر القواعد! وإذا لم تجد كلمة معروفة للتعبير عن فكرتك، استعر واحدة أو اخلق كلمة جديدة».

◀ راجع أيضاً إيليّا أبو ماضي؛ عبد المسيح حدّاد؛ أمين الريحاني؛ نسيب عريضة؛ ميخائيل نعيمة.

رايدر، ألبرت بنكهام (١٨٤٧-١٩١٧) Ryder, Albert Pinkham

رسّام من المدرسة الرمزية، تعرّف إليه جبران في نيويورك خلال ديسمبر/ كانون الأوّل ١٩١٤، في مناسبة عرض عدد من أعماله في «موتنروس غاليري». قال رايدر للناقد هنري ماك برايد عن جبران: «يبدو أنّه يريد أن يعطي الأشياء معنى مهما كلّف الأمر. وهذا هو الجوهري». أثارت هذه الكلمات اعتزاز جبران



ألبرت رايدر بريشة جبران (١٩١٥)

فأرسل إلى رايدر قصيدة نثر بالإنكليزية راجعتها وصحّحتها ماري هاسكل، يقول فيها: «أيّها الشاعر، من أصغى إليك، إن لم يكن الأرواح التي تبعت دربك الموحشة؟» وفي يناير/كانون الثاني ١٩١٥، نشر هذه القصيدة بمفردها على ورق «ياباني» (من شركة كوسموس وواشبرن القائمة في الجادّة الخامسة)، وأرسلها إلى رايدر «علّها تبثّ الدفء في قلبه المسنّ التَعب». كان يحيا حياة بائسة في غرفة في أحقر مباني الشارع ١٦، مفترشاً البلاط، مفرطاً في الشرب لكي ينسى المرأة التي هجرته. نشأت بين الرجلين علاقة مودّة فرسم له جبران رسمين وضمّهما إلى مجموعته **معبد الفنّ**.

«إنّه ممتلئ (. . .) بهذه الدهشة التي هي سمة الفنّانين الكبار»، كتب لماري هاسكل عنه. ابتداءً من عام ١٩١٥، تلقّى رايدر العلاج وواظب جبران على عيادته بانتظام حتى وفاته. تُليت القصيدة التي ألّفها له جبران أثناء الجنازة في كنيسة الصعود في نيويورك.



بطرس شقيق جبران بعدسة فريد هولاند داي

رحمة، بطرس (١٨٧٧ ـ ١٩٠٣)

بطرس هو الأخ غير الشقيق لجبران، ثمرة زواج كاملة رحمة الأوّل من حنّا عبد السلام رحمة. رافق بطرس العائلة في منفاها إلى بوسطن ليعيلها. بدءاً، عمل في محلّ لبيع الأقمشة. وبفضل مدّخراته ومدّخرات أمّه استطاع أن يفتح دكّاناً لبيع الألبسة الشرقية في ٦١، بيتش ستريت. أصيب بطرس بالسلّ فقصد كوبا بغية الابتعاد قليلاً عن جوّ بوسطن الملوّث. عاد إلى بوسطن وقد زاد هزاله فواظبت مريانا على الاهتمام به وبأمّها المريضة. وفي يوم الخميس ٧ مارس/آذار ١٩٠٣، أسلم بطرس الروح وهو في عمر السادسة والعشرين. كتب جبران رسالة إلى فريد هولاند داي ليبلغه بوفاة أخيه: «انطفأ شقيقي الحبيب عند الثالثة فجراً مخلّفاً في أعماقنا الحزن والغصّة. عليَّ الآن تعزية أمّي المريضة المفجوعة. فهي ومريانا وأنا، كلّنا، ننظر إلى عتمة المستقبل بقلق». وكتب إلى جوزفين بيبودي: «ألمي

عميق جدّاً. رحل أخي الحبيب. يا للمرارة التي أشعر بها! يا للحسرة!» تولّى جبران العمل في دكّان أخيه منذ نهاية فبراير/شباط ١٩٠٣، وأفلح في سداد الديون المترتّبة على العائلة منذ رحيل شقيقه. وفي آخر المطاف، عقد العزم على بيع الدكّان. لكن بطرس بقي بالنسبة إليه رمزاً للتضحية وإنكار الذات.

رحمة، كاملة (١٨٥٨-١٩٠٣)

كاملة رحمة والدة جبران، ابنة الخوري الماروني اسطفان رحمة ابن عبد القادر رحمة الذي اعتنق المسيحية، بحسب زعم بعضهم، في بداية القرن التاسع عشر لدى استقراره في بشرّي. في رسالة مؤرّخة في ٢٨ يناير/كانون الثاني ١٩٢٠، كتب جبران إلى مي زيادة: «كان والد أمّي كاهناً متعمّقاً بالأسرار اللاهوتية! كان مولعاً بالموسيقى الكنائسية وغير الكنائسية، ولهذا غفرت له كهنوتيّته. وكانت أمّي أحبّ أبنائه إليه».



كاملة، والدة جبران، مع ابنتيها سلطانة ومريانا (تصوير فريد هولاند داي ـ ١٩٠١)

تزوّجت كاملة للمرّة الأولى من قريبها عبد السلام رحمة وذهبت معه إلى البرازيل سعياً وراء الثروة، لكنّه ما لبث أن توفي هناك. أنجبت كاملة من هذا الزواج صبيّاً هو بطرس. أُلغي زواجها الثاني من يوسف الياس جعجع في ١٤ أغسطس/آب ١٨٨٠، فاقترنت بخليل سعد جبران في ٨ يناير/كانون الثاني ١٨٨١ وأنجبت منه صبيّاً (جبران) وابنتين (مريانا وسلطانة).

مارست والدة جبران على ابنها تأثيراً بالغاً. عرّفته على الفنّ عندما أهدت إليه كتاباً عن ليوناردو دافنشي وشجّعته على الرسم والكتابة برغم من تحفّظات خليل زوجها الذي كانت لديه مشاريع أخرى لابنه. يكتب جبران لمي زيادة: «ورثت عن أمّي تسعين بالمئة من أخلاقي (لا أقصد بذلك أنّني أماثلها من حيث الحلاوة والوداعة وكبر القلب)»...

عام ١٨٩٥، وإثر توجيه تهمة إلى زوجها وتوقيفه، صمَّمت كاملة على الهجرة مع أولادها إلى أميركا. في بوسطن، زاولت تجارة الكشّة متنقّلة تبيع البياضات والدانتيلاّ والحراير المنسوجة، بغية سدّ حاجات الأسرة. أعانت بطرس في فتح دكّانه وعلّمت بناتها الخياطة. في أغسطس/آب ١٨٩٨، قرّرت إرسال جبران إلى لبنان لإبعاده عن تأثيرات الأوساط الفنّية في بوسطن. وحين عاد جبران إلى أميركا عام ١٩٠٢، وجد العائلة غارقة في حزن شديد على وفاة سلطانة.

صورة الأم ماثلة في أعمال جبران كافّة وكتاباته ولا سيّما في أعماله التصويرية التي أنجزها بين عامَي ١٩٠٨ و١٩١٨، ومن بينها لوحة مميّزة عنوانها **الأمّ وابنها**. وفي **الأجنحة المتكسّرة** مقطع مؤثّر يتحدّث عن الأمّ: «إنّ أعذب ما تحدّثه الشفاه البشريّة هو لفظة الأمّ، وأجمل مناداة هي «يا أمّي». كلمة صغيرة كبيرة مملوءة بالأمل والحبّ والانعطاف وكلّ ما في القلب البشري من الرقّة والحلاوة والعذوبة. الأمّ هي كلّ شيء في هذه الحياة: العزاء في الحزن والرجاء في اليأس والقوّة في الضعف. هي ينبوع الحنوّ والرأفة والشفقة والغفران. فمن يفقد أمّه يفقد صدراً يسند إليه رأسه ويداً تباركه وعيناً تحرسه».

وعقب وفاة كاملة (الثلاثاء ١٨ يونيو/حزيران ١٩٠٣) كتب جبران إلى ابن عمه نخلة: «أمّا في ما يتعلّق بالأمتعة التي وجدتها في صندوق المرحومة فهي مع

كونها بدون قيمة كبيرة، أريد من صميم قلبي أن أحصل على أكثرها لأنّها ما تركته والدتي التي أقدّس ذكراها وأحترم آثارها».

أكبّ علماء التحليل النفسي على تحليل العلاقة التي تربط جبران بأمّه محاولين تفسير شغفه بالنساء اللواتي يكبرنه سنّاً، انطلاقاً من عقدة أوديب وعلاقته الملتبسة بماري هاسكل.

◀ راجع أيضاً: بوسطن؛ خليل سعد جبران؛ سلطانة جبران؛ مريانا جبران؛ بطرس رحمة؛ نساء.

رسم

منذ طفولته تعرّف جبران إلى فنّ الرسم بفضل أمّه التي أهدت إليه كتاباً عن ليوناردو دافنشي. حين كان على مقاعد الدراسة، كان أساتذته يفاجئونه مكبّاً على الرسم أثناء حصص الدرس. لدى وصوله إلى بوسطن اكتشفت مرشدة اجتماعية اسمها جيسي فريمونت بيل مواهبه الفنّية وأوصت به فريد هولاند داي الذي أطلعه على التيّارات التصويرية الكبرى وتحديداً الرمزية. خضع جبران لتأثير معلّمه البادي بوضوح في أوجه التطابق المدهشة بين صور المعلّم وأعمال تلميذه. ذلك أنّ صورتَي داي المعنونتين «*Youth in rocky landscape*» و«*Archer in the woods*» ترشحان بسمات عالم جبران الفنّي. وكذلك الصورتان «*Nude youth with lyre*» و«*Orpheus*» الشبيهتان بلوحة «أورفيه» لجبران. هذا فضلاً عن أن الشخصية التي تمثل في صورة داي المعنونة «*The storm God*»، وتلك التي يضعها جبران في قلب لوحته «*Storm*» (العاصفة) تظهران، وليس هذا من قبيل المصادفة، في الوضعيّة نفسها. جبران تعلّم الرسم على نفسه، ودرس في باريس مدّة وجيزة وتردّد إلى «أكاديمية جوليان» وإلى محترف «مارسيل ـ بيرونو». أحد المؤلّفين وصف عصاميّة جبران في مجال الفنّ بالعبارات الشاعرية الآتية: «لم يتابع جبران برنامجاً تعليميّاً منهجيّاً أو أكاديميّاً ولم يحصل قطّ على أيّة شهادة في هذا المجال... مثل عصفور، كان ينقد متى شاء وحيثما شاء لكي يرتقي إلى ذُرى



جبران راسماً في محترفه

عالمه الروحي المرتجى[١]». مع ذلك، مال جبران بالفطرة، وفي وقت مبكر جدّاً، حتى قبل فترة تعليمه في فرنسا، إلى أسلوب بعينه: فبين رسومه الأولى المُنجزة في لبنان وبين لوحاته الأخيرة، أوجه قربى واتصال. كان جبران، خلافاً للعديد من الرسّامين المعروفين، اختطّ لنفسه، منذ البداية، مساراً واضحاً حاول أن يسلكه بأمانة وأن يستمرّ في تطويره. منذ عام ١٩٠٨، خلال حفل عشاء في منزل ماري هاسكل، حدّد جبران رؤيته للفن كالآتي:

«البعض يعتقد أنّ الفنّ محاكاة الطبيعة، ولكنّ الحال أنّ الطبيعة هي من الروعة بحيث تستحيل محاكاتها. ومهما بلغ الفنّ من النبل، فإنّه يعجز عن الإتيان ولو بمعجزة واحدة من معجزات الطبيعة. ثم ما الداعي إلى محاكاة الطبيعة ما دام جميع الذين يمتلكون الإحساس قادرين على الإحساس بها؟ الفنّ يقتصر على فهم الطبيعة ونقل فهمنا لها إلى من يجهلونها. مهمّة الفنّ إظهار روح الشجرة لا رسم

---

(١) Boulos Taouq, *La Personnalité de Gibran dans ses dimensions constitutives et existentielles*, Beyrouth, Bacharia, 1985, t. II, p. 329.

جذع وأغصان وأشجار تشبه الشجرة. هدف الفنّ إظهار وجدان البحر لا رسم الأمواج المزبدة أو المياه الزرقاء. الفنّ خطوة نخطوها من المعلوم المرئي نحو المجهول الخفيّ، من الطبيعة نحو اللامنتهى».

كان جبران منصرفاً عن التيّارات السائدة في زمانه ـ كالتكعيبية والسريالية ـ وآثر أن ينمّي موهبته على هامش التيّارات المجدّدة. كان معجباً بأوجين كاريير وجان دلفيل وأوديلون رودون وبيار بوفي دوشافان ـ الذين تزيّن لوحاتهم جدران مكتبة بوسطن العامّة التي كان معجباً ببساطتها ونقائها ـ أو أمثال فرنان كنوبف وأوبري بيردسلي وإدوادر برن ـ جونز ورسّامي المرحلة ما قبل الرافائيلية... وعاد جبران إلى رمزيّة وليم بلايك الذي كان أباً روحيّاً بحقّ.

مرّت مسيرة جبران الفنيّة بمراحل عديدة، لا يسهل تحديدها نظراً إلى افتقار لوحاته إلى التواريخ والعناوين أو التواقيع:

فالمرحلة الأولى (١٨٩٦ ـ ١٩٠٤) من مسيرة جبران الرسّام هي المتزامنة مع بداية الفنان وتشمل رسومه بالقلم الرصاص أو بالحبر، والممهّدة لأعماله المستقبلية، والتي استخدم بعضها لتزيين دواوين أصدقائه الشعرية أو تلك المنشورة لدى داي. من تلك الحقبة لدينا، على سبيل المثال، رسم تمهيدي يمثّل «حبّاً مجنّحاً مستلقياً على ظهره فوق الأرض وسط حقل خشخاش» (ويذكّر بالمرأة المستلقية في لوحة «*Pity*» لبلايك)، بالإضافة إلى رسوم أخرى تغلب عليها منذ ذلك الحين، النزعة الرمزية الصوفية. من ٣٠ مارس/آذار إلى ١٠ أيار/مايو ١٩٠٤، عرض جبران، بمساعدة فريد هولاند داي، أعماله الأولى في محترف الفنّان في «هارتكورت ستوديوز».

بين عامَي ١٩٠٨ و١٩١٠، خلال إقامته في باريس، تآلف جبران مع الرسم بالزيت ووقّع أعمالاً لافتة مثل «الخريف» التي انتُخبت لكي تعرض في «صالون الربيع» لعام ١٩١٠، في قاعة «لوغران باليه» (القصر الكبير). وبرع في فنّ البورتريه وأنجز سلسلة من الرسوم بالفحم لعدد من فنّاني عصره. هذه الرسوم التمهيدية ذات التظليلات المستدقّة المنحنية، والوجوه الرقيقة ذات الشعر الغائم الخالي من التفاصيل، والعيون شبه المغمضة، منحنية أو في حال الاستدارة، أو ثلاثة أرباع

استدارة، إلى الجهة اليمنى، تذكّر بمخطّطات ليوناردو دافنشي (ومن بينها للمثال «رأس امرأة»). كما أنّ تجاور وجوه عديدة في اللوحة نفسها، كما في «الأعمى» و«أربعة وجوه» أو أيضاً «أربعة وجوه تعلوها أشكال طائرة وملاك»، أمر يتكرّر في رسوم الفنّان الإيطالي الكبير الذي لا شكّ أنّه أثّر عميقاً في أعمال جبران.

بين ١٩١٠ و١٩١٤، بدأت مرحلة جديدة ازدادت فيها أعمال جبران وضوحاً وبراعة. رسم جبران بالزيت أو خطّط بالفحم أعمالاً موسومة بالصور الرمزيّة المتكرّرة، زاخرة بأشكال السنتور (مجموعها سبع عشرة لوحة) والشخصيّات التي لا جنس لها، مخنّثة أو خنثويّة أحياناً، جامدة في أوضاع تأمّليّة أو متقوقعة على ذاتها، متعانقة، مصلوبة، وسط ديكور يذكّر ببداية الفردوس الأرضيّ... وفي بعض اللوحات الأخرى يبدو تأثير رمبرانت Rembrandt ملحوظاً: خلفية معتمة، وجوه وأيدٍ منوّرة بسطوع لافت... في ديسمبر/كانون الأول ١٩١٤، عقب معرضه في «مونتروس غاليري» يكتب جبران: « يتّجه كياني بكامله الآن إلى بداية جديدة. هذا المعرض خاتمة لفصل من فصول حياتي.» عرض جبران من ٢٩ يناير/كانون الثاني إلى الأوّل من فبراير/شباط ١٩١٧ أربعة وأربعين رسماً بالأكواريل في غاليري «كنويدلر وشركاه.» كذلك عرض أعماله بين ١٦ أبريل/نيسان و٢٨ منه في غاليري «دول».

بين ١٩١٥ و١٩٢٠، جرّب جبران تقنية الرسم المائي، من دون تغييرات جوهرية في أعماله. فغدت الشخوص أكثر هوائيّة، أكثر شفافيّة، لكن الأشكال صارت أقلّ وضوحاً، ومعالم الهيئات غائمة غير محدّدة، والأشكال مخطّطة ومظلّلة بالقلم الرصاص. غير أنّ هذه التقنية بدت أقلّ مناسبة لأعمال جبران من الرسم الزيتيّ. وإلى هذه الحقبة، تنتمي مجموعة من اللوحات الخاصّة بموضوعة الأمومة ـ وهي الموضوعة التي تطرّق إليها خلال المرحلتين السابقتين لكن بأسلوب مختلف ـ التي تذكّر بتآليف الأم والطفل لدى أوجين كاريير.

عام ١٩٢٠، وباعتراف جبران نفسه، «تنتهي مرحلة وتبدأ أخرى جديدة». بين ١٩٢٠ و١٩٢٣، تبدو مائيّاته مشغولة بأناة ودقّة. تتصفّى الألوان وتتضح وتتميّز رسومه المشغولة بقلم الرصاص على ورق («المستعبد» أو «العالم الربّاني»)

بهندسة متناغمة. إنّها الحقبة التي عرض فيها أعماله في قاعة Women's City Club في بوسطن والتي أنجز خلالها الرسوم التي سيتضمّنها كتاب **النبيّ**.

المرحلة الأخيرة تشمل الفترة بين عامَيْ ١٩٢٣ و١٩٣١، سنة وفاته. وتشمل لوحات أشدّ قتامة، حيث تختفي الشخصيّات لتحلَّ محلّها أشكال طيفيّة. نشعر بالقلق الذي يستبدّ بالفنّان. أهذا أمر مستجدّ؟ ذلك أنّ الكآبة تسود أعمال جبران التصويرية جميعها، حتى تلك التي لا يغيب عنها الرجاء تماماً: هامات مُطرقة، شخصيّات مسحوقة، أمّهات حزينات.

هل ينبغي لنا أن نردّ هذه الكآبة إلى جذورها الغنائيّة الرومانسيّة التي ورثها من فريد هولاند داي؟. منذ أن التقت جبران للمرّة الأولى، أخذت بوزي عليه طغيان «الكآبة» على طباعه. تلك الطباع، التي ازدادت حدّة بفعل المنفى ونوائب الدهر التي حلّت به، نجد لها تفسيراً محتملاً في مقطع من **الأجنحة المتكسرة**: «والمرء إنْ لم تحبل به الكآبة ويتمخّض به اليأس... تظلّ حياته بيضاء في كتاب الكيان».

انطلاقاً ممّا سبق، نواجه سؤالاً لا بدَّ أن يستوقفنا: هل يُعتبر جبران رسّاماً كبيراً؟ يزعم بعضهم أنّ جبران لم يجدّد، ولم يتمكَّن من اللحاق بركب الحداثة، وأنّه كثيراً ما كان يكرّر نفسه، وأنّ مواكب الأجساد العارية ذات الإيماء المسرحي تغدو، في آخر المطاف، مُضجرة. أمّا بعضهم الآخر فينتقد تقنيّة لوحاته وبناءها. الحقيقة أنّ أعمال جبران التصويرية، على غرار أعمال بلايك، هي وثيقة الاتصال بكتاباته، ولعلَّ مصاحبة رسومه نصوص كتبه هي خير ما يؤكد هذا التطابق لديه بين الكلمة والرسم. يستحيل علينا أن نطلق أحكاماً على أعمال جبران التصويرية بمعزل عن فكره وعن أعماله المكتوبة: إنّها جزء من كلّ. «فنّ الرسم هو لدى جبران التعبير بالخطوط والألوان عن مجموع قراءاته، كتب بولس طوق في هذا الإطار. إنّه أيضاً فلسفته المترجمة إلى ألوان، وكل لوحة من لوحاته تعكس جانباً من هذه الفلسفة[١]».

(١) Boulos Taouq, *op. cit.*, T. II, p. 357.

لوحات جبران موجودة في «متحف تلفير للفنون» (سافانا)، في «بوسطن ميوزيزم أوف فاين آرتس»، و«فوغ آرت ميوزيوم» في هارفرد، و«الميتروبوليتان ميوزيوم أوف آرت» لمدينة نيويورك، و«نيوارك ميوزيوم» لنيوجيرسي، و«وورلد هاوس» في نيويورك. كذلك تحتفظ وزارة الثقافة في لبنان بلوحة مائيّة لجبران تعود إلى عام ١٩١٦. وقد نظّم معهد العالم العربي في باريس معرضاً ضخماً لأعمال الفنّان عام ١٩٩٨.

◄ راجع أيضاً وليم بلايك؛ بيار بوفي دوشافان؛ أكاديمية جوليان؛ **الخريف**؛ فريد هولاند داي؛ أوغست رودان؛ أوجين كاريير؛ أكاديمية كولاروسي؛ بيار مارسيل ـ بيرونو؛ متحف.

رقابة

يزعم بعضهم أنّ السلطات العثمانية استاءت من كتابات جبران، فأحرقت كتابه **الأرواح المتمرّدة** في الساحات العامّة. فهل حصل هذا الإعدام بالحرق فعلاً؟ لا شيء يؤكّد ذلك. في ٨ نوفمبر/تشرين الثاني، نشر جبران في مجلة **الهلال** مقالته الشهيرة: «لكم لبنانكم ولي لبناني». انزعجت السلطة العثمانية في سوريا من هذا النصّ المنشور في صحف ومجلاّت صادرة في نيويورك وبيروت والقاهرة، فحذفته من كل الأعداد الصادرة آنذاك. وسها بالها عن إلغاء العنوان المتعلّق بالمقالة واسم كاتبها من فهرس المواد. فانتبه الجميع إلى ما حذفته الرقابة، فأثار ذلك فضول القرّاء أكثر فأكثر «لم أعلم أنّ الرقابة في سورية صارت حسّاسة إلى درجة لا تستطيع فيها السماح بدخول مقالة مثل «لكم لبنانكم ولي لبناني»، كتب جبران إلى صاحب المجلّة. إنّها والحقّ لحالة تبكي وتضحك في وقت واحد. . .».

دليل آخر على الرقابة أشار إليه جبران في رسالة إلى صديقته مي زيادة، مؤرّخة في ٢٨ يناير/كانون الثاني ١٩٢٠:

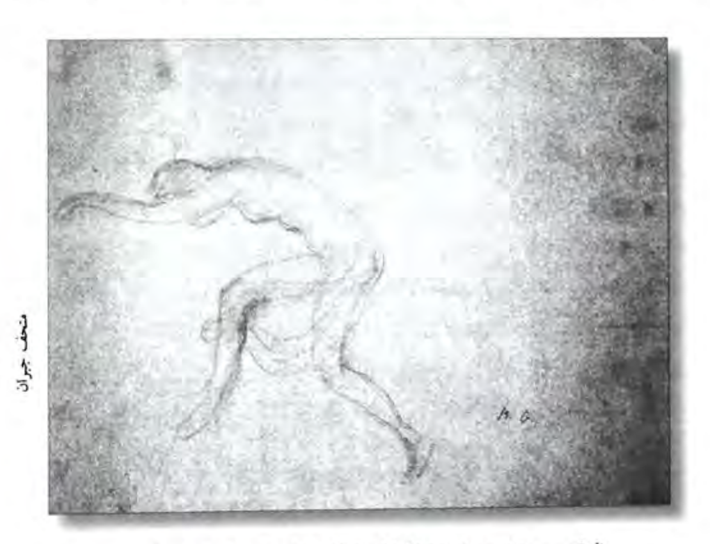
«لقد عرفت في العام الغابر عن «قلم المراقبة» ما يضحك البوم بين القبور!

فقد كان بعض الفتيان الموظّفين في تلك الإدارة النبيلة يفتحون الرسائل الواردة إليَّ من الشرق ويذيّلونها بالحواشي والسلامات والتحيّات والملاحظات السياسية والعمرانية والأدبية وبعضهم كان يطلب منّي المال لأغراض لم أسمع بمثلها!».

رقص

على غرار رودان (الذي نحت لوي فولر Loïe Fuller وإيزادورا دانكن Isadora Duncan) كان جبران مفتوناً بالرقص. والعديد من لوحاته يمثّل كائنات ترقص حتى أنّنا لا نبالغ عندما نتحدّث عن «كوريغرافيا جبرانية».

خلال إقامتهما في باريس، ذهب جبران وصديقه يوسف الحويّك مراراً لحضور عروض للراقصة الشهيرة إيزادورا دانكن في مسرحَي «الشاتليه» و«سارة برنهارت». قرّر الحويّك على الفور أن ينحتها: «تأثّرتُ برقصها فصرت نحّاتاً،



متحف جبران

الرقص بريشة جبران (١٩١٤) والراقصة هي روث سانت دنيس

وليس لتأثّري بالرسم. بعد أن أنجزت منحوتتين لإيزادورا دانكن، سألت جبران عن رأيه فأجابني: «أهنّئك يا يوسف، راقصتك تعكس بشكل كامل إيزادورا. أنت نحّات أفضل منك رسّاماً!» وهكذا فتح لي التأثير الذي مارسته عليَّ هذه الراقصة آفاقاً جديدة». في تلك الحقبة كانت روزينا ومارغريت، وهما موديلان للرسم، تتلقّيان دروساً في الرقص وتعيدان تكرار التمارين على مرأى من صديقيهما الدَهِشين برقصهما.

عام ١٩١٤، قابل جبران في نيويورك الراقصة روث سانت دنيس Ruth Saint-Denis التي أظهرت في عروضها *Radha* (١٩٠٦) و*Egypta* (١٩١٠) اهتماماً كبيراً بالشرق. فُتن جبران بحركاتها الرشيقة فرسمها مرنة، ممشوقة القدّ، حافيةً وأدخلها في مجموعته المعنونة: **معبد الفن**.

لا شك أنّ جبران استوحى من هاتين الراقصتين الكبيرتين ما كتبه في **التائه**: «روح الفيلسوف تقيم في رأسه، وروح الشاعر في قلبه... أمّا روح الراقصة فإنّها تقطن في جسدها كلّه».

رمل وزبد

كان جبران معتاداً تدوين أفكاره على قصاصات من ورق: «تعرفين يا ماري، حيثما أذهب، آخذ معي شيئاً لأكتب عليه. لا أرمي شيئاً أكتبه. وهكذا فإنّي احتفظت بكدسة من الجُمل الصغيرة وحافظت عليها بعناية لأجلك»، يكتب لماري هاسكل(١). وتكتب ماري هاسكل مستذكرة: «جمعنا العديد من حكمه المكتوبة بالعربية على قصاصات من ورق في مفكّرته(٢)».

على غرار ماترلنك وبلايك ونيتشه، قرّر جبران أن ينشر هذه الحكم. وفي رسالة غير مؤرّخة في ٢٣ مارس/آذار ١٩٢٥، يعلن جبران لبلانش كنوبف أنّه

---

(١) Virginia Hilu, *op. cit.*, p. 325.

(٢) *Ibid.*, p. 340.



غلاف «رمل وزبد» كما صدر عن دار كنوبف

سيكون مسروراً لإرساله نسختين من مخطوطة **رمل وزبد** حالما يصبح العمل جاهزاً، كما يعلمها أنّ السيّد سميث بعث إليه برسالة يذكر له فيها إنّه يودّ الحصول على المخطوطة والرسوم في النصف الأوّل من شهر مايو/ أيّار. وفي خريف ١٩٢٦، نشر جبران الكتاب لدى دار ألفرد كنوبف ويحتوي على ٣٢٢ توقيعة جمعتها بربارة يونغ، كما اشتمل على سبع من لوحاته وعدد من الرسوم الصغيرة التي تضمّنها الكتاب وجُعلت فواصل بين مَثَل ومَثَل. يقترح هذا العمل، الذي كان عنوانه الأوّلي «طريق السبعة أيّام» تأمّلات في موضوعات شديدة التنوّع؛ الحبّ، الصداقة، الرغبة، الموت، الحرّية... ويتكشّف أحياناً عن رؤية مانوية للعالم: «كيف أخسر إيماني بعدل الحياة وأنا أعرف أنّ أحلام الذين ينامون على الريش ليست أجمل من أحلام الذين ينامون على الأرض». أو: «الولادة والموت مظهران من أنبل مظاهر الشجاعة». هذه الحكم المكتوبة بأسلوب بسيط منمّق لا تترك قارئها حيادياً... من جهة أخرى، تشهد رسائل جبران المحفوظة

لدى الناشر كنوبف على العناية التي كان الكاتب يوليها لطباعة هذا الكتاب الذي يتضمّن العديد من الصور الفاصلة بين الأمثال (رسالتا ٢٢ مايو/ أيّار و٢ يوليو/ تموز ١٩٢٦). لا بل إنّ جبران تدخّل شخصيّاً لدى المسؤول عن الطباعة لإعطائه بعض الملاحظات والتوجيهات.

في النسخة العربية من الكتاب (ترجمة أنطونيوس بشير) الصادرة في ديسمبر/ كانون الأوّل ١٩٢٦، يمكننا قراءة هذه المقدّمة الغريبة التي كتبها جبران: «ليس هذا الكتاب الصغير بأكثر من اسمه ـ **رمل وزبد** ـ حفنة من الرمل وقبضة من الزبد. وبالرّغم عمَّا ألقيت بين حبّاته وحبّات قلبي، وبالرغم عمّا سكبت على زبده من عصارة روحي، فهو الآن وسيبقى أبداً أقرب إلى الشاطئ منه إلى البحر (. . .) بين جانحي كل رجل وكل امرأة قليل من الرّمل وقليل من الزبد. ولكن بعضنا يبيّن ما بين جانحيه وبعضنا يخجل. أمّا أنا فلم أخجل».

رودان، أوغست (١٨٤٠-١٩١٧) Auguste Rodin

التقى جبران أوغست رودان مرّة واحدة لدى افتتاح «صالون الربيع» في باريس. رأى جبران رجلاً سبعينيّاً ذا لحية بيضاء مقبلاً نحوه، محاطاً بمجموعة من النساء. عندئذ استجمع كل ما أوتي من شجاعة ودنا منه محييّاً ومُسرّاً إليه ببضع كلمات. وبحسب ما اعترف به جبران، طلب منه أن يشاهد لوحته «لكي يسمع منه تقويماً سيلقى صداه الإيجابي في أميركا». غير أنّ رودان لم يتّسع وقته لأكثر من وقفة عابرة قبالة لوحة الفنّان الشابّ، ثم واصل جولته.

يذكر الحويّك: «كان ذلك اللقاء الوحيد والوجيز بين جبران ورودان وكل ما قيل عن علاقته وتتلمذه على النحّات الشهير (. . .) ليس إلاّ ضرباً من الأباطيل[١]». سيستغلّ جبران هذا اللقاء الوجيز مدّعياً، لدى عودته إلى الولايات المتحدة، أنّه أثار إعجاب رودان الذي لم يكن موجوداً لينفي ما نُسب إليه أو

(١) ادفيك شيبوب، **جبران والحويك في باريس**، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١، ص ٢٤٧.



أوغست رودان بريشة جبران

ليؤكّده! ثمّة مصادر تقول إنّ جبران زار محترف رودان مرّة. عند وفاة الفنّان، في نوفمبر/تشرين الثاني ١٩١٧، كرّس له جبران مقالة عنوانها «سيّد الطين»:

«لأيّ عنصر أنقى وجّهت يديك الماهرتين؟ أيّ شكل أنبل من الإنسان اجتذب عينيك الثاقبتين؟ أيّ أحلام أنبل وأجرأ تراود خيالك اليوم؟

. . . يا سيّد الطين! ليتك بقيت وقتاً أطول بيننا! ليتك انتظرت وسط هذا الليل الهادر طلوع الفجر الثاني للأرض!».

◄ راجع أيضاً: باريس.

روزفلت روبنسن، كورين (١٨٦١-١٩٣٣) Roosevelt Robinson, Corinne

شقيقة رئيس الولايات المتحدة تيودور روزفلت وزوجة دوغلاس روبنسون. إحدى مؤسّسات «رابطة شعراء أميركا» ومؤلّفة بضعة دواوين منها *Out of Nymph*



السيدة كورين روزفلت (الأولى إلى اليسار وقوفاً)

(١٩٣٠). التقاها جبران للمرّة الأولى في «رابطة شعراء أميركا» في مارس/آذار ١٩١٥. عندما قرأ الفنّان أحد نصوصه من كتاب المجنون: «البحر الأعظم»، انتفضت السيّدة روزفلت معترضة على الأفكار التي يعالجها جبران في هذا المثل. لكن هذه الحادثة قرّبتهما. دعت جبران إلى منزلها على العشاء وطلبت منه أن يتلو قصائده علناً. كذلك استقبلته في منزلها الصيفي «هاندرسن هاوس»: «إنّها شخصيّة مميّزة ومفيدة في كلّ شيء، تضجّ حياة وحيوية»، كتب جبران عنها. وعندما علم بمرضها، كتب لها: «لا توفّي الكلمات التعبير عن حزني حين أفكّر أنّك تتألّمين. أعتقد، كما يعتقد كلّ هؤلاء الذين يحبّونك، أنّك الشخص الوحيد الذي يفترض ألاّ يصيبه أيّ مرض، لأنّ عليه أن يهب الناس إلى العالم دون ملل هذا العنصر الروزفلتي المحفّز الذي يشجّع الناس على التفكير والتحرّك بجديّة أكبر.» عام ١٩١٨، أقامت «رابطة شعراء أميركا» حفلاً تكريميّاً لجبران، فكتب جبران في إحدى رسائله غير المعروفة الموجّهة إلى ويتر باينر في ١٨ مارس/آذار

١٩١٨ : «أقامت رابطة شعراء أميركا حفلاً تكريمياً على شرفي وغمرني الجميع بلطفهم فعلاً».

روزينا

روزينا هي الموديل الذي اتّخذه جبران ويوسف الحويّك حين كانا في باريس بين عامَي ١٩٠٨ و١٩١٠. يتذكّر الحويّك: «استأجرنا موديلاً واحداً وكان همّنا توفير المال. كانت تدعى روزينا. وعملنا ثلاث ساعات دون توقّف مصحوبة بساعة راحة». كانت روزينا من أصل إيطالي، ذات «شعر بلون الذهب المحروق». ألهمت جبران التي دعاها «رفيقة روح بوتيتشلي»، بضع لوحات منها **الخريف والمحمولة على أذرع الملائكة**. كذلك ألهمت الحويّك رسوماً عدّة[١].



روزينا مقبّلة جبران في باريس (بريشة يوسف الحويّك)

(١) Nazih Khater et Mohsen Yammine, *Rêve de pierre, sculptures de Youssef Hoayeck*, Beyrouth Dar An - Nahar, 2004, p. 27.

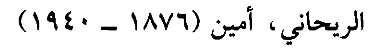
كانت روزينا تدرس الرقص مع صديقتها مارغريت، وكانتا تعيدان على مرأى من صديقيهما اللبنانيين ما كانتا تتعلّمانه. يذكر يوسف الحويّك: «على وقع الموسيقى رقصت روزينا مع مارغريت وتهادى جسداهما تارة في ثياب يونانية قديمة، وطوراً في ملاءة شفّافة مغناج، تضفي على الجمال النابض مسحة مقدّسة، كنت وصديقي جبران نستغرق حيالهما في تأمّل وخشوع... وانتشاء!...». عندما ألمّت بجبران وعكة صحّية في باريس، اهتمّت به روزينا، وللتعبير عن امتنانه لما فعلته، أهدى إليها سلسلة وثلاث أساور فضّية. قالت عنه ليوسف الحويّك: «كان أميراً لطيفاً ومهذّباً. لم تبدر لي مرّة منه حركة أو كلمة غير لائقة... لم أكن دائماً أفهم كلّ ما يقول، إنّما كنت، بحدسي، أشعر أنّ أحاديثه هي فوق مستوى الأحاديث العادية[1]...».

◀ راجع أيضاً: باريس؛ يوسف الحويّك؛ **الخريف**؛ رسم.

ريح

ليست الرّيح، لدى جبران، تعبيراً أساسيّاً عن الحياة فحسب بل هي كلمة الحياة: «عندما تتكلّم الحياة، تصبح جميع الرياح كلاماً»، وفي إحدى رسائله لماري هاسكل يكتب: «الهواء مملوء بضجيج المياه الهادرة وخفقان الأجنحة الجبّارة. صوت اللّه في الريح». وصورة النَفَس الإلٰهي التي تطغى على نصّ **آلهة الأرض** تذكّر بهذه الآية في الكتاب المقدّس: «إنّ روح اللّه يرفّ على وجه المياه» (سفر التكوين، الفصل الأوّل، الآية الثانية).

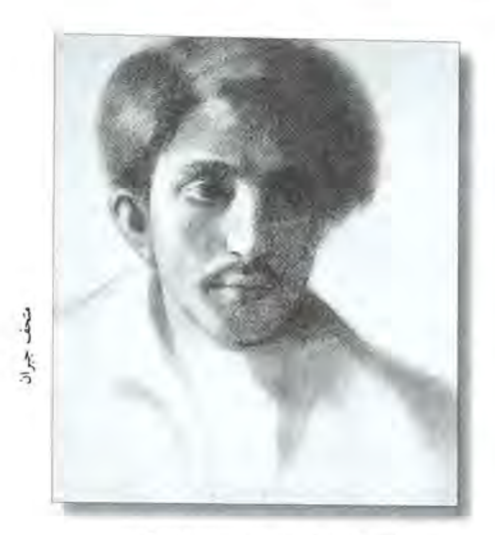
◀ راجع أيضاً العاصفة؛ **العواصف**.



الريحاني، أمين (١٨٧٦ ـ ١٩٤٠)

وُلد في قرية الفريكة في لبنان وتلقّى دروسه الابتدائية في مدرسة القرية وكان المعلّم فيها نعّوم مكرزل. في الثانية عشرة، هاجر إلى الولايات المتّحدة والتحق

(١) ادفيك شيبوب، **جبران والحويك في باريس**، ص ٢٥٩.



متحف جبران

أمين الريحاني بريشة جبران (١٩١١)

في نيويورك (١٨٩٧) بمدرسة ليلية تمهيداً لدرس الحقوق كي يتهيّأ لدخول الجامعة. ما إن باشر سنته الأولى في معهد الحقوق حتى اعتلّت صحّته فأشار عليه الطبيب أن يعود إلى لبنان للاستشفاء في مناخ جبلي جافّ. لدى عودته الأولى إلى لبنان، التحق بمدرسة مار يوسف في قرنة شهوان في المتن يعلّم الإنكليزية ويتعلّم العربية. «تلك العودة قادت الريحاني للتعرّف إلى أمّهات المصادر التراثية العربية أمثال القرآن الكريم ونهج البلاغة ولزوميّات المعرّي والنتاج الشعري لابن الفارض وابن عربي وسواها من عيون الآداب العربية التي غرف الريحاني من معينها». بعد أن كان الريحاني لا يعرف إلاّ القليل من اللغة العربية وآدابها، اكتشف عشقه لها: «إنّني ممّن يتعشّقون هذه اللغة الشريفة. وإذا كانت الإنكليزية تسابقها أحياناً إلى خيالي وتجلس مكانها في معقولي فهي لا تزال على لساني وفي قلبي وطيّ أحلامي. ليعذر منّي القارئ هذا الإفصاح. فمن العادي الفطري أن يحبّ المرء لغة أجداده، ولكن لحبّي سبباً آخر غير الفطرة فهو

ناشئ عن إعجابي بالجميل الخالد من الآداب العربية وما هو بالقليل إذا قسناه بمثله في لغات الأجانب» (مقتطف من «روح اللغة» في كتاب **الريحانيات**).

عاد أمين الرّيحاني إلى نيويورك مجدّداً عام ١٨٩٩. تردّد إلى الأوساط الأدبية والفنيّة وأخذ يكتب مقالاته الأولى لجريدة **الهدى** (كانت له فيها زاوية أسبوعية عنوانها **كشكول الخواطر**). عام ١٩٠٣، نشر ترجمة لرباعيات أبي العلاء المعرّي الذي اعتبره «فولتير الشرق»: «جمعني اللّه بأبي العلاء المعرّي بعد أن أهداني بواسطة الفيلسوف الإنكليزي إلى الرسول العربي. قرأت «اللزوميّات» معجباً بها، ثم قرأتها مترنّماً، ورحت أفاخر بأنّني من الأمّة التي نبغ فيها هذا الشاعر الحرّ، الجسور، الحكيم». عام ١٩١١، نشر كتاب «خالد» مرفقاً برسوم وضعها جبران، ويُعدّ هذا الكتاب رمز الفكر الحرّ في العالم العربي. كان الرّيحاني ذا رؤية وحدويّة على الصعيد الفلسفي والديني والفنّي وكذلك على الصعيد السياسي. وعلى غرار فولتير، شدّد أمين الرّيحاني على التساهل في الدين واعتبره الطريق والحقّ والحياة وروح اللّه: «إنّ التساهل مبنيّ على الخلاف وقد يكون هو الذي أوصل الشكيين إلى الريبة في كل شيء فقالوا عن كل أمر «لا ندري» (. . .) لا لأنّهم يقرّون قصورهم بل لأنّ العلماء والحكماء يفتخرون بقولهم «لا ندري» عن المسائل التي تفوق إدراكهم. فلمَ نتعصّب ما دمنا نتذبذب من ضعفنا عن تفهّم أمور دينية كثيرة لم يصل العقل إليها؟».

التقى الرّيحاني جبران مرّات عدّة وشجّعه على الالتزام السياسي. وفي رسالة إلى قريبه نخلة (باريس ١٤ يناير/كانون الثاني ١٩٠٩) اعتبر جبران الرّيحاني: «أحد الرجال النادرين في سوريا الذين لا يتردّدون عن المشاركة في الأعمال الكبيرة». عام ١٩١٠، زار الرجلان باريس ولندن معاً ثم التقيا في نيويورك نزولاً عند رغبة جبران الذي كتب في ١١ نوفمبر/تشرين الثاني إلى صديقه: «كم أكون سعيداً عندما تجمعني بك الأيّام في مدينة واحدة، فنقف سوية أمام وجه الشمس (. . .) تلك أمنية تُحقّقها الأيّام إن شاء اللّه!».

شارك الرّيحاني عام ١٩١٣ في المؤتمر العربي في باريس. وعام ١٩٢٠، انضمّ إلى الرابطة القلميّة لكنّه لم يلعب إلاّ دوراً محدوداً. واعترى العلاقة بين

جبران والريحاني (الذي أصبح صديق شارلوت تِلِر عام ١٩١٣) بعض الفتور بدءاً من عام ١٩٢٠.

يعتبر مارون عبود أنّ جبران والرّيحاني هما في طليعة الروّاد الذين أيقظوا الأدب العربي من غيبوبته:

«فالاتجاه الجديد المستقلّ استقلالاً ناجزاً في أدبنا أبواه الرّيحاني وجبران. أمّا الرّيحاني فاتّجه في صوب جديد. صار ابن بطّوطة جديد يدرس الأقطار والأقاليم العربية ويصوّرها في اللغتين الإنكليزية والعربية». هذا الشعور القومي الوحدويّ مهّد له الرّيحاني في رحلته إلى الجزيرة العربية سعياً «إلى توثيق وتمكين وتعزيز تلك الرابطة الوطنية القوميّة التي تتلاشى عندها الجنسيّات الصغيرة والعصبيّات الصغيرة والمذهبيّات كلّها» (**الريحانيات**).

تميّز الرّيحاني بحيويّة فكره وتعدّديّة اتّجاهاته: «إنّه مزيج فذّ من الرسّام والراوية والشاعر والمسرحي والمخبر والمصوّر الفوتوغرافيّ والمحقّق» (طلال سلمان). سعى دوماً إلى تنمية مداركه روحاً وعقلاً وجسداً.

توفي أمين الرّيحاني في ١٣ سبتمبر/أيلول ١٩٤٠ في الفريكة. له العديد من الأعمال المنشورة في حياته وبعد وفاته منها: **الريحانيّات**، **ملوك العرب**، **تاريخ نجد الحديث**، **قلب لبنان** (١٩٤٧)، **نور الأندلس** (١٩٥٢)، **القوميّات** (١٩٥٦)، **قصّتي مع مي** (١٩٨٠). وقد أقيم في بلدته متحف يحمل اسمه.

◀ راجع: الرابطة القلمية؛ باريس.



زيادة، مي (١٨٨٦-١٩٤١)

مي زيادة (واسمها الحقيقي ماري) من أب لبناني وأم فلسطينية. عاشت طفولتها في بلاد الأرز وارتادت مدرسة عينطورة التي أسَّسها الآباء اللعازاريون. عام ١٩٠٨، غادر أبوها بلدته شحتول في لبنان ليستقرّ في مصر حيث تولّى إدارة جريدة «المحروسة». كانت مي تتمتّع بمواهب مميّزة، تتقن عدداً من اللغات من بينها العربية والفرنسية والإنكليزية، فانطلقت في عالم الصحافة والأدب. وسرعان ما أثبتت نفسها ناقدةً أدبيةً ونشرت بتوقيع مستعار هو ايزيس كوبيا مجموعة من القصائد بالفرنسية تحت عنوان *Fleurs de rêve* **(ازاهير حلم)** الصادرة عام ١٩١١. تسجّلت في جامعة القاهرة عام ١٩١٤ فأحدث ذلك فضيحة في مصر: كانت أوّل امرأة في مصر تريد متابعة دراسات عليا. كانت مي مناضلة في الحركة النسوية وجعلت من منزلها في القاهرة صالوناً أدبيّاً استقبلت فيه مساء كلّ ثلاثاء كبار المفكّرين في زمانها: طه حسين، يعقوب صرّوف، لطفي السيّد، عبّاس محمود العقّاد، إدغار جلاّد، اسماعيل صبري، مصطفى صادق الرافعي، أنطون الجميل، وليّ الدين يكن... وسرعان ما أصبحت ملهمهتم. يذكر الرّيحاني إنّ مي، برغم صداقتها لعدد من المفكّرين الكبار أمثال شبلي الشميّل ويعقوب صرّوف، ظلّت بعيدة عن كلّ النزعات المعاصرة: «لا أحد استطاع أن يغيّر عقيدتها الموروثة أو أن يدخل على إيمانها شيئاً من الاضطراب (...) إنّها منذ نشأتها مستقلّة، حرّة في تفكيرها، تستشفّ مواطن الإلهام حيثما وجدتها وتستوحي الحياة في مظاهرها


متحف جبران

مي زيادة بريشة جبران (١٩٢٠-١٩٢١)

الكلّية والجزئية وتطالع وتدرس وتفكّر دون أن تقتدي بأحد ممّن تقدّمها أو عاصرها من الأدباء» (أمين الرّيحاني: **قصّتي مع مي**).

تعرّفت مي إلى جبران عام ١٩١٢ من خلال مقالته: «يوم مولدي» التي نشرت في الصحافة وفتنها أسلوبه. وفي العام نفسه، صدر كتابه **الأجنحة المتكسّرة**. قرأت مي الكتاب فأعجبت به، ثم كتبت إلى جبران رسالة تهنّئه فيها:

«أشاطرك مبدأك الأساسي المنادي بحريّة المرأة. لأنّ المرأة ينبغي أن تمتلك حرّيتها التامّة في اختيار زوجها وفق ما تمليه عليها أحاسيسها الخاصّة. فمن غير الجائز أن تُحشر حياتها في قالب يختاره لها جيرانها ومعارفها...».

وردّ جبران على رسالتها وكانت بداية علاقة عن طريق الرسائل، باللغة العربية، استمرّت حتى وفاة الكاتب. فما هي الأمور التي تبادلها المنفيّان في رسائلهما؟ في البداية كانا يتبادلان المدائح ويتحدّثان في الأدب، ولكن شيئاً فشيئاً نشأ بينهما شكل من التواطؤ الذي استحال حبّاً في النهاية. استهلّ جبران رسائله

الأولى إليها، والتي كان يكتبها بحرص وعناية لا يبذلهما في تدبيج رسائله إلى ماري بالعبارة الآتية: «إلى الأديبة الموهوبة الفاضلة»، ولكن في رسائله الأخيرة، يناديها «عزيزتي». كان يسرد لها وقائع أيّامه مستذكراً طفولته وأحلامه وحنينه إلى الشرق، كما كان يبعث إليها ببطاقات دعوة إلى معارضه أو قراءاته، وقصاصات جرائد حول أعماله، وبطاقات بريدية تحمل رسوماً صغيرة تتّسم أحياناً بالطرافة وتكون في أحيان أخرى مغرقة في رمزيّتها. في ٢٤ مارس/آذار ١٩١٣، خلال حفل تكريم الشاعر اللبناني خليل مطران الذي أقيم في القاهرة، طلب إليها أن تتحدّث معرّفةً به وأن تقرأ أحد نصوصه نيابةً عنه.

مي، امرأة حسّاسة وحالمة. وحين نشبت الحرب العظمى قاطعة خطوط التواصل عبر البريد، تشبّثت الفتاة بذكرى صديقها البعيد ورفضت كلّ من حاول التقرّب إليها. وقد عبّرت في مقالة نشرتها في جريدة والدها، عن أمنيتها بأن تلاقي الوجه الحبيب الذي تحول المسافة دون رؤيته، متخيّلة نفسها محلّقة فوق مياه البحر لملاقاته. إذ كان من الواضح أنّ جبران بات يحتلّ مكانة مميّزة في عالمها الرومانسي.

من دون أن يلتقيا كان الأديبان يشعران بأنّهما متقاربان، لا بل كانا متقاربين فعلاً إلى درجة شعر معها جبران بأنّ «خيوطاً غير مرئية» تربط فكره بفكر مي، ونفسه بنفسها، وتخيَّل أنّ روح مي ترافقه، بفضل ما يسمّيه «العنصر الشفّاف»، حيثما يذهب، تماماً كما استخدم صيغة «نحن» في بعض رسائله التي يوجّهها إلى ماري هاسكل، للتدليل على أنّ نفسيهما متّحدتان برغم المسافة التي تفصل بينهما:

«أنت تتأسّفين لأنّك لم تستطيعي الحضور إلى «الوليمة الفنية» وأنا أستغرب أسفك هذا، أستغربه جدّاً، تذكرين ذهابنا معاً إلى المعرض؟ هل نسيت انتقالنا من صورة إلى صورة؟ (...) الظاهر أنّ «العنصر الشفّاف» فينا يقوم بكثير من الأعمال والمآتي على غير معرفة منّا، فهو يسبح مرفرفاً إلى الجهة الثانية من الأرض (...) ما أغرب العنصر الشفّاف فينا يا مي، وما أكثر أعماله المجهولة لدينا. ولكن عرفناه أو لم نعرفه فهو أملنا ومحجّتنا. وهو مصيرنا وكمالنا. وهو نحن في الحالة الربّانية.

هذا وأنا أعتقد بأنّك إذا أجهدت حافظتك قليلاً تتذكّرين زيارتنا إلى المعرض فهلاّ فعلت؟».

وفي يونيو/ حزيران ١٩٢١، أرسلت إليه مي صورتها، وهي الصورة التي بالاستناد إليها أنجز رسماً لها بالفحم: «ما أجمل هذه الصورة. ما أجمل وما أحلى هذه «البُنيَّة» وما أوضح دلائل الذكاء في عينيها...». قبالة الصورة التي جعلت لذاك الحبّ الأثيري قواماً، وليد صلات التراسل البريئة، وقف جبران متفكّراً حالماً. كانت تلك المرأة تتمتّع بكلّ ما قد يثير فيه مشاعر الحبّ والإعجاب، غير أنّها كانت بعيدة المنال. وهو لم يكن شاعراً، آنذاك، بأنّه مستعدّ لمغادرة أميركا أو للارتباط. ما العمل؟ الاستمرار في العلاقة أم قطعها؟ كان جبران يجد في ذلك الحبّ الروحاني، الفكري، ملاذاً له وواحة اطمئنانه. ولكن ماذا عنها هي؟ هل خطر بباله يوماً أنّ كلامه المعسول سيشعّ آمالاً زائفة في قلب صديقته؟

في أكتوبر/ تشرين الأوّل ١٩٢٣، افتقد جبران فجأة ما كان يحيط به من مشاعر الحبّ. رحلت «بوزي» وميشلين وشارلوت وجرترود، وماري أيضاً اختارت أن تبتعد. ولشعوره بفراغ كبير من حوله، سارع إلى تدبيج رسالة إلى مي صارحها فيها من دون مقدّمات «أنت تحيين فيَّ وأنا أحيا فيك، أنت تعلمين ذلك وأنا أعلم ذلك». وفي ديسمبر/ كانون الأوّل من العام نفسه، عاود الكرّة فكتب لها: «أنت معي في هذه الساعة. أنت معي يا مي (...) أعلم أنّنا أقرب من عرش اللّه في هذه الليلة منّا في أيّ وقت من ماضينا (...) أنت أقرب الناس إلى روحي، وأنت أقرب الناس إلى قلبي، ونحن لم نتخاصم قطّ بروحينا أو قلبينا (...) أحبّ صغيرتي، غير أنّني لا أدري بعقلي لماذا أحبّها، ولا أريد أن أدري بعقلي. يكفي أنّني أحبّها. ويكفي أنّني أحبّها بروحي وقلبي، يكفي أنّني أسند رأسي إلى كتفها كئيباً، غريباً مستوحداً فرحاً مدهوشاً مجذوباً، يكفي أن أسير إلى جانبها نحو قمّة الجبل وأن أقول لها بين الآونة والأخرى «أنت رفيقتي، أنت رفيقتي».

أبدت مي قدراً كبيراً من الحياء والتحفّظ، وإذ أربكها بعض ما ورد في رسائل صديقها، سواء لما تضمّنه من اعترافات جريئة أو من استهزاء بالنبرة

الرسميّة التي تعتمدها من دون أن تدري، «حردت» وكفّت عن مراسلته بضعة أشهر. أمّا مشاعرها الحقيقيّة فكانت تعبّر عنها في مقالاتها. إلى المدائح التي كالتها في مقالاتها النقديّة لأعمال جبران، ودبّجت عدداً من النصوص خاطبت فيها حبيبها من دون أن تسمّيه. وفي مقالة لها عنوانها «أنت، أيّها الغريب»، عبّرت عن شغفها بمن « لا يدري أنّها تحبّه» ومن تبحث عن صوته بين كل الأصوات التي تسمعها. غير أنّها كانت تراودها الشكوك أحياناً فتتخوّف في قرارة نفسها من أن يكون هذا كلّه مجرّد وهم، ويكون حبّها متوهّماً. في نصّها المعنون «عند مفترق الدروب»، تسأل الرجل الذي يسكن أفكارها: «من أنت؟ هل أنت وحي يفيض عن شعري، طيف من أطياف رغبتي وعذابي؟ أم أنّك واقع ملموس عبر أفق حياتي كما تعبر سفينة عباب البحر قاصدة الشطآن البعيدة؟».

وفي رسالة مؤرّخة ١٥ يناير/كانون الثاني ١٩٢٤، تجرّأت مي أخيراً، وقد عيل صبرها، على البوح بحبّها لصديقها. بعد مقدّمة طويلة تلوم فيها جبران، على سبيل المزاح، لأنّه لم «يعيّدها» لمناسبة الأعياد مشيرة إلى الخصومة القديمة بين أهل بشرّي وأهل إهدن، بلدتها، تعترف مي أخيراً بحبّها الرجل الذي تلقّبه بـ «المصطفى»، على غرار الشخصيّة الرئيسة في كتابه **النبيّ**. تقول مي إنّها كتبت صفحات الرسالة هذه ضاحكة لكي «تتحايد» قول إنّه محبوبها ولكي «تتحايد كلمة حبّ». فهي تعلّق آمالاً كباراً على الحبّ وتخشى ألاّ يوفّر لها ما تتوقّعه منه. وتضيف بأنّها تقول هذا مع يقينها بأنّ قليلاً من الحبّ يمثّل في عينيها، الكثير. غير أنّ القليل من الحبّ لا يكفيها. أمّا بوحها له بأسرارها، فماذا يعني؟ هي لا تدري تماماً ماذا تعني بقولها كلّ ذلك. غير أنّها تعلم يقيناً أنّه حبيبها وأنّها تؤلّه الحبّ. ثم تسأل: ما الذي حداها على الاعتراف له بأفكارها؟ وتحمد اللّه لأنّها تكتب أفكارها لأنّها لو كانت تخاطبه وجهاً لوجه لأحجمت عن ذلك وآثرت الابتعاد عنه مدّة طويلة ولن تسمح له برؤيتها مجدّداً إلاّ بعد أن ينسى كلامها برمّته.

وتضيف مي في رسالتها، واصفة غروب الشمس عند الأفق البعيد، بين الغيوم، فيما يتلألأ نجم، بديع الشكل والمظهر، هو نجم فينوس (الزهرة) إلٰهة الحبّ. وتخبره كيف راحت تسأل نفسها إذا كان هذا الكوكب مأهولاً بأناس

مثلهما، متحابّين مفعمين بالاشتياق. وتسأل مجدّداً: هل يُعقل أن تكون فينوس (الزهرة) ليست مثلها، وليس لها جبران ذلك الحضور النائي الجميل والذي هو قريب جدّاً في الحقيقة؟

وفي رسالة مؤرّخة في ٢٦ فبراير/شباط ١٩٢٤، يجيبها جبران بطريقة مواربة:

«تقولين لي إنّك تخافين الحبّ. لماذا يا صغيرتي؟ أتخافين نور الشمس؟ أتخافين مدّ البحر؟ (. . .) لماذا يا ترى تخافين الحبّ؟ أنا أعلم أنّ القليل في الحبّ لا يرضيك، كما أعلم أنّ القليل في الحبّ لا يرضيني (. . .) نحن نريد كلّ شيء. نحن نريد الكمال (. . .) لا تخافي ما فيه من الألم والحنين والوحشة ورغم ما فيه من الالتباس والحيرة (. . .) والآن قرّبي جبهتك. قرّبي جبهتك الحلوة ـ كذا، كذا. واللّه يباركك واللّه يحرسك يا رفيقة قلبي الحبيبة».

سوى أنّ كلام جبران لم يشفِ غليلها. كانت مي تعلم جيّداً أنّ جبران يحدّثها عن الحبّ، غير أنّ كلامه مغرق في المثاليّات بحيث يبدو مجرّد كلام هوائيّ لا أكثر. وإذ فوجئ بموقف صديقته غير المتوقّع، بدا أنّه مال إلى التراجع ضنّاً منه بحريّته أو ضنّاً منه بما تبقّى من حياته ـ لعلمه أنّ المتبقّي ليس الكثير ـ مؤثراً ألاّ يرتبط بعلاقة تتطلّب منه، وممّن يحبّ، تضحيات جساماً. عندئذٍ، أدركت مي بكثير من المرارة، أنّ ثمّة التباساً عميقاً بين رغبتها هي وبين تصوّر جبران لعلاقتهما. وندمت لأنّها صارحته، ولأنّها بادرت إلى البوح بحبّها. ولزمت الصمت ثمانية أشهر، الصمت الذي وصفه جبران بأنّه السكوت «الطويل كالأبدية».

على الرغم من ذلك استمرّ جبران ومي في تبادل الرسائل، ولو بوتائر متباعدة حتى وفاة جبران. وقد أرفقت آخر رسالة تلقّتها مي من صديقها برسم لراحة يد مبسوطة وفي وسطها شعلة زرقاء. . . رمز مكتمل! عندما بلغها نبأ وفاة جبران، أطلقت مي صرخة ألم مدوّية.

لقد أثارت العلاقة التي نشأت بين جبران ومي عبر الرسائل عدداً لا يُحصى من التأويلات والكتابات. إذ زعم بعض الكتّاب، في ميل إلى المغالاة في تقدير

الأهمِّية التي اكتسبتها تلك العلاقة في حياة جبران، أنّ هذا الأخير فاتحها بموضوع الزواج. أمّا بعضهم الآخر فأقام الصلة بين موت جبران المبكر وبين حالة الجنون التي أصابتها في آخر أيّامها، مستندين إلى صورة لجبران كانت مي قد دوّنت عليها الكلمات الآتية: «هذه مصيبتي منذ أعوام». غير أنّ هذه المزاعم لا تستقيم أمام الوقائع: فالرسائل المتوافرة لدينا اليوم (وكثير منها فقد أو أُتلف) لا تأتي على ذكر الزواج البتّة والانهيار العصبي الذي عانته مي كانت أسبابه عديدة، منها حزنها وعزلتها إثر وفاة والديها وأعزّ أصدقائها، يعقوب صرّوف، وكذلك الضغوط التي مارسها عليها أقرباؤها للاستيلاء على ممتلكاتها... يتحدّث الرّيحاني في كتابه **قصّتي مع مي** المنشور بعد وفاته بفترة طويلة، عام ١٩٨٠، عن هذه الصفحة المفجعة من قصّة مي حين التقاها في المستشفى. لم تشأ التحدّث إليه في الزيارة الأولى، كانت مكتئبة مغتاظة منه لأنّه لم يزرها ولأنّه صدّق ما شيّعه الناس عنها: «عندما رأتني الآنسة مي، سارعت إلى تغطية زندها المكشوف، ثم رفعت الغطاء إلى ما فوق عنقها، وأشاحت بوجهها عنّي». لكن عندما زارها للمرّة الثانية، تجاوزت نقمتها عليه وأخبرته مصابها: «بحجّة التغذية وباسم الحياة ألقاني أولئك الأقارب في دار المجانين أحتضر على مهل وأموت شيئاً فشيئاً (...) كان أقاربي في زياراتهم النادرة لي يستمعون إليّ بسرور وأنا أصف نكالي وشقائي راجيةً منهم عبثاً أن يرحموني ويخرجوني من العصفورية».

مهما كان من أمر، يبقى أنّ الرسائل التي تبادلها جبران ومي زيادة هي من بين الأغنى والأجمل في أدب المراسلات بالعربية، ولا ريب في أنّها البرهان الساطع على ميل جبران المذهل إلى «الحبّ» المجرّد من شهوة الجماع وعلى الرغم من بُعد المسافة:

والحبّ في الروح لا في الجسم نعرفه

كالخمر للوحي لا للسكر تنعصر

بعد أن أدخلها أقرباؤها في لبنان إلى المصحّ العقلي في العصفورية، عادت مي إلى القاهرة عام ١٩٣٩ وتوفيت في مستشفى المعادي في ١٩ أكتوبر/تشرين الأوّل ١٩٤١. من مؤلّفاتها، **باحثة البادية**، **سوانح فتاة**، **ظلمات وأشعّة**.

ومن ترجماتها: **الحبّ في العذاب** (عن الإنكليزية)، **رجوع الموجة** (عن الفرنسية)، **ابتسامات ودموع** (عن الألمانية). ويروي أمين الريحاني أنّها كانت تعمل قبل مرضها على ترجمة **نقد العقل المحض** للفيلسوف الألماني كانط.

زيدان، إميل (١٨٩٦ ـ ١٩٨٢)

والده جرجي زيدان، ناشر وصاحب مجلة **الهلال**. تولّى بعد والده إدارة المجلّة ووسّع أعمال النشر فيها. اتّصل بجبران عن طريق مي زيادة ونشر له الكتاب الخامس بالعربية: **العواصف**. كذلك أصدر زيدان الترجمة العربية لكتابَي **المجنون** و**السابق**، وأنطولوجيا تجمع كلمات جبران وقصائده. لم يلتقِ الرجلان قطّ.

◀ راجع أيضاً: صحافة؛ **العواصف**.



إميل زيدان



جرجي زيدان

زيدان، جرجي (١٨٦١-١٩١٤)

درس جرجي زيدان في الكلِّية السوريّة الإنجيليّة في بيروت. اجتذبته مصر فأقام في القاهرة حيث أنشأ مجلّة **الهلال** التي كان جبران ينشر فيها مقالاته، وكذلك دار النشر التي تحمل الاسم نفسه. كان من أشدّ المعجبين بوالتر سكوت Walter Scott وألكسندر دوما Alexandre Dumas. نشر في مجلّته بين ١٨٨٩ و١٩١٤ اثنتين وعشرين رواية متسلسلة مستوحاة من الحضارة العربية ـ الإسلامية. جرجي زيدان وجه فذّ من وجوه الأدب العربي. من أهمّ مؤلّفاته: **قصّة الحضارة الإسلامية وتاريخ الأدب العربي**. ألهم زيدان جبران عند وفاته فكتب في **البدائع والطرائف** المقطع الآتي: «لا تعطوا زيدان ندباً ورثاء بل خذوا من مواهبه وعطاياه وهكذا تخلّدون ذكره».

س

السابق

عام ١٩٢٠، أصدر جبران كتابه الثاني بالإنكليزية: **السابق** عن دائرة كنوبف للنشر، وكان عنوانه الأوّلي **المتوحّد**. زيّنت الكتاب خمسة رسوم للمؤلّف. على غرار كتابه **المجنون**، يتألّف الكتاب من بعض الأمثال والحكايات المعبّرة المفعمة بالحكمة والنزعة الصوفية. و**السابق** كما يصفه جبران، يرمز إلى النفس التي ينبغي أن تتفوّق على نفسها، وأن تتحرّر من شهواتها الدنيويّة، في سعيها وراء المطلق.

«منذ البدء ونحن سابقو نفوسنا (. . .) وليس ما حشدنا ونحشد في حياتنا سوى بذور نعدّها لحقول لم تفلح بعدُ. نحن الحقول ونحن الزارعون. ونحن الأثمار ونحن المستثمرون».

مهّد هذا الكتاب، وهو أقلّ تهكّماً وأقلّ عنفاً ممّا سبقه، لصدور رائعة المؤلّف: **النبيّ**.



غلاف «السابق» بالإنكليزية

ستيرن، جرترود Stern, Gertrude

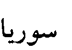
كانت جرترود ستيرن موظّفة في مكتب لإحدى شركات تجارة الألبسة. كانت في الثلاثين من العمر حين التقت جبران عن طريق إيزاك هوروفيتز Isaac Horowtiz، مترجم **النبيّ** إلى العبرية. كانت شَغِفَة بالأدب، ومفعمة بالحيويّة. فتنت جبران للتو وأصبحت حبّه الأخير. عند وفاة صديقها، انضمّت إلى موكب المشيّعين الذين رافقوا الجثمان إلى بوسطن وحضروا الجنازة. قالت عنه: «كان روحاً كبيرة داخل جسد صغير».

السنتور (Centaure)

كائن خرافي في الميتولوجيا الإغريقية، رأسه وذراعاه وجذعه كرأس الإنسان. أمّا باقي جسده فكالحصان. جعله جبران رمزاً لطبيعة الإنسان المزدوجة: إحداهما بهيميّة والأخرى إلـهيّة. وهو حاضر في سبع عشرة لوحة.



السنتور بريشة جبران (١٩١٣)



سوريا

كانت كلمة سوريا أيّام جبران تعني واقعاً جغرافيّاً (يضمّ سوريا ولبنان وفلسطين والأردن حاليّاً) ولا تعني كياناً سياسيّاً. في أميركا الشماليّة أُطلق على جميع المهاجرين الآتين من الشرق «سوريين». وفي كتاباته كثيراً ما يذكر جبران سوريا الواقعة تحت وطأة الاحتلال العثماني، فيسأل في **العواصف**: «هل تبقى سورية مطروحة بين مغاور الذئاب وحظائر الخنازير، أم تنتقل مع العاصفة إلى عرين الأسد أو ذروة النسر؟».

سياسة

جادل بعض الدارسين وصف جبران بأنّه كان صاحب عقيدة ومنظّراً وبطلاً للقضية السورية. لكنّ الوقائع تكذّب مثل تلك المزاعم: جبران لم يكن سياسيّاً. «اعفني من مآتي السياسة وأخبار السلطة لأنّ الأرض كلّها وطني وجميع البشر مواطنيَّ»، يكتب في **دمعة وابتسامة**. ولمن يحثّه على القيام بدور زعيم سياسي، كان يجيب: «لست رجل سياسة ولن أكون». كذلك الأمر في قصّته **العواصف** التي تروي حكاية يوسف فخري الذي يقرّر، وهو في الثلاثين من عمره، أن «يترك العالم وما فيه ليعيش وحيداً مزدهراً صامتاً» في صومعة بعيداً من المدينة، حيث ترد على لسان بطله العبارة الآتية: « طلبت الخلوة (هرباً) من الساسة الذين يتلاعبون بأماني الأمم وهم يذرون في عيونها الغبار الذهبي ويملأون آذانها برنين الألفاظ». لكن جبران كان يمتلك حسّاً بالمسؤولية يحثّه على المبادرة حيثما يستدعيه الواجب. فالشغل الشاغل لداعية إصلاح مثله هو مصير البشرية التي يودّ أنّ تُعتق من أشكال العبودية كافّة، وهو الحرِّية المثلى التي بشَّر بها وتحثّه على المطالبة بتحرير الأراضي العربية التي يحتلّها العثمانيّون. وهذا الحسّ بالمسؤولية يظهر بوضوح في مقطع مأخوذ من مقالة «العهد الجديد» في **البدائع والطرائف**: «أسياسي يقول في سرّه: «أريد أنّ أنتفع من أمّتي؟» أم غيور متحمّس يهمس في

نفسه: «أتوق إلى نفع أمّتي». وهذه الجملة سيجعلها الرئيس الأميركي جون كيندي شعاراً له في إحدى خطبه: «أيّها المواطنون، لا تسألوا ما يمكن أن تصنعه بلادكم لأجلكم بل اسألوا ماذا بإمكانكم أن تصنعوا أنتم لبلادكم». وفي مقالة عنوانها: «الهويّة اللبنانية في فكر جبران خليل جبران السياسي»، يؤكّد جورج لبكي: «حتى لو لم تكن نشاطات جبران السياسية أو الإيديولوجية هامشية أو ثانوية، فيجب علينا مع ذلك أن نأخذ في الاعتبار أنّه كان كاتباً وشاعراً وفنّاناً وليس سياسيّاً أو عالم اجتماع[1]». ووفقاً لجورج لبكي، يتوزّع اهتمام جبران بالشأن السياسي على ثلاث مراحل: المرحلة الأولى من ١٩٠٨ إلى ١٩١٦ وتوازيها المرحلة الثورية التي طالب أثناءها جبران بتحرير بلاده من النير العثماني معبّراً عن تمرّده في العديد من المقالات المنشورة في الصّحف العربية. والمرحلة الثانية تمتدّ من ١٩١٦ إلى ١٩٢٠ وهي مرحلة النشاط السياسي حين انخرط جبران خلال الحرب العظمى في بضع جمعيّات ورابطات عاملاً على مساعدة مواطنيه الذين ينهشهم الجوع، ومناضلاً لأجل بلاده. أمّا المرحلة الثالثة فهي ما بعد ١٩٢٠، حين نشر مقالته: «لكم لبنانكم ولي لبناني». عندئذ، ابتعد جبران عن السياسة مكرّساً نفسه كلّياً لفنّه. وفي ٨ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٢٩، كتب لماري هاسكل: «مسؤوليّاتي في الشرق انتهت».

◀ راجع أيضاً: حرب؛ الحلقة الذهبية؛ عثمانيّون؛ لبنان.

---

(١) *Khalil Gibran and Ameen Rihani, Prophets of Lebanese-American literature,* Louaizé, Notre-Dame University press, 1999, p. 122.



شمس

رمز الشمس ماثل بقوّة في أعمال جبران، ومصدره الرمزية الصوفية حيث نجم النهار هو الروح التي تنير العالم، وهو تجسيد لوحدانية اللّه. «تمثّل الشمس، يقول رينيه غينون René Guénon مفسّراً، بوصفها الرمز الأمثل لمبدأ الأحد الذي هو الكائن الضروري، الكائن الوحيد الذي يكتفي بذاته في اكتماله المطلق والذي منه يستمدّ كل شيء وجوده ومن دونه العدم[١]».

(١) *Aperçus sur l'ésotérisme islamique et le taoïsme*, Paris, Gallimard, 1973, p. 41.

ص

صحافة

غداة الحريق الذي أتى على محترفات «هارتكورت ستوديوز»، بلغ جبران أنّ مهاجراً لبنانيّاً اسمه أمين الغريّب أنشأ صحيفة عربية في نيويورك سمّاها **المهاجر**. سارع إلى دعوته وأطلعه على رسومه وقصائده بالعربية. وافق الغريِّب على فتح صفحات جريدته لكتابات ابن بلده مقابل دولارين اثنين في الأسبوع. وبعد بضعة أشهر، نشرت مقالة جبران الأولى في **المهاجر** تحت عنوان **رؤيا**. نصّ مفعم بالغنائية يتحدّث فيه الكاتب بلسان «القلب البشري أسير المادّة وقتيل شرائع الإنسان الترابي». وكانت تلك بداية تجربة طويلة لأنّ جبران شارك لاحقاً في صحف أخرى ومجلاّت صادرة في نيويورك وبوسطن والقاهرة. نشر نصوصاً في **مرآة الغرب**، **والسائح** لصاحبها عبد المسيح حدّاد (كان عضواً في الرابطة القلمية)، **والفنون** لنسيب عريضة، **وفتاة بوسطن**، **والهلال** لأمين زيدان، و*The New Orient* لسيود حسين، و*The Syrian World* لسلّوم مكرزل. كذلك كتب لمجلّة أدبية *The Seven Arts* (في نوفمبر/ تشرين الثاني وديسمبر/ كانون الأوّل ١٩١٦) يديرها شاعر أميركي شاب اسمه جيمس أوبنهايم، كان يسهم فيها كتّاب مرموقون أمثال جون دوس باسوس John Dos Passos، ودايفيد هربرت لورنس D.H. Lawrence وبرتراند راسل Bertrand Russel. ممّا شكّل رافعة لمسيرته الأدبية والفنّية في الأوساط النيويوركية. نشر في المجلّة بعض رسومه ثم أتبعها بنصوصه الأولى بالإنكليزية بعدما راجعتها ونقّحتها ماري هاسكل المتفانية («الليل



A SEMI-WEEKLY SYRIAN NEWSPAPER

المهاجر

Publication Office
New York City

Telephone; 4299 Rector

Annual Subscription
In The United States & Dependencies
Mexico, And Cuba; $5
In all other Countries; $6.

٤٦٧

٥ ريالات اميركية

٦ ريالات اميركية

AL-MOHAJER "THE EMIGRANT"

New York, Saturday Feb. 13 1909

١٣ ... ١٩٠٩

يوم مولدي

TO M. E. H.

المهاجر (١٩٠٩)

والمجنون» أو «البحر الأعظم») لكن إسهامه في المجلّة لم يعمّر طويلاً: فإزاء الأفكار المسالمة التي كانت المجلّة تروّج لها وتنتقد صراحة دخول الولايات المتحدة الحرب، استقال جبران من هيئة تحريرها لكي لا يظهر في مظهر المنحرف عن المبادئ التي يدعو إليها أصدقاؤه اللبنانيّون والسوريّون: «أنا ضدّ الحرب، يقول شارحاً. غير أنّ هذا ما يدفعني إلى استغلال هذه الحرب...».

أسلوب جبران الصحافي مميّز معروف. فانسياب الجملة واستعماله المقابلة والتكرار والتضادّ والصور الموحية والاستعارات تضفي على نصوصه انفعالاً وشاعرية. وعنف النبرة يعكس أحياناً الروح المتمرّدة التي تعتمل داخل الفنّان. وبفضل هذه الصفات، فإنّ العديد من المقالات أعيد نشرها في **البدائع والطرائف** و**دمعة وابتسامة** و**العواصف**.

◄ راجع أيضاً: جيمس أوبنهايم؛ **البدائع والطرائف**؛ عبد المسيح حدّاد؛ **دمعة وابتسامة**؛ إميل زيدان؛ جرجي زيدان؛ نسيب عريضة؛ **العواصف**؛ أمين الغريب؛ سلّوم مكرزل؛ نعوم مكرزل.

في نحو الحادية عشرة، تعرّض جبران لسقطة عنيفة أثناء سيره على حافة جرف برفقة ابن عمّه بولس في بشرّي. فأصيب بانخلاع في كتفه وأرغمه الأطبّاء على المكوث أربعين يوماً مصلوب الذراعين، متّخذاً من لوح خشبيّ فراشاً له[1]. ستترك هذه السقطة آثارها على جبران مسبّبة لكتفه شللاً نصفيّاً، فبدأت تسوء بدءاً من ١٩١٥: «أكثر من أربعين عاماً بادية بوضوح على وجهه على الرّغم من أنّه لم يبلغ إلاّ الثالثة والثلاثين، تقول ماري هاسكل في يوميّاتها. كتفه اليسرى المصابة منذ الطفولة شبه مشلولة».

وتكشف لنا الرسائل غير المعروفة المتبادلة بين الشاعر ويتر باينر وجبران، أنّه أرغم، بسبب صحّته المتردّية، على الذهاب بعيداً من نيويورك، ليأخذ قسطاً من الراحة، تارةً في كوهاست في منزل جولياماننغ، وطوراً في بوزاردز باي عند ماري غارلند. كتب إلى صديقه في ٢٢ سبتمبر/أيلول ١٩١٦: «أنا طريح الفراش. جئت إلى كوهاست منذ نحو أسبوعين مهيض الجناحين، واهن الروح. الآن تعمل شقيقتي على الاعتناء بي ويعالجني طبيب ماهر. المنزل الذي نزلت فيه هو بين الغابات الكثيفة والبحر العميق. لكنّي لا أملك القوّة الكافية لأجلس في ظلال الأشجار الخضر أو لأغطّس جسدي الشاحب في المياه الزرقاء. أخشى يا ويتر أن أظلّ عاجزاً عن الغناء وقتاً طويلاً». وفي رسالة أخرى يعترف جبران لصديقه أنّه يعاني انهياراً عصبيّاً: «أنا مصاب بانهيار عصبي. فالإرهاق في العمل والمأساة التي ألمّت ببلادي سبّبا لي ألماً أصمّ نزل بالجانب الأيسر من جسدي، في وجهي وذراعي وساقي».

كان جبران يكبّ بشراسة على العمل من دون توقّف. يدخّن بنهم ويسرف في الشراب. وبعد أيّام قليلة على العشاء الذي أقامه تكريماً له أصدقاؤه في الرابطة القلمية في ٥ يناير/كانون الثاني ١٩٢٩، في فندق «ماك ألبين» (نيويورك)، احتفاءً

---

(١) يوميّات ماري هاسكل في ٣٠ يونيو/حزيران ١٩١٥، في كتاب:
Virginia Hilu, *op. cit.*, 1972 p. 247.


D.R.

من أواخر الصور لجبران وهو يدخّن

بخمسة وعشرين عاماً صرفها في خدمة الأدب العربي، أجرى فحوصاً طبّية أظهرت إصابته بتضخّم خطير في الكبد. تلقّى علاجاً بالأشعّة والراديوم لكن لم يكن ناجعاً. نصحه الأطبّاء بالخضوع لجراحة، فرفض اقتراح الأطبّاء مفضّلاً التسليم بمشيئة القدر: «هي حالة يا ميشا، وصحّة كانت أم علّة، يكتب إلى ميخائيل نعيمة في رسالة - مارس/آذار ١٩٢٩ (. . .) الأطبّاء حظّروا عليَّ العمل، ولكنّني لا أستطيع سوى العمل. . . ما قولك في كتاب من أربع حكايات، مايكل أنجلو، شكسبير، سبينوزا، بيتهوفن، وما قولك في ما لو كانت كل حكاية نتيجة مقرّرة لما في القلب البشري من الألم والطموح والغرابة ثمَّ الأمل؟». وفي رسالة بعث بها إلى ماري هاسكل في ٨ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٢٩، يعلمها أنّه كان مريضاً طوال الشتاء الماضي وأنّه أصيب بـ «انهيار عصبي» انتهى في ساقيه. وفي يوليو/تموز ١٩٣٠، استأجر بيتاً على شاطئ البحر (إحدى رسائله المرسلة إلى كنوبف في ٢٩ أغسطس/آب تحمل العنوان الآتي: ١٢٢،

أوشين ستريت، سكوانتوم - ماساشوستس) ومكث فيه شهرين برفقة أخته مريانا. ولدى عودته، كتب إلى مي زيادة يقول:

«صحّتي الآن أردأ نوعاً ما ممّا كنت عليه في بدء الصيف، فالشهور الطويلة التي صرفتها بين البحر والغاب وسّعت المجال بين روحي وجسدي. وهذا الطائر الغريب (يعني قلبه) الذي كان يختلج أكثر من مئة مرّة في الدقيقة أبطأ قليلاً. . . لا لست بحاجة إلى الأطبّاء والأدوية، ولست بحاجة إلى الراحة والسكون. . . أنا بحاجة إلى فصادة معنوية، إلى يد تتناول ممّا ازدحم في نفسي، إلى ريح شديدة تسقط أثماري وأوراقي. . . أنا يا مي بركان صغير سدّت فوهته».

أسلم جبران الروح بعد أن ساءت صحّته كثيراً، في ١٠ أبريل/نيسان ١٩٣١ عند العاشرة وخمس وأربعين دقيقة. أظهر التشريح سبب الوفاة: تشمّع في الكبد وبداية سلّ في إحدى رئتيه. برغم حالته الصحّية، حاول جاهداً ألاّ يثير القلق في نفوس أصدقائه. بعد أن أعلم ويتر باينر بإصابته بانهيار عصبي، كتب إليه: «سأتخطّى ذلك يا ويتر، سأكون مجدّداً على ما يرام.» كذلك كتب إلى ألفرد كنوبف في رسالة غير معروفة مؤرَّخة في ٢٩ أغسطس/آب ١٩٣٠: «كلّ شيء على ما يرام»، و«كلّ شيء على ما يرام» ستكون أيضاً الكلمات الأخيرة التي قالها لبربارة يونغ حين هرعت لنجدته. كان جبران يضفي على مرضه شاعرية. كتب إلى مي زيادة:

«وجدت في المرض لذّة نفسية تختلف بتأثيرها عن كلّ لذّة أخرى، بل وجدت نوعاً من الطمأنينة يكاد يحبّب إليّ الاعتلال. . . وقد اكتشفت شيئاً آخر أهمّ، بما لا يقاس من اللذّة والطمأنينة، هو هذا: إنّي في اعتلالي أدنى إلى الكلّيات المجرّدة منّي إليها في صحّتي. فإذا ما أسندت رأسي إلى هذه المساند وأغمضت عينَي عن هذا المحيط وجدتني سابحاً كالطير فوق أودية وغابات هادئة متّشحة بنقاب لطيف، ووجدتني قريباً ممّن أحبّهم، أناجيهم وأحدّثهم، لكن بدون غضب، وأشعر شعورهم وأفتكر أفكارهم. يلومونني ولا يسخطون عليّ، بل يلقون أصابعهم على جبهتي بين الآونة والأخرى ويباركونني».

◄ راجع أيضاً: **كحول**.

صوفيّة

تأثّر جبران بالفكر الصوفيّ الذي تعرّف عليه على الأرجح في معهد الحكمة. في عديد من نصوصه، يوجّه تحيّة إلى أعلام التصوّف أمثال الغزالي وابن الفارض، مغترفاً رمزيّته من معين الصوفية. وهكذا فإنّ رموز «الذات المجنّحة» والشمس والناي والحجاب، وأيضاً عبارات «العطش الروحي» و«الحنين» التي تتكرّر في أعماله تؤكّد الاستنتاج الذي خلص إليه أنطون غطّاس كرم: «إذا كانت أعماله متوناً لتصوّر أمين للمذهب الصوفي فهي على الأقلّ تأويل لمفاهيم الصوفية كما رآها بمنظور حساسيّته الشعرية الخاصّة».

بتأثير من أعلام الصوفيّة، يبدو جبران مهجوساً بفكرة تطهّر لدنيّ يشمل كلّ مستويات التركيب النفسي للإنسان: تطهّر النفس من خلال التوبة والزهد، تطهّر القلب بالعزلة والانصراف عن العالم للتأمّل، تطهّر الروح بالإيمان والمحبّة التي غايتها الاتحاد مع اللّه. يشاطر جبران المتصوّفة مفاهيم أحادية الوجود والاتحاد مع اللّه.

يبدي جبران إعجاباً كبيراً بالإمام الغزالي (١٠٥٨ ـ ١١١١) ويعبّر عن ذلك: «وجدت في الغزالي ما يجعله حلقة ذهبية موصلة بين الذين تقدّموه من متصوّفي الهند والذين جاؤوا بعده من الإلٰهيين. ففي ما بلغت إليه أفكار البوذيين قديماً شيء من ميول الغزالي، وفي ما كتبه سبينوزا ووليم بلايك حديثاً شيء من عواطفه.» ولاقتناعه، على غرار هذا العَلم الصوفيّ، بأنّ العالم هو مرآة اللّه، يتبنّى فكرته القائلة إنّ الرحمة الإلٰهية جعلت لعالم المرئيّات صلة بعالم الملكوت السماويّ، ولهذا لا شيء في العالم الحسّي إلاّ ويكون رمزاً لشيء ما في العالم الآخر. لا وجود إلاّ لحقيقة واحدة، هي الوحدانية الإلٰهية، وفي إدراك هذه الحقيقة بلوغ الاتحاد...

أمّا ابن الفارض، فقد كان، في نظر جبران، شاعراً ربّانيّاً. وكانت روحه الظمآنة تشرب من خمرة الروح فتسكر ثم تهيم سابحةً، مرفرفةً في عالم المحسوسات حيث تطوف أحلام الشعراء وميول العشّاق وأماني المتصوّفين. ثم

يفاجئها الصحو فتعود إلى عالم المرئيّات لتدوّن ما رأته وسمعته...». يشترك جبران مع هذا الشاعر في موضوعة الرغبة الصوفية في الذوبان في الروح، وفي الفكرة القائلة إنّ كلّ الأشياء في الحقيقة هي واحد وأنّها ليست سوى صفات الماهيّة الإلٰهية:

«ومن لغة تبدو بغير لسانها، عليه براهينُ الأدّلة صحّتِ
فكلّي لكلّي طالب، متوجّهٌ وبعضي لبعضي، جاذبٌ بالأعنّة»

الحبّ الإنساني الإلٰهيّ الذي يعبّر عنه ابن الفارض، كما معظم شعراء الصوفية، لا بدَّ أن يجد له صدى في روع جبران إذ يغدو اللّه «هي»، العاشق الربّاني:

أجل أجَلي أرضى انقضاه صبابةً ولا وْصل، إن صحّت، لحبّك، نسبتي
وإن لم أفز حقّاً إليك بنسبة لعزّتها، حسبي افتخاراً بتهمةِ

ويجد الحبّ الدنيويّ، الذي يبدو، في التصوّف، وسيلة لبلوغ الحبّ الإلٰهي والارتقاء إلى الاتّحاد، تعبيره الأوضح في أعمال جبران التصويرية حيث ينصهر الأزواج الذين يتّحدون، مصلوبي الأذرع أو متعانقين، في حضن الطبيعة أو تحت أنظار المصلوب المباركة...

◄ راجع أيضاً: تصّوف.

الصومعة

في الأول من مايو/أيّار ١٩١٣، انتقل جبران للإقامة في الطبقة الرابعة الأخيرة من المبنى الذي كان يقيم فيه، وهو مبنى مخصّص للفنّانين قائم في ٥١، «وست تنث ستريت»، الشارع العاشر غرباً في وسط «غرينويتش فيلدج.» كانت الشقّة أرحب من السابقة من حيث المساحة، وأكثر تعرّضاً للضوء، تتسع بسهولة لعدّة محترفه. ومن الآن فصاعداً، سيطلق على هذا المكان (الذي وصفه الرّيحاني بأنّه «صالة مكرّسة للفكر والفنّ والجمال» وحيث تجمّعت الحمّالات الخشبيّة واللوحات والكتب والأوراق المبعثرة والتحف والتماثيل)، اسم **الصومعة**. لعلّ



«الصومعة»، محترف جبران في نيويورك

هذا الاسم هو خير ما يسمّى به مكان مثل هذا. ففي تلك الحقبة من حياته التي تطغى فيها ميوله الصوفية على مواقفه المتمرّدة، يزداد الفنّان ميلاً إلى الانعزال وراء حاجز الصمت. «إنّه حرّ عندما يكون وحيداً»، تلاحظ ماري التي تعرفه أكثر من أيّ شخص آخر. «كم أودّ أنّ أكون ناسكاً»، يكتب إليها، وفي ذهنه من دون شكّ أولئك الذين كان يراهم، في طفولته، في دير القدّيس أنطونيوس. ويضيف في رسالة أخرى: «أحبّ أن أبقى حيث تكون لوحاتي وكتبي...». كانت الصومعة مفروشة بالصور المقدّسة وبطاولة مذبح مزيّنة بالشموع، تفوح منها رائحة البخور وتترك انطباعاً بأنّ ساكنها كان أكثر من فنّان: كان نبيّاً حقيقيّاً.

عند وفاة جبران، سكنت بربارة يونغ في المحترف. وأرسلت ماري هاسكل العديد من الأثاث والأغراض الموجودة فيها إلى بشرّي وهي الآن معروضة في متحف جبران.

◄ راجع أيضاً نيويورك.



الضاهر، حلا (١٨٨١ ـ ١٩٥٥)

ابنة طنّوس الضاهر. أوّل امرأة أحبّها جبران لدى عودته إلى لبنان عام ١٨٩٨، خلال العطلة الدراسية التي أمضاها في بشرّي، حين راح يتردّد إلى آل الضاهر ويعطي ابنتَي طنوس: حلا وسيّدة دروساً خصوصيّة. عام ١٨٩٩، اكتشف اسكندر، شقيق حلا ومختار الضيعة، أنّ أخته مغرمة بجبران فاعترض قطعاً على هذه العلاقة نظراً إلى التباين الاجتماعي الكبير بين العائلتين. ثم إنّ حلا كانت تكبره بسنتين. لكن سيّدة شجّعت هذه العلاقة وواصلت حلا لقاءاتها بجبران سرّاً في دير غابة مار سركيس (الذي أصبح متحف جبران) حتى رحيل الشابّ إلى بوسطن. يروى أنّ حلا، عندَ رحيله، أهدت إليه خاتماً نفيساً وقارورة عطر سكبت فيها دموعها وخصلة من شعرها.

في **الأجنحة المتكسّرة** تشابه بين البطلة سلمى كرامة وحلا الضاهر وأيضاً سلطانة تابت التي أُغرم بها جبران. ووفقاً لجميل جبر[1]، كانت حلا الضاهر موجودة ضمن الحشد الذي استقبل جثمان جبران لدى عودته إلى الوطن. لم تتزوّج حلا الضاهر، وفاءً لذكرى صديقها، وتوفيت عام ١٩٥٥.

◄ راجع أيضاً: **الأجنحة المتكسّرة**.

---

(١) جميل جبر، **جبران في عصره وآثاره الأدبية والفنّية**، منشورات نوفل، بيروت، ١٩٨٣، ص. ٣٥.

الضاهر، سليم (١٨٦٥ ـ ١٩١٢)

ولد سليم الضاهر في بشرّي وتابع دروسه في معهد الحكمة. نال عام ١٨٨٧ إجازة في الطبّ من الجامعة الأميركية في بيروت. اكتشف موهبة جبران في وقت مبكر جدّاً فمدّ له يد العون ونصحه بأن يكمل دروسه في معهد الحكمة. لن ينسى جبران سليم الضاهر وحين علم بوفاته عام ١٩١٢، كتب إلى عائلته هذه الرسالة الصادقة: «كانت مواهبه وصفاته فريدة... أدين له بهذه اليقظة المعنوية التي ميّزت فتوّتي بفضل حبّه وتعاطفه...» وفي مرثية جنائزية في ٢٢ يوليو/تموز ١٩١٢، دعا أبناء وطنه إلى عدم البكاء على «فتى الأرز»، لأنّ الموت يجدّد حياة ذلك الذي يأتي إليه بروح جميلة ونبيلة فيضعه منتصباً أمام وجه الشمس...».

ضباب

الضباب ماثل بقوّة في أعمال جبران ويغلّف سفينة المصطفى لدى رسوّها وإقلاعها. إنّه رمز اللامحدود واللامعروف الذي يقود إلى اللانهاية. كما يرمز إلى السرّ والأبدية(١). في مطلع **حديقة النبيّ**، يعتبر جبران أنّه «إذا أنت أردت الحرّية، عليك أن تتحوّل إلى ضباب. إن ما لا شكل له ينشد أبداً أن يكون ذا شكل، حتى السديم الذي لا يعدّ يودّ أن يتحوّل إلى شموس وأقمار».

وفي خاتمة الكتاب:

«أيّتها الغمامة، أختي الغمامة
أنا وأنت الآن شيء واحد
لم أكن ذاتاً منذ زمن طويل
الجدران انهارت
والسلاسل انكسرت

---

(١) Suheil Bushrui et Joe Jenkins, *Khalil Gibran, l'homme et le poète*, Paris, Véga, 2001 p. 373, note 79.



D.R.

الضباب يغطّي وادي قاديشا

وأنا ارتفعت إليك
وسنبحر معاً إلى أن يأتي يوم الحياة الثانية
عندما يلقيك الفجر قطرات ندى في حديقة
ويقذف بي طفلاً في حضن امرأة».

يرى الأستاذ بولس طوق أنّ الضباب يرمز إلى النفس المنعتقة من المكان وحدود الجسد والمادّة. إنّه التحرّر في اللانهاية واللامحدود[1]. وفي **آلهة الأرض**، يعتبر جبران أنّ آلهة الأرض كائنات تركت الرمل إلى الضباب.

(١) Boulos Taouq, *la personnalité de Gibran dans ses dimensions constitutives et existentielles*, Beyrouth, Bacharia, 1985, t. II, p. 577.



طاغور، رابندرانات (١٨٦١-١٩٤١)

شاعر هندي، كتب أكثر من ألف قصيدة، وروايات ومسرحيّات وأغاني. نال جائزة نوبل للآداب عام ١٩١٣. في ديسمبر/ كانون الأوّل ١٩١٦، قيّض لجبران أن يلتقي طاغور. كتب إلى ماري هاسكل واصفاً إيّاه: «إنّه بهيّ الطلعة ورفقته ممتعة جدّاً. لكنِ صوته محبِط. تعوزه النبرة القوية فهو لا يحسن تلاوة قصائده،



طاغور

ولهذا السبب، يأتي وقعها غير محبّب على آذان السامعين.» بعد ثلاث سنوات على هذا اللقاء، لم يتوان أحد الصحافيين النيويوركيين عن عقد المقارنة بين الرجلين: «كلاهما يستخدم الأسلوب المجازي في كتاباته ويجيد الإنكليزية بمقدار لغته الأم. وكلاهما فنّان في مجالات أخرى غير الشعر[١].» كذلك تسم الحلولية الصوفية والرمزية أعمال هذين الرسولين للسلام.

طبيعة

إلٰه جبران ماثل في البشرية. وهو ماثل أيضاً في الطبيعة. وعلى هذا النحو يمكن القول إنّ أعمال جبران مشبّعة بمناخ الحلولية. لوحاته ونصوصه تردّنا باستمرار إلى الأم والطبيعة: **امرأة تكتشف الطبيعة، المرأة في تناغم الطبيعة، روح الأمّ متجسّدة في الطبيعة**... كلّها لوحات تعكس على أكمل وجه أفكار الفنّان الذي يختار **السنتور** رمزاً لأمومة الطبيعة (**طبيعة أنثوية وامرأة، طبيعة حانية على الإنسان، وابنه**...) وكصورة لطبيعة الإنسان المزدوجة: إحداهما حيوانية، والأخرى إلٰهية... «الطبيعة ليست سوى هيئة اللّه، يكتب جبران. واللّه هو ما أنشد، وما أصبو لفهمه».

يرى جبران أنّ اللّه بداهة، والطبيعة هي التعبير المحسوس للّه الماثل وراء كل المتجلّيات الظاهرة. الكائنات لا توجد إلاّ به. وكل اتّصال يتمّ عبر الطبيعة التي تغدو وسيلة لتجربة صوفية حيث تفيض الذّات، من خلال الأشجار والأنهار والنور، متخطّية الحدود التي تفصلها عن «الكلّ» لكي تنصهر بكلّية الوجود في شعور بالوحدة.

«كلّ ما في الوجود كائن في باطنك، وكلّ ما في باطنك موجود في الوجود. وليس من حدّ فاصل بين أقرب الأشياء وأقصاها أو بين أعلاها وأدناها أو بين

---

(١) Cf. Sitansu Ray, «Gibran and Tagore on love: a comparative study of their works», in *Kahlil Gibran and Ameen Rihani, prophets of Lebanese American Literature*, Louaizé, Notre-Dame University Press, 1929, p. 85.



لوحة لجبران تجسّد الطبيعة (من مقتنيات وزارة الثقافة اللبنانية)

أعظمها وأحقرها. ففي قطرة الماء الواحدة جميع أسرار البحار، وفي ذرّة واحدة جميع عناصر الأرض. وفي حركة واحدة من حركات الفكر كلّ ما في العالم من الحركات والأنظمة».

تبدو هذه النظرة إلى الأمور مغرية. وهي تتطابق تماماً مع تعريف الحلولية بحسب «آلان» كما ورد في كتابه **الفنون والآلهة**: «إنّها ديانة الطبيعة التي تقدّس كلّ قواها (. . .) والتي تعتبر عندئذٍ تجلّيات لإله واحد هو العالم. الحلولية تعني في وقت واحد أنّ كل شيء (بذاته) هو اللّه وأنّ الكلّ هو اللّه. . .».

وثمّة مقطع في **المجنون** يؤكّد هذا الفهم القائل إنّ اللّه قد يكون ماثلاً في تجلّيات الحياة كلّها: يمثل الراوي أمام اللّه ويناديه قائلاً إنّه «عبده» فلا يجيبه اللّه. يناديه مجدّداً قائلاً إنّه جبلة يديه. وإذا باللّه «يجتازه عابراً». بعد ألف عام يعاود العبد الكرّة ويمثل أمامه ثم يناديه قائلاً إنّه «ابنه». فيتوارى اللّه عن عينيه. يعاود الراوي الكرّة بعد ألف عام مرتقياً الجبل المقدّس ويخاطب اللّه بالعبارات الآتية:

«يا إلٰهي العظيم الحكيم العليم، يا كمالي ومحجّتي، أنا أَمسُك وأنت غدي. أنا عروق لك في ظلمات الأرض وأنت أزاهر لي في أنوار السماوات ونحن ننمو معاً أمام وجه الشمس».

إذ ذاك يعطف اللّه عليه:

«فعطف اللّه إذ ذاك عليّ وانحنى فوقي وهمس في أذني كلمات تذوب رقّة وحلاوة، وكما يطوي البحر جدولاً منحدراً إليه طواني اللّه في أعماقه. وعندما انحدرت إلى الأودية والسهول كان اللّه هنالك أيضاً».

على العتبة بين النزعة الحلولية الطبيعية والنزعة الإنسانية الإلٰهية، يلخّص هذا النصّ فكرة مؤلّفه على أحسن وجه.

وفي سياق هذه الأفكار نفسها، يثبت جبران في **النبيّ** على لسان المصطفى هذه الأقوال المعبّرة:

«وإن شئتم أن تعرفوا ربّكم فلا تعنوا بحلّ الأحاجي والألغاز. بل تأمّلوا ما حولكم تجدوه لاعباً مع أولادكم.

وارفعوا أنظاركم إلى الفضاء الوسيع تبصروه يمشي في السحاب، ويبسط ذراعيه في البرق وينزل إلى الأرض مع الأمطار. تأمّلوا جيّداً تروا ربّكم يبتسم بثغور الأزهار، ثم ينهض ويحرّك يديه بالأشجار».

وفي **حديقة النبيّ**، يقول على لسان المصطفى:

«وكان بودّي أن تعرفوا مع ذلك، أنّنا عبق اللّه وأريج طيبه، نحن اللّه في الورقة، في الزهرة، وأغلب الأحيان في الثمرة».

ع

العثمانيون

كان لبنان تحت الاحتلال العثماني، فانتفض جبران منذ كتاباته الأولى مندّداً بهذا الاحتلال. كتب نصوصاً هاجم فيها العثمانيين بعنف ودعا العرب إلى الخروج من سباتهم العميق والمطالبة باستقلالهم. في مطلع القرن العشرين عقب ثورة جمعيّة «تركيا الفتاة» على نظام حكم السلطان عبد الحميد الثاني العثماني، التجأ عدد كبير من الثوريين السوريين ـ اللبنانيين إلى باريس، ونشأت جمعيات سريّة للدفاع عن قضية القوميّة العربيّة مطالبة بالحكم الذاتي في البلدان التي يحتلّها العثمانيّون. ومن بين أبرز المناضلين هؤلاء الشاعر والكاتب المسرحي شكري غانم. خلال إقامته في باريس (١٩٠٨ ـ ١٩١٠)، تقرّب جبران من هذه الأوساط وتشبَّع بأفكارها. كما تابع أعمال المؤتمر العربي الأوّل الذي عقده في باريس دعاة الاستقلال السوريّون واللبنانيّون، والذي دعا إلى منح العرب الخاضعين للنير العثماني حقوقهم السياسية، والاعتراف باللغة العربية لغة رسمية، كما دعا إلى مشاركة العرب الفعلية في الإدارة المركزية للسلطنة العثمانية وإجراء إصلاحات جذرية داخل هذه الإدارة. بعد ثلاث سنوات، رفض جبران حضور مؤتمر عربي لبحث خطّة استقلال ذاتي للبلدان التي يحتلّها العثمانيّون، بذريعة أنّه ينبغي للعرب أن يثوروا وأن يحرّروا أنفسهم بأنفسهم، وأنّ اللجوء إلى القوى الأوروبية والحصول على الاستقلال الذاتي بالطرق الدبلوماسية أمران لا ينطويان على فطنة. غير أنّ أبناء بلاده كانوا لا يشاطرونه رؤيته تلك، فقد كابد أمين الرّيحاني عناء

الرحلة بين نيويورك وباريس لكي يمثّل الجالية اللبنانية في الولايات المتحدة في أعمال المؤتمر.

ولدى عودته إلى الولايات المتحدة الأميركيّة، انضمّ جبران إلى جمعية «الحلقة الذهبية» وألقى خطبة رنّانة يدعو فيها السّوريين إلى عدم الركون إلى وعود السلطان وإلى الاتّكال على النفس للتحرّر من النير العثماني. بعد سنتين نشر في جريدة **السائح** مقالة جريئة عنوانها: «إلى المسلمين من شاعر مسيحي»، يدعو فيها المسلمين كافّة إلى الانتفاض على المحتلّ لأنّ الدولة العثمانية هي المسؤولة في نظره عن انحطاط الحضارة الإسلامية.

«أنا لبناني ولي فخر بذلك، ولست بعثماني ولي فخر بذلك أيضاً...

أنا مسيحي ولي فخر بذلك، ولكنّي أهوى النبيّ العربي وأكبر اسمه وأحبّ مجد الإسلام وأخشى زواله...

بينكم أيّها الناس من يلفظ اسمي مشفوعاً بقوله: هو فتى جحود يكره الدولة العثمانية ويرجو اضمحلالها. أنا أكره الدولة العثمانية لأنّني أحبّ الإسلام وعظمة الإسلام، ولي رجاء برجوع مجد الإسلام...».

وفي رسائله إلى ماري هاسكل، كثيراً ما تطرّق جبران إلى المسألة العثمانية، وبدا متحمّساً عندما أعلنت إيطاليا الحرب على السلطنة العثمانية في نهاية سبتمبر/أيلول ١٩١١، معتبراً أنّ هذا الحدث يؤذن بزوال هيبة السلطنة، أو لدى اندلاع حروب البلقان عام ١٩١٢[١].

خلال الحرب العظمى، يجعل جبران العثمانيين مسؤولين عن المجاعة التي قضت على أهل البلاد. ويقبل بمنصب أمين للسرّ في «لجنة مساعدة منكوبي سوريا وجبل لبنان»، كما ينتسب إلى «لجنة التطوّع من أجل سوريا وجبل لبنان.» وفي رسالة إلى قريبه نخلة مؤرّخة في ٢٦ سبتمبر/أيلول ١٩١٨ يكتب:

«إنّ حركة التطوّع في الحملة الشرقية لم تزل سائرة على قدم وساق في هذه

---

(١) Robin Waterfield, *Khalil Gibran. Un prophète et son temps*, Saint-Laurent, Fides, 2000, p. 220.

البلاد ولجنة تحرير سورية ولبنان التي تأسَّست في هذه الغربة تهتمّ بمعاونة الحكومة الفرنساوية في تسفير المتطوّعين إلى سوريا. ولكنّ السوري حتى الآن لم يتعلّم كيفية إظهار حماسته بصورة فعلية. ومع أنَّه يوجد في الجيش الأميركي خمسة عشر ألف جندي سوري فنحن للآن لم نبعث إلى الشرق بغير العدد القليل القليل بالنسبة إلى عظمة الأسباب التي جعلتنا نقوم بحركة التطوّع. ولكن قام السوريون بواجبهم أو لم يقوموا فالمستقبل يبتسم لسوريا وفي الأسبوع الغابر زال كلّ شكّ في انعتاق بلادنا من الحكم العثماني والمظالم العثمانية».

وغداة انتهاء الحرب، أعيد رسم خريطة الشرق الأوسط. منح اتفاق سايكس ـ بيكو ومؤتمر سان ريمو فرنسا الانتداب على لبنان وسوريا. فإذا بآماله تخيب من رؤية بلاده متحرّرة من النفوذ العثماني لتقع مجدّداً تحت سيطرة القوى الغربية، فيكتب مقالته الشهيرة: «لكم لبنانكم ولي لبناني».

لكن برغم من إيمانه بحريّة الشعوب والتزامه محاربة الاضطهاد، لا يمكن اعتبار جبران سياسيّاً أو بطل القضية السورية. لذا، فإنّ ميل بعضهم إلى أن يجعل منه قوميّاً سوريّاً ـ بالمعنى الإيديولوجي للكلمة ـ لا يرتكز على أيّ أساس، وكذلك الخرافة التي تقول إنّه كان مستهدفاً لاعتداء تقوم به السلطات التركيّة بسبب التزامه السياسي (كما يشير إلى ذلك في رسالته إلى ماري هاسكل في ٢٦ ـ ٢٨ ديسمبر/كانون الأوّل ١٩١٧) وهي بلا شكّ من ثمار مخيّلته الخصبة.

◀ راجع أيضاً: الحرب؛ الحلقة الذهبية؛ سياسة؛ لبنان.

عرائس المروج

في خريف ١٩٠٦، أصدر جبران بالعربية **عرائس المروج**، مجموعة حكايات رمزيّة: «رماد الأجيال والنار الخالدة» ، «مرتا البانيّة»، «يوحنّا المجنون.» تسرد الأولى قصّة كاهن فينيقي يفقد حبيبته ثم بعد ألفي عام يلقاها مجدّداً متقمّصاً هو هيئة راعٍ ومتقمّصة هي هيئة فلاّحة. الحكاية الثانية قصّة يتيمة تقع في حبائل ثري من المدينة، يغرّر بها ثم يهجرها، وهي عبرة ينتهزها جبران

لفضح التباينات الاجتماعية والتنديد باستغلال الرجل للمرأة. وفي القصّة الثالثة يروي نزاعات راعٍ مع كهنة دير ويندّد بطغيان رجال الدّين وجشعهم: «تعالَ ثانيةً يا يسوع الحيّ واطرد باعة الدّين من هياكلك، فقد جعلوها مغارة تتلوّى فيها أفاعي روغهم واحتيالهم». يغلب على هذا الكتاب الطابع الرومنسي ويحمل في طيّاته بذور الموضوعات التي ستلازم تفكير الكاتب: عظمة المسيح وصغارة رجال الدّين، التناسخ، الجنون بوصفه مصدر الحقيقة والحرّية... وقد نُشرت **مرتا البانيّة** بالفرنسية، من ترجمة ميشال بيطار أستاذ اللغة العربية في جامعة السوربون، ضمن عدد خاصّ هو العدد العاشر من مجلّة Les Milles Nouvelles nouvelles، حيث جرى التعريف بجبران بوصفه «كاتباً عربيّاً شابّاً يؤلّف القصص داعياً إلى الإصلاح الشامل بدءاً بإصلاح أوضاع المرأة الشرقية... ووصولاً إلى تحطيم القيود الدينية في لبنان».

عرب

◄ راجع سياسة، عثمانيون، لغات.

عريضة، نسيب (١٨٨٧-١٩٤٦)

أحد كبار الصحافيين العرب. بدأ دروسه في الناصرة بفلسطين ثم هاجر إلى نيويورك حيث أنشأ في أبريل/نيسان ١٩١٣ مجلّة **الفنون**. لم يتوان جبران عن المشاركة فيها وكتابة القصائد النثرية والمقالات ورسم البورتريهات العائدة إلى أكبر المفكّرين العرب أمثال ابن سينا وابن رشد. كذلك ملأ استمارة أسئلة مستلهمة من استمارة بروست[1]. كان عريضة عضواً في الرابطة القلمية وقد رافق جبران ونعيمة وحدّاد في رحلتهم إلى كاهونزي. وبحسب نعيمة، أوصى عريضة

(١) جميل جبر، **جبران في عصره وآثاره الأدبية والفنّية**، بيروت، منشورات نوفل ١٩٨٣، ص. ٥٤.



نسيب عريضة

لجبران قراءة الأعمال الأدبية المهمّة واستأجرها له من المكتبة العامّة. وقد ألّف رواية وديواناً شعريّاً عنوانه **الأرواح الحائرة** عام ١٩١٧.

وفي رسالة إلى مي زيادة مؤرّخة في ٢ يناير/كانون الثاني ١٩١٤، كتب جبران عن نسيب عريضة:

«وقد سررت باستحسانك مجلّة «الفنون» فهي أفضل ما ظهر في نوعها في العالم العربي، صاحبها فتى عذب النفس دقيق الفكر وله كتابات لطيفة وقصائد مبتكرة ينشرها تحت اسم «أليف». وممّا يستدعي الإعجاب بهذا الشابّ أنّه لم يترك شيئاً ممّا كتبه الإفرنج إلاّ وعرفه حقّ المعرفة».

وبناءً على تشجيع نسيب عريضة، نشر جبران كتاب **دمعة وابتسامة** الذي يجمع مقالاته الأولى في العربية.

◄ راجع أيضاً: صحافة.

عشرون رسماً

عام ١٩١٩، أصدر جبران لدى منشورات كنوبف مجموعة سمّاها **عشرون رسماً** (*Twenty Drawings*). تضمّ تسع عشرة مائية ورسماً زيتيّاً، أُرفقت بنصّ للناقدة أليس رافاييل أكستاين Alice Rafael Eckstein، مقدّمة للمجموعة: «يقع نتاج جبران على العتبة بين الشرق والغرب وبين الرمزية والمثالية. وهو يكوّن نوعاً جديداً في مفهومنا لفنّ الرسم».

العاصفة

لطالما فُتن جبران بالعاصفة. حين كان في الثامنة، غافل أمّه وخرج من البيت أثناء هبوب عاصفة عاتية وراح يركض في الطبيعة. حين عاتبته أمّه على تصرفه، قال لها: «لكنّي أحبّ هذا».



متحف جبران

«العاصفة» بريشة جبران (حوالى ١٩٢٢)

وفي إحدى رسائله إلى مي زيادة كتب: «نحن اليوم رهن عاصفة ثلجية جليلة مهيبة. وأنت تعلمين يا مي أنّني أحبّ جميع العواصف خصوصاً العواصف الثلجية».

وفي رسالة إلى ماري هاسكل: «هبّت العاصفة الرهيبة التي كنت أنتظرها. السماء ملبّدة، والبحر مزبد، وأرواح الآلهة المجهولة تطوف بين السماء والبحر... ما الذي في العاصفة يهزّ كياني على هذا النحو؟ لَمَ أجدني أفضل وأقوى وأكثر ثقة بالحياة، عندما تهبّ عاصفة؟ لا أدري. أحبّ العاصفة أكثر من أيّ شيء آخر في الطبيعة...». استلهم جبران من العواصف لوحة «عاصفة» وعنوان كتاب **العواصف**.

◄ راجع أيضاً: **العواصف**؛ ريح.

العواصف

في أغسطس/آب ١٩٢٠، أصدرت دار «الهلال» في القاهرة كتاباً يتضمّن ٣١ مقالة لجبران نشرها في عدد من الصحف والمجلاّت الصادرة باللغة العربية. نُشر الكتاب وعنوانه **العواصف** بمبادرة من صاحب **الهلال** إميل زيدان الذي تعرَّف إلى جبران عن طريق مي زيادة. وفي رسالة إلى من يخاطبه بـ «إميل أفندي»، يبدي اهتماماً بـ «جسد الكتاب» كما بـ «روحه» إذ يزوّد ناشره التعليمات الضرورية (قياس القطع، وحجم الخطّ ونوعه، الإخراج المطبعي والتنفيذ...) لكي يصدر المؤلَّف على أحسن شكل ـ دلالة على احترامه الكتاب والقارئ. أمّا ثمن الكتاب ونشره وريعه فيتركها «لحكمته ودرايته».

الكتاب مطبوع بروح التمرّد ويُحيِيّ يسوع المتمرّد الذي «يسمع الشرّ متكلّماً فيخرسه، ويلتقي الرياء فيصرعه» («يسوع المصلوب»).

كذلك يندّد بمساوئ الشرقيين وبخنوعهم وتشبّثهم بالماضي وتقاليده البالية («المخدّرات والمباضع»، «أبناء الآلهة وأحفاد القرود»، «نحن وأنتم»، «الأضراس المسوّسة»، «الجبابرة») ويرفض كلّ أشكال العبودية التي تقيّد الإنسان. وفي غمرة

انحيازه إلى صفّ المضطهدين، يرفض جبران حال الرضوخ والضعف التي تكبّلهم، وبنَفَس نيتشوي، يدعوهم إلى السعي وراء القوّة والعظمة، ومن دون التخلّي عن إيمانه بالحبّ، يرفض أن يغدو الإنسان عبداً له. يتضمّن كتاب **العواصف** نصوصاً آسرة («مات أهلي»، «في ظلام الليل») يدعو فيها جبران إلى مساعدة أبناء وطنه الذين يرزحون تحت وطأة المجاعة.



غابة

رمز الغابة ماثل في أعمال جبران. نجده تحديداً في **السابق**، و**المواكب**، و**إرم ذات العماد** حيث الأحداث في هذه المسرحية تدور في غابة من الجوز والحور والرمّان. تبدو الغابة معبد التقوى ورمز الحياة، أشجارها تصل أعماق الأرض بالسماء.

غارلند، ماري تودور Garland, Marie Tudor

هذه المرأة المنتمية إلى المجتمع الراقي في بوسطن وُلدت عام ١٨٧٠. كانت صديقة جبران. في أبريل/نيسان ١٩١٨، استضافته أربعة وعشرين يوماً في مزرعتها في بوزردرز باي التي أنشأتها عام ١٩٠٦، وأُطلق عليها اسم «باي اند فارم» Bay and Farm. خلال إقامته في هذه المزرعة، التقى جبران روز أونيل والشاعر الهندي دان موكرجي. وفي رسالة غير منشورة بعث بها إلى ويتر باينر وتحمل في مطلعها الأحرف الأولى لاسم مضيفته M.T.G، يقول جبران: «أمضي فترة من الراحة برفقة الحسناء ماري غارلند».

الغريّب، أمين (١٨٨١ ـ ١٩٧١)

وُلد أمين منصور الغريّب في الدامور عام ١٨٨١. تلقى دروسه في كلّية مار يوسف للآباء اليسوعيين ببيروت. وعام ١٨٩٧، غادر لبنان إلى نيويورك. عمل



أمين الغريّب

باكراً جدّاً في مجال الصحافة وكتب في **الهدى**، و**كوكب أميركا** و**الصخرة**. عام ١٩٠٣، أصدر جريدة **المهاجر** التي استمرّت ست سنوات. وكانت مكاتبها في ٢١ واشنطن ستريت في نيويورك. عام ١٩٠٩، عاد إلى لبنان لكن السلطنة العثمانية نفته ثلاث سنوات إلى إنطاكيا. لدى عودته إلى بلاده، حلّ ضيفاً لدى الملك فيصل في حلب فاستبقاه وجعله ترجمانه الخاصّ. عام ١٩٢٣، أصدر مجلّة **الحارس**، لكنّه تخلّى عنها ليساهم في الجريدة المصرية الشهيرة **الأهرام**. كتب فيها ثماني سنوات. عام ١٩٥٢، انتقل إلى ساو باولو في البرازيل حيث أعاد إصدار **الحارس** ثم عاد في صيف ١٩٥٩ إلى نيويورك بعد أن أمضى خمسين سنة بعيداً من هذه المدينة. له مؤلّفات عدّة منها: **أشواك ورد**، **النقش في الحجر**، **جواهر العصور**، **روايات شكسبير**.

اضطلع أمين الغريّب بدور حاسم في حياة جبران. هو أوّل من شجّعه على نشر نصوصه بالعربية في جريدة **المهاجر** التي كتب عنها في رسالة مؤرّخة في ٣٠

يوليو/تموز ١٩٠٩: «أحببتها (هذه الجريدة) أكثر من كلّ جريدة وخدمتها بقدر ما استطعت.» نشر أمين الغريّب أوّل أعمال جبران: **الموسيقى** (١٩٠٥)، **عرائس المروج** (١٩٠٦)، **الأرواح المتمرّدة** (١٩٠٨).

◄ راجع أيضاً: صحافة.

غسطين، هيلانة

كانت هيلانة غسطين لبنانية الأصل (من مواليد بزبدين). هاجرت إلى الولايات المتّحدة عام ١٩١٧. كانت على إلمام واسع باللغات وتزاول التدريس في بنجامين سكول في نيويورك. وكانت مقرّبة من أوساط الإدارة الأميركية، أنجزت مهمّة غامضة أثناء الحرب العالمية الثانية لمصلحة تلك الإدارة التي كافأتها بمنحها وسام تنويه.

التقاها جبران في نهاية الحرب العظمى في مكاتب جريدة «الهدى» في نيويورك. من الرسائل التي بعث بها إليها جبران[١] لم يتبقَّ إلاّ القليل، تلك المرسلة بين عامَي ١٩٢٣ و١٩٢٥. أبدى الفنّان إعجابه بهيلانة وكان يخاطبها تحبّباً بـ«هلّون». وكثيراً ما كان يطلب منها الحضور إلى منزله ويكتب إليها قصائد غير معروفة («دقّوا المسامير في كفّي»، في رسالة مؤرّخة في مايو/أيّار ١٩٢٣. وجد جبران بالقرب من هيلانة، ابنة بلاده، الراحة والطمأنينة. أدرك أنّها موضع ثقة ويمكن الاعتماد عليها. وفي رسالة مؤرّخة في ٦ يناير/كانون الثاني ١٩٢٥، كتب يشكرها على هدية أرسلتها إليه في مناسبة عيد مولده. وفي رسالة تعود إلى ١٢ يناير/كانون الثاني ١٩٢٦، كتب طالباً إليها مساعدته في تنظيم احتفال تكريمي للأديب سليمان البستاني.

---

(١) مي ضاهر يعقوب: «سبعون عاماً على وفاة جبران» جريدة الحياة، ١٢ أبريل/نيسان ٢٠٠١. راجع أيضاً: الملحق الثقافي للنهار الصادر في ١٧ و٢٤ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٢. وقد نشر جان داية عدداً من هذه الرسائل في كتابه **المعلّم رزق الله الحلبي**.



هيلانة غسطين (على يمين الصورة)

أحياناً كانت تبدي شيئاً من القنوط أو الإحباط فيؤنسها بنبرة أبويّة: «أنت يا هيلانة ميّالة إلى الشكوى حينما لا يكون هناك من سبب إلى الشكوى، فتتأفّفين من الظلام مع أنّك جالسة في نور الشمس وتعاتبين الدهر، والدهر من حلفائك! فليساعدني اللّه على النساء اللطيفات الغنجات المشكّكات المتذمّرات!».

بعد وفاة جبران، احتفظت هيلانة طويلاً بالرسائل التي تبادلاها. روت لإحدى الصديقات أنّ جبران طلب منها ذات يوم أن تشتري له مظلّة قائلاً لها إنّه يريد أن يقدّمها هدية إلى مريانا شقيقته. وبعد أسابيع، لمحت هذه المظلّة نفسها في يد امرأة لا تعرفها! تدلّل هذه الحادثة الطريفة على أنّ جبران كان رجلاً يحبّ النساء، لكنّه يتقن إخفاء لعبته.



لويز غويني

غويني، لويز إيموجين (١٨٦١ ـ ١٩٢٠) Guiney Louise Imogen

شاعرة وصديقة فريد هولاند داي. تعرّف إليها جبران عند داي. وفي نهاية أغسطس/آب ١٨٩٨، أمضى بضعة أيّام في منزلها في «فايف آيلندز» على شاطئ المين: أبلغها جبران المراهق آنذاك أنّه عائد إلى لبنان. فكتبت إلى فريد تسأله: «أسيرحل حقّاً؟ أرجو ألاّ يفعل». في ٤ سبتمبر/أيلول بعثت برسالة إلى داي تطلب منه أن يشكر جبران على رسم الوداع الذي أهداه إليها. لدى وفاة والدة جبران، كتبت لويز غويني إلى جوزفين بيبودي وإلى فريد هولاند داي متحسّرة على الشقاء الذي ألمّ بهذه «الموهبة اللامعة».



فارس، فليكس (١٨٨٢ ـ ١٩٣٩)

أبصر فليكس فارس النور في صليما (لبنان)، من أب لبناني وأمّ فرنسية. نال إجازة في الحقوق. أنشأ عام ١٩٠٩ جريدة **لسان الاتحاد** ثم أرسله الجنرال غورو عام ١٩٢٢ إلى الولايات المتّحدة في مهمّة خاصّة لدى الجاليات اللبنانية ليعرّفها



فليكس فارس

على السياسة التي تنتهجها فرنسا في المشرق. في ٢٧ يناير/كانون الثاني التقى جبران الذي دعاه إلى اجتماع في ٢١ مارس/آذار في صومعته بحضور جميع أعضاء الرابطة القلمية. أصبح وجبران صديقين وتبادلا رسائل عدّة. ترجم إلى العربية **رولا** *Rolla* و**اعترافات فتى العصر** *Les confessions d'un enfant du siècle* لألفرد دوموسيه Alfred de Musset و**هكذا تكلّم زرادشت** لنيتشه.



قاديشا

يمتدّ وادي قاديشا خمسين كيلومتراً من البترون إلى بشرّي. يعبره نهر يحمل الاسم نفسه ويصبّ في البحر المتوسّط بين طرابلس والمينا. «وادي قاديشا، كما يذكر عالم الآثار الأستاذ سلامة سركيس، هو أحد الأودية الأعمق في لبنان (. . .) سكن الإنسان المغاور والملاجئ الواقعة في جوف الصخر والمنتشرة



من مجموعة ميشال فاني

وادي قاديشا (١٨٥٩)

بكثرة على جوانب الوادي منذ العصور الغابرة. ومع انتشار المسيحية تحوّلت مصلّيات وأديرة ومناسك». وادي قاديشا أو الوادي المقدّس ماثل في أعمال جبران إذ أمضى طفولته في هذا المكان الذي يبعث على التأمّل والحلم. وفي نصّ «سفينة في الضباب» من كتاب **البدائع والطرائف**، يروي قصّة رجل يعيش في منزله المنفرد القائم على كتف وادي قاديشا حيث «يتدفّق النهر العظيم» كما أنّ العديد من لوحاته يجسّد أودية وعرة شبيهة إلى حدّ بعيد بالوادي المقدّس. وهذا الموقع أدرجته منظّمة الأونسكو منذ عام ١٩٩٨ على لائحة التراث العالمي تحت الرقم ٨٥٠.

◄ راجع أيضاً: بشرّي؛ لبنان.

قهوجي، ماري

التقى جبران ماري قهوجي عام ١٩٠٥. كانت تسكن بالقرب من منزله في بوسطن. أسرت ماري قهوجي جبران بسحر جمالها. ويزعم بعضهم أنّها كانت عشيقته مع أنّها امرأة متزوّجة. لكن حبّهما تحوّل بمرور الزمن إلى صداقة. وفي رسالة تعود إلى عام ١٩٢٩، يكتب لها جبران: «لن أنسى عطفك المغمور بالأنس والرقّة...».

◄ راجع أيضاً: نساء.



كاريير، أوجين (١٨٤٩-١٩٠٦) Carrière, Eugène

وُلد أوجين كاريير في غورين عام ١٨٤٩ وتوفي في باريس عام ١٩٠٦. رسَّام فرنسي، تلميذ كابانيل Cabanel. ربطته صداقة برودان واتّصل بأدباء عدّة منهم فرلين ومالارميه ودوديه Daudet وأناتول فرانس الذي رسم له بورتريه.



الفنان أوجين كاريير

أنجز لوحات دينية ورسوماً غامضة وزيّن مبنى بلدية باريس والسوربون. كان لأوجين كاريير تأثير بالغ في أعمال جبران الذي كان يعتبره «الأقرب إلى قلبه.» وإذ أغوته الأجواء الضبابية الغالبة على لوحات الفنّان الفرنسي، لم يتوان جبران عن استلهامها سواء في رسوم البورتريه (وتشاء المصادفة الغريبة أنّ كليهما أنجز رسماً للكاتب والمعلّق الساخر هنري روشفور) أو في لوحاته الأخرى. بين لوحة **همس السكون** لجبران و**لوحة موت غوغان** لكاريير قرابة مؤكّدة وكذلك بالنسبة إلى لوحات الفرنسي ذات الطابع التركيبي المكرّسة لموضوعة الأمومة (خاصّة **شكلان متعانقان**، و**أمّ وطفل**)، فهي تذكّر في أكثر من وجه، بلوحات جبران ورسومه التي أنجزها بين عامَي ١٩٠٨ و١٩١٨، ومن بينها لوحة تحمل عنواناً مماثلاً: **أم وطفل**. «مادّة واحدة، نور واحد، هذا ما يتعلّمه الفنّان من النهر المتدفّق باتّجاه البحر، إلى منتهى الأفق، الكون الذي لا يُحدّ، إنسانية واحدة، وعقل واحد. كلّ العناصر تتضافر من أجل الحفاظ على توازن العالم. كلّ عناصر البشرية مقدّر لها أنّ تتلاقى بحكم قانون التناغم». خاطرة كاريير هذه، يتبنّاها جبران من دون تردّد. وفي بطاقة بريديّة أرسلها إلى مي زيادة في ١٧ يناير/كانون الثاني ١٩٢٤، يعترف جبران أنّه يفضّل بوفي دوشافان على كاريير ودولاكروا.

◄ راجع أيضاً: رسم.

كاهونزي Cahoonzie

في مطلع صيف ١٩٢١، ذهب جبران وأصدقاؤه نسيب عريضة وعبد المسيح حدّاد وميخائيل نعيمة إلى كاهونزي، مزرعة على سفح جبال كاتسكيل في ولاية نيويورك. قضى الأصدقاء الأربعة أيّاماً عشرة يتنزّهون في الطبيعة ويشربون العرق، وينشدون المواويل ويتبارون في ارتجال «القرّادي». وهناك التقطوا صوراً فوتوغرافيّة، لم يلبث جبران أن طالب بها ممازحاً نعيمة في إحدى رسائله: «ماذا حلّ بالصور الشمسيّة التي أخذناها في كاهونزي؟ ألا فاعلموا أنّني أريد الحصول



جبران وميخائيل نعيمة في غابة كاهونزي

على نسخة من كلّ صورة. فإن لم أحصل على حقوقي رفعت عليكم دعويين واحدة في محكمة الصداقة، والأخرى في ديوان أحمد باشا الجزّار؟»!!

كحول

كان جبران يهوى الشرب. خلال طقوس التزريك التي أقامها الطلاّب في أكاديمية جوليان، كتب مفاخراً بأنّه «لم يشعر بأثر الخمرة»، فيما جميع أصدقائه غلبهم النعاس لفرط الشرب. وفي كتبه يمتدح الخمرة وفضائلها:

«إشرب كأسك وحدك، وإنْ كان لها طعم دمك ودموعك، واحمد الحياة على نعمة الظمأ فإنّ قلبك من غير ظمأ ليس إلاّ شطّاً لبحر قاحل، لا نشيد فيه، ولا جزر ولا مدّ.

اشرب كأسك وحدك واشربها بفرح.

ارفعها فوق رأسك، وعبّ منها نخب أولئك الذين يشربون وحدهم».

في السنوات الأخيرة من حياته، لم يجد جبران سبيلاً إلى التخفيف من آلامه المتمادية، فلاذ بالخمر سبيلاً إلى الهروب: «إنّ عطشي للشراب، كتب ذات يوم، يفوق ظمأ نوح وأبي النوّاس وديبوزي، كما يفوق ظمأ مارلو». وفي الكتاب الذي كتبه ميخائيل نعيمة عن جبران[1] عام ١٩٣٤، يكشف عن هوى جبران للشراب. وكذلك، في رسالة كتبها ويتر باينر عام ١٩٤١، استشهد بها روبن ووترفيلد، ورد الآتي: «من المحزن التذكّر أنّ جبران في آخر حياته، وقد رزح تحت وطأة مرضه المحتّم، انعزل عن العالم ليجد ملاذاً في الكحول[2]». عجّل الإفراط في الشرب من تداعي صحّة جبران. ولدى الوفاة، أظهر تشريح الجثّة تشمّعاً في الكبد.

◀ راجع أيضاً: صحّة.

كنوبف، ألفرد (١٨٩٢ ـ ١٩٨٤) Knopf, Alfred

وُلد ألفرد أبراهام كنوبف في نيويورك. فقد أمّه إيدا وهو في الرابعة، فتولّى تربيته والده صاموئيل كنوبف، الذي يعمل في مجال الإعلانات. انتسب عام ١٩٠٨ إلى جامعة كولومبيا حيث أكبّ بشغف على درس التاريخ والأدب. بعد رحلة إلى أوروبا، كشف عن رغبته: «أعود إلى دياري مصمّماً على أن أكون ناشراً وليس محامياً كما تودّ عائلتي».

لم يكن سهلاً على رجل في مقتبل العمر وبدون خبرة أن يدخل إلى عالم دور النشر المغلق والمحافظ. التحق، بمساعدة والده، بدار «دابلداي أند كومباني» محاسباً في أكتوبر/تشرين الأول ١٩١٢. أفادته هذه التجربة فأصبح متضلّعاً من المهنة وأنشأ عام ١٩١٥، وكان في الثالثة والثلاثين دار نشر خاصّة به باسم «ألفرد أ. كنوبف».

---

(١) ميخائيل نعيمة، **جبران خليل جبران، حياته، موته، أدبه، فنّه**، بيروت، مؤسّسة نوفل، ١٩٨٥.

(٢) Robin Waterfield, *Khalil Gibran, un prophète et son temps*, Saint Laurent, Fides, 2002 p. 290.



ألفرد كنوبف

أوّل كتاب نشره كان *Four Plays* لإميل أوجييه Emile Augier وساعده في ذلك والده متولّياً الشؤون المالية وزوجته بلانش وولف. أصبح ألفرد كنوبف ناشراً لكبار الأجانب أمثال توماس مان، خورخي أمادو، جول رومان، أندريه جيد، بول موران، ألبير كامو، جان بول سارتر، ياسوناري كواباتا، غابرييل غارسيا ماركيز. استطاع أن يكون أيضاً في طليعة ناشري الأدب الأميركي. بين الكتّاب الذين نشرت لهم الدار: ويتر باينر ودايفيد هربرت لورنس وكاترين مانسفيلد وروبرت غريفز وعزرا باوند... الذين أوصوا الناشر بالاهتمام بزملائهم. خلال مأدبة لمناسبة صدور كتاب أوبنهايم ***The Book of Self*** **كتاب الذات**، حصل جبران على موعد مع صاحب الدار الناشئة بناء على توصية مشتركة من الشاعر ويتر باينر وسفير فرنسا في واشنطن بيار دولانو Pierre de Lanux، الذي كان جبران رسم صورة شخصية له. أُعجب جبران بشخصية كنوبف الذي وافق على نشر كتابه: «كلّما التقيته زاد حبّي له... ليس رجلاً محسناً للبشر لكنّه

رجل مستقيم ولا يدع شيئاً للمصادفة.» كانت تلك بداية تعاون مثمر. ولاحقاً، أصدر كنوبف أعمال جبران الأولى بالإنكليزية: **المجنون** (١٩١٨)، **عشرون رسماً** (١٩١٩)، **السابق** (١٩٢٠)، وكذلك **النبيّ** (١٩٢٣) الذي سجّل نجاحاً لافتاً وبيع لاحقاً بملايين النسخ. ثم تبعها **رمل وزبد** (١٩٢٦)، **ويسوع ابن الإنسان** (١٩٢٨)، **وآلهة الأرض** (١٩٣١). والأعمال التي نشرت بعد وفاة جبران: **التائه** (١٩٣٢)، **حديقة النبيّ** (١٩٣٣). وعام ١٩٤٥، أصدر الناشر مذكّرات بربارة يونغ، معاونة جبران، تحت عنوان *This Man From Lebanon* **هذا الرجل من لبنان**.

عام ١٩٦٠، قرّر ألفرد وبلانش كنوبف بيع دار النشر إلى دار «راندوم هاوس» فوافق الناشر الجديد على الإبقاء على استقلالية دار كنوبف وإصدار المنشورات الخاصّة بها. بعد عام من وفاة زوجته عام ١٩٦٦، اقترن ألفريد بالكاتبة هيلين هيدريك Helen Hedrick. وعام ١٩٧٧ قرَّر الاعتزال محتفظاً بلقب الرئيس الفخري لدار النشر. وفي ١١ أغسطس/آب ١٩٨٤، أسلم الروح في خاتمة حياة مكرّسة كليّاً للنشر والإعلاء من شأن الأدب. ونظراً إلى اهتمام كنوبف البالغ بإعطاء كتبه ميزة خاصّة وإصدارها بشكل أنيق، كرّمته المؤسّسة الأميركية للفنون الغرافيكية. ولا أحد مثل توماس مان استطاع إعطاء صورة عنه: «هو مزيج من رجل الأعمال الناجح وصديق الفكر المخلص!».

تكشف الرسائل غير المنشورة التي تبادلها جبران وألفرد كنوبف عن جوانب كثيرة. تظهر كنوبف حريصاً على تسعير الكتب التي يصدرها ومتصلّباً في ما يتعلّق بحقوق المؤلّف جبران الذي قلّص من نسبة أرباحه (رسائل كنوبف إلى جبران في ٢٥ فبراير/شباط ١٩٢٦). تطوّرت علاقة كنوبف بجبران على مرّ الزمن. ثمّة رسالة غير منشورة تظهر أنّ ألفرد كنوبف دعا جبران إلى حضور عرض موسيقي تحييه أوركسترا بوسطن السمفونية (تعود الرسالة إلى ١٣ ديسمبر/كانون الأوّل ١٩٢٧ ورسالة جبران الجوابية إلى ١٤ ديسمبر/كانون الأوّل ١٩٢٧). كذلك يطلب جبران (في رسالة مؤرّخة في ٢٩ أغسطس/آب ١٩٣٠) من ناشره أن يبعث إليه بنسخة عن كتاب جوزيف ويليس Joseph Wheless:

Forgery in Christianity ويردّ عليه كنوبف في ٢ سبتمبر/أيلول ١٩٣٠. وكان جبران لامبالياً بحقوقه كمؤلّف، لكنّه كان متطلّباً جدّاً في ما يتصل بإخراج كتبه ولا يتوانى عن توجيه التعليمات الصارمة لعامل المطبعة، مرفقة بالملاحظات المطبعية اللازمة لتنفيذها.

◄ راجع أيضاً: بلانش كنوبف.

كنوبف، بلانش (١٨٩٤ ـ ١٩٦٦) Knopf, Blanche

ولدت بلانش كنوبف في نيويورك وكان والدها جوليوس ولف صائغاً من فيينا. تعرّفت إلى ألفرد كنوبف في جامعة كولومبيا فاقترنت به في ١٤ أبريل/نيسان ١٩١٦. التحقت بدار النشر التي أسَّسها زوجها عام ١٩١٥. كانت بلانش كنوبف إلى الإنكليزيّة تتقن الفرنسيّة والألمانيّة وتولّت نشر ترجمة لكبار أدباء عصرها (أندريه جيد وتوماس مان) الذين التقتهم خلال أسفارها العديدة في أوروبا. اعتبرت بلانش أحد الوجوه البارزة للنشر الأميركي في القرن العشرين وقلّدت وسام ضابط جوقة الشرف لأنّها نشرت لعدد من الكُتّاب الفرنسيين.

الرسائل غير المنشورة التي تبادلتها هي وجبران تتّصف بالأهمِّية على أكثر من صعيد. في إحداها يعلمها جبران أنّه ولد في ٦ يناير/كانون الثاني ١٨٨٣، حاسماً بذلك الجدل بشأن تاريخ ولادته. وقد طلبت بلانش من جبران في خريف ١٩٢٥ السماح لها باستغلال ترجمة كتاب **النبيّ** إلى العبرية، التي قام بها إسحق هوروفيتز، لأهداف ترويجية. لكن جبران أجابها أنّه يفضّل أن تنشر الترجمة ومن ثم يجري الكلام عليها. وفي رسالة أخرى مؤرّخة في ١٣ يونيو/حزيران ١٩٢٦، كتبت له بلانش:

«عزيزي السيّد جبران

عدّت للتوّ فوجدت أنّ كتاب **النبيّ** لا يزال يلقى رواجاً رائعاً. أقترح عليك، إن لم يكن الأمر يزعجك، المشاركة في بعض معارض الكتب التي تنظم في أنحاء البلاد خلال هذا الخريف وأوائل الشتاء، وأن تجري قراءة لمقتطفات من

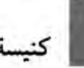
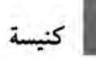


بلانش كنوبف

أعمالك. هذه المبادرة مفيدة جدّاً لأنّها تساعدك على التقرّب من باعة الكتب وجمهور القراء في آن واحد (. . .) أخشى ألاّ يروقك اقتراحي علماً أنّي أشعر أنّه سيعود عليك بفائدة كبيرة».

ازدادت العلاقة بين جبران وناشرته عمقاً بمرور الوقت. كانت تدعوه إلى تناول الشاي عندها ما بعد الظهر في أيّام الآحاد. وتخلّى عن مناداتها «سيّدة كنوبف» بل «بلانش» ببساطة، موقّعاً رسائله بـ «خليل».

◀ راجع أيضاً: الفرد كنوبف.

كنيسة

كان جبران مناهضاً لرجال الدّين، تعبيراً عن ردّ فعل على التجاوزات التي مارسها بعض أفراد الإكليروس في تلك الحقبة. يبدو جبران في **الأجنحة**

المتكسّرة وفي مقالات ونصوص عديدة («الشيطان»، مثالاً)، عنيف اللّهجة تجاه رجال الدّين. لكن هذا العنف خفَّف من وطأته تعلّقه بالكتاب المقدّس والاحترام الذي يكنّه لبعض الكهنة مثل جدّه لأمّه اسطفان رحمة والأب يوسف حدّاد والأب اسطفان الدويهي الذين لعبوا دوراً في نشأته الروحية. وخلافاً لما أشيع، لم تنبذ الكنيسة المارونية جبران عام ١٩٠٣.

يتقاطع مفهوم جبران للّه والمسيح عن مفاهيم الكنيسة الكاثوليكية، فأطروحاته تشكّك في وحدة الجوهر للابن مع الآب كما تغفل الفداء (خلاص البشر) وسرّ القربان المقدّس. على صعيد آخر، تدحض الكنيسة فكرة التقمّص التي دافع عنها جبران(١). وفي أيّامنا هذه تظهر الكنيسة «تسامحاً» كبيراً حيال جبران، وثمّة دراسات عدّة كتبها عنه رجال الكنيسة!

◄ راجع أيضاً: اللّه؛ تقمّص؛ يوسف الحدّاد؛ اسطفان الدويهي؛ يسوع.

كوينسي سكول Quincy School

خلال إقامته الأولى في بوسطن، التحق جبران بهذه المدرسة في الحيّ السوري من المدينة، في ٨٨ تايلرستريت. تظهر سجلاّت المدرسة أنّ جبران دخل إليها في ٣٠ سبتمبر/أيلول ١٨٩٥ وغادرها في ٢٢ سبتمبر/أيلول ١٨٩٨. تميّز جبران من أترابه بقدراته الكبيرة على الاستيعاب وبمواهبه الفنيّة: «كان العامان الأوّلان اللذان أمضيتهما في بوسطن أشدّ سنوات عمري بؤساً. كان معيني الوحيد متمثّلاً في أساتذتي الذين عاملوني بلطف شديد مواظبين على مراسلتي والسؤال عن أحوالي حتى ما بعد مغادرتي المدرسة بزمن طويل». لاحظت معلّمته ميله إلى الأدب فأهدت إليه كتاب **كوخ العم توم**، وهي التي اقترحت عليه أن

---

(١) Joseph Head et Sylvia Gauston, *Le livre de la Réincarnation*, Paris, Librairie générale française, 1998. - Pascal Thomas, *La Réincarnation, oui ou non*, Paris, Le Centurion, 1987.

يعتمد كتابة اسمه على النحو الآتي *Kahlil Gibran* بدلاً من *Gibran Khalil Gibran*!

◄ راجع أيضاً: بوسطن، اسم.

كولاروسي، أكاديمية Académie Colarossi

تأسّست أكاديمية كولاروسي عام ١٨١٥ في ١٠، شارع «غراند شوميار» في باريس. استقبلت هذه الأكاديمية موديلياني وكميليا كلوديل Camille Claudel (شقيقة الكاتب بول كلوديل) وعدداً من الفنّانين الأجانب الذين قصدوا باريس لتحسين تقنيّاتهم (أمثال جان بول لوميو، وسوزور ـ كوته، وفرنسيسكو أياكورتو، وهربرت فيدلر). وكانت متخصّصة في رسوم العري نقلاً عن موديلات. وخلافاً لمعهد الفنون الجميلة الذي ظلّ حكراً فقط على الرجال حتى عام ١٨٩٧، فتحت الأكاديمية أبوابها للنساء وذاع صيتها حتّى أنّها ترد في دليل أميركي بعنوان The Art Students in Paris نشرته في بوسطن عام ١٨٨٧ جمعية «بوسطن آرت ستيودنتز» Boston Art Students وكانت تستشير ماري هاسكل وجبران. كذلك ورد في الدليل أنّ «رافاييل كولان، وغوستاف كورتوا، ودينيان ـ بوفيريه كانوا من بين أساتذتها».

خلال إقامته في باريس، وبعد مروره بأكاديمية جوليان ومحترف مارسيل ـ بيرونو، التحق جبران مع صديقه يوسف الحويّك بأكاديمية كولاروسي التي تديرها امرأة إيطالية اسمها كاترينا. ويكتب يوسف الحويّك مستذكراً: «كانت (كاترينا) شابّة وموديلاً سابقاً. تعرف كلّ شيء يتعلّق بمهنتها. كانت الأكاديمية تضمّ أربع صالات رسم (. . .) وكان الدوام مقسّماً ثلاث مراحل: من التاسعة صباحاً حتى التاسعة مساءً. وكان جبران، الذي قلّما يتردّد إلى المعهد، يفضّل القسم الأخير من الدوام[1]».

◄ راجع أيضاً: باريس؛ يوسف الحويّك.

---

(١) Edvick Shayboub, op. cité, 1995, p. 36.

ل

لبنان

الارتباط العاطفي الذي يبديه جبران بمسقط رأسه وتؤجّجه الغربة، يجد أوضح تعبير له في كتابه **يسوع ابن الإنسان** حيث يشبّه وجه المسيح بقمم لبنان الوعرة وحيث المسيح ينتقي تلاميذه من أهل الشمال وسفوح لبنان ويسأل اللّه أن يكون ثلج لبنان كفنه. . . أمّا النصّ الأكثر شهرة لجبران عن بلاده فيبقى: «لكم لبنانكم ولي لبناني» المنشور في ٨ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٢٠ في جريدة **الهلال**. وفيه يؤكّد حبّه للبنان وأبنائه ويهاجم السياسيين الذي شوّهوا صورة بلاده:

«لكم لبنانكم ومعضلاته ولي لبناني وجماله.

لكم لبنانكم بكلّ ما فيه من الأغراض والمنازع ولي لبناني بما فيه من الأحلام والأماني (. . .).

لبنانكم مشكلة دولية تتقاذفها الليالي. أمّا لبناني فأودية هادئة سحرية تتموّج في جنباتها رنّات الأجراس وأغاني السواقي (. . .).

لو لم يكن لبنان وطني لاتخذت لبنان وطني

لبنانكم مربّعات شطرنج بين رئيس دين وقائد جيش، أمّا لبناني فمعبد أدخله بالرّوح عندما أملّ النظر إلى وجه هذه المدنيّة السائرة على دواليب (. . .).

لبنانكم طوائف وأحزاب. أمّا لبناني فصبية يتسلّقون الصخور ويركضون مع الجداول (. . .).

لكم لبنانكم ولي لبناني».

ولد جبران في بشرّي (شمالي لبنان) عام ١٨٨٣ وعاش في بلاد الأرز حتى عام ١٨٩٥، تاريخ رحيل العائلة إلى بوسطن. عاد إلى لبنان مجدّداً في الخامسة عشرة عام ١٨٩٨ وتابع دراسته ثلاث سنوات في معهد الحكمة ثم غادر إلى أميركا عام ١٩٠٢. طوال حياته بقي متعلّقاً ببلاده. كتب إلى فليكس فارس:

«لا بدّ من الرجوع إلى لبنان، لا بدّ من التملّص من هذه المدنيّة السائرة على دواليب. على أنّني أرى من الحكمة ألاّ أترك هذه البلاد (الولايات المتحدة) حتى أقطع الخيوط والسلاسل التي تربطني بها، وما أكثر تلك السلاسل والخيوط.

أريد أن أذهب إلى لبنان وأبقى ذاهباً».

وإلى صديقه أمين الرّيحاني المغادر إلى بلاد الأرز، يكتب:

«كنت أتمنّى أن أرافقك إلى تلك البلاد التي أحبّ صخورها وأوديتها وأكره كهّانها وحكّامها. ولكن ما ترسمه الأحلام تمحوه اليقظة وما تبنيه الأماني يخفيه العجز.

أنت ذاهب غداً إلى أجمل وأقدس بلاد في هذا العالم، وأنا باقٍ في هذا المنفى البعيد. فما أسعدك وما أقلّ حظّي. لكنّي إذا ذكرتني أمام صنّين (. . .) وفي وادي الفريكة تهوّن عليّ عذاب المنفى وتخفّف عنّي ألم المهجر والبعاد!».

لن يعود جبران أبداً بسبب المصادرات المتعدّدة لأملاك العائلة في بشرّي وديون والده المتراكمة والملاحقات التي تعرّض لها[1].

ووفقاً لمنصور حنّا الشدياق الذي زار كاتب **النبيّ** في نيويورك، وهو من أبناء

---

(١) هيام ملاّط، «صفحات غير معروفة عن جبران» **في جبران نبيّ الجسد والرّوح**، فؤاد أفرام البستاني، بيروت، منشورات الدائرة ٢٠٠٣، ص. ١٧٩ و١٨٥.

بشرّي، رفض جبران العودة إلى لبنان لأنّه كان يخشى «أن يبقى الناس هناك طويلاً على احترامه وأن يهزأ به، بعد وقت على بقائه هناك، أقرب الناس إليه[1]». فهل كان سبب عدم عودته إلى لبنان خوفه من الملاحقات القضائيّة الموجّهة ضدّه وضدّ عائلته، ومن «الفضيحة» المرتبطة بهذه الملاحقات؟ أم أنّ السبب هو إدراكه التامّ لـ «تميّزه» وعجزه عن التأقلم مع العقليّات الريفيّة السائدة في زمانه؟

إنّ الموت المبكر لجبران منعه من تحقيق حلمه. نهار الخميس، ٢٠ أغسطس/آب ١٩٣١، غادر جبران الولايات المتحدة وقد ضمَّ رفاته نعش مُغطّى بالعلمَين اللبناني والأميركي. ولدى وصول الجثمان إلى مرفأ بيروت، كان حشد كبير من المواطنين المجتمعين لاستقباله عند رصيف الميناء. وبعد أنّ سُجّيَ يوماً واحداً في كاتدرائية القدّيس جاورجيوس، وعقب احتفال أقيم في «المسرح الكبير» تكريماً للراحل بحضور رئيس الجمهورية شارل دبّاس، نقل النعش، عبر المدن والقرى إلى بشرّي بمواكبة آلاف اللبنانيين المشيّعين. أقيمت لجبران جنازة في كنيسة مار يوحنّا في بشرّي ثم أودع النعش في قبو الكنيسة يوم الأحد ٢٢ أغسطس/آب ثم في دير مار سركيس الذي اشترته مريانا بناء على طلب شقيقها.

واليوم تسهر لجنة جبران الوطنية على تراث الفنّان ومتحفه. وهناك أيضاً ساحة في وسط بيروت تحمل اسم جبران وافتُتحت في ٣٠ مارس/آذار ٢٠٠١.

لعازر ومحبوبته

عام ١٩٧٣ عمد أحد أقرباء جبران (النحّات خليل جبران) إلى نشر **لعازر ومحبوبته** وهي تمثيلية من فصل واحد عُثر عليها بين مخطوطات الكاتب التي احتفظت بها شقيقته مريانا. يبدو أنّ هذه التمثيلية كُتبت في الأصل بالعربية ثم تُرجمت إلى الإنكليزية من أجل تلاوتها علانيّة. في أبريل/نيسان ١٩١٤، دوّنت ماري هاسكل في يومياتها: «قرأ لي خليل تمثيلية باللغة العربية متبوعة بالترجمة التي أنجزها لها بالإنكليزية تحكي عن لعازر من الكتاب المقدّس والأيّام الثلاثة

(١) غازي جعجع، **بشرّي**، بيروت، المؤلّف نفسه، ١٩٩٩.

التي رقد خلالها ميتاً. لقد انطلق آنذاك نحو عالمه الروحي، وهناك التقى المرأة التي أحبَّ وعاش معها. لكن قدرة إلٰه العالم أرغمته على العودة إلى الأرض ومواصلة حياته عليها» (يوميّات ماري هاسكل ٢٦ أبريل/ نيسان ١٩١٤)، وأيضاً في يوميّاتها التي ترقى إلى ١٣ أبريل/ نيسان ١٩٢٦، تكتب ماري هاسكل: «رأيت جبران. قرأ لي **لعازر** (تمثيليّة من فصل واحد). بدا متأثّراً جدّاً لدى قراءته لعازر.» كما تؤكّد ألما ريد في كتابها *Orozco* أنّ جبران تلا في ٦ يناير/ كانون الثاني ١٩٢٩، أمام جمهور من المعجبين، مقتطفات من هذه المسرحية. لا شكّ أنّه استلهم وليم بلايك وهو صاحب لوحة عنوانها The raising of Lazarus، وحاول أن يتخيّل حالة لعازر النفسية غداة انبعاثه من الموت. كان يرى أنّ لعازر هو الإنسان الوحيد الذي حظي بالحياة مرّتين، وبالموت مرّتين، وبالأبدية مرّتين. ويرى أنّ هذه الشخصية لم تكن راغبة في العودة إلى الحياة. كان سعيداً في ذلك العالم بعد الموت، عالم الروح والطمأنينة. لذا يتساءل لعازر العائد من الموت بغضب ومرارة: «لِمَ عليَّ، من بين كل الناس، أن أكون الوحيد الذي عاد؟ لم عليَّ من بين الرعاة جميعاً الذي يُطرد إلى الصحراء بعد المراعي الخضراء؟ قل لي يا يسوع الناصري لِمَ صنيعك بي؟ (. . .) لم أعدتني من قلب الأبدية الحيّ إلى هذا الشقاء وأنت تعرف في قلبك أنّك ستفارقه؟ (. . .) لماذا أعدتني من قلب الأبدية الحيّ لأجد نفسي في هذا الموت الحيّ؟» ولكنّ الأمر يحتاج إلى أعجوبة.

تنتمي هذه التمثيلية إلى مجموعة خمس تمثيليّات من فصل واحد رفض ألفرد كنوبف نشرها بعد وفاة جبران بناءً على توصية الشاعر ويتر باينر الذي اعتبرها أقلّ أهمّية من كتابات صديقه الأخرى.

◀ راجع أيضاً: مسرح.

لغات

كم من اللغات عرف جبران؟ أوّلاً العربية لغته الأمّ وتعلّمها إلى جانب السريانية في مدرسة بشرّي، ثم في معهد الحكمة. ولدى هجرته إلى أميركا، كان جبران محاطاً بعائلته وأصدقائه اللبنانيين فلم يشعر قطّ أنّه غريب، وتابع التحدّث

The Prophet

Almustafa, the chosen and the beloved, he who was a dawn unto his own day, had waited twelve years in the city of Orphalese for his ship that was to return and bear him back to the isle of his birth.

Every day upon the high hills without the city walls he stood searching the distances for his ship; but the ship came not, and his heart grew heavy within him, for deep was his longing for the land of his memories and the dwelling place of his greater desires.

And in the twelfth year, on the seventh day of Ielool, the month of reaping, he climbed

مخطوطة «النبي» بالإنكليزية

بلغته الأمّ، راغباً في تحرير اللغة العربية من غُلّ الكلاسيكية الذي كان يخنقها، استخدم جبران هذه اللغة بكثير من الحريّة فأثار غضب اللغويين المتشدّدين. عام ١٩١٠، كتب جبران: «بالنسبة إليكم، اللغة قائمة لا تنتهي من القواعد (. . .) وبالنسبة لي نبع صافٍ يسيل بخفّة ليوافي المحيط». وفي مقالته «مستقبل اللغة العربية» المنشورة في كتابه **البدائع والطرائف**، يلخّص جبران رؤيته للأمور كالآتي:

«وعندي أنّ «الموالي» و«الزجل» و«العتابا» و«المعنّى» من الكنايات المستجدّة

والاستعارات المستملحة والتعابير الرشيقة المستنبطة ما لو وضعناه بجانب تلك القصائد المنظومة في لغة فصيحة والتي تملأ جرائدنا ومجلاّتنا لبانت كباقة من الرياحين بقرب رابية من الحطب أو كسرب من الراقصات المترنّمات قبالة مجموعة من الجثث المحنّطة (. . .) وما سبل الأقدمين سوى أقصر الطرقات بين مهد الفكر ولحده».

كان جبران يتكلّم أيضاً الفرنسية وقد تعلّم هذه اللغة في مدرسة الحكمة وتحدّث بها مع صديقته الفرنسية إميلي ميشيل (ميشلين). كما أفاد جبران من إقامته في باريس وتآلف باطّراد مع لغة موليير وتعرّف من بين أعمال كثيرة إلى كتب رينان (خصوصاً **حياة يسوع**). لكن يوسف الحويّك يزعم أنّ جبران فضّل لدى عودته إلى أميركا، إعادة قراءة «هكذا تكلّم زرادشت» لنيتشه بالإنكليزية، بعد أن قرأه بالفرنسية. وهذا برهان على أنّ جبران كان متآلفاً أكثر مع لغة شكسبير.

خلال الحرب العظمى، وبتأثير من ماري هاسكل ، شعر جبران بالحاجة، أو على الأقلّ الرغبة، في التعبير عن نفسه باللغّة الإنكليزية التي تفتح له أبواب التواصل مع جمهور القرّاء الأميركيين. أكبَّ على قراءة أعمال شكسبير وأعاد قراءة الكتاب المقدّس في ترجمة كينغ جيمس. «أرتاد مدرستك ويقيني أنّي ما كنت لأكتب كلمة واحدة بالإنكليزية لو لم أكتب إليك. . . أسرَّ إلى ماري هاسكل. ما زالت معرفتي بالإنكليزية محدودة جدّاً، لكنّي قادر على التعلّم». وشيئاً فشيئاً، راح جبران يتآلف، بفضل إرادته ومثابرته وطول أناته، مع لغة شكسبير من دون التنكّر للغته الأمّ التي كانت لا تزال تملأ كيانه: «ما زلت أفكّر بالعربية»، قال لماري هاسكل. كذلك أكّدت بربارة يونغ التي عملت معاونةً له في أواخر أيّامه أنّه كثيراً ما «كانت اللغة الإنكليزية لا توائم المعنى الدقيق للفكرة التي يودّ أن يعبّر عنها. وكان يقول بهذا الشأن: «هناك ٤٠ مفردة بالعربية للتعبير عن أوجه الحبّ المختلفة». كان الثراء اللغوي للعربيّة التي يجيدها وشغفه بها يحثّانه على إيجاد المفردة الأكثر مواءمة لها بالإنكليزية من دون التخلّي عن بساطة الأسلوب». أحرز جبران تقدّماً سريعاً وانحاز إلى البناء اللغوي المصفّى ناهلاً من إنشاء الكتاب المقدّس: «لغة خليل الإنكليزية هي الأكثر رهافة. إنّها لغة مرهفة

رائعة البساطة»، كما تلاحظ ماري هاسكل في يوميّاتها. ثم تضيف بشيء من المبالغة: يجيد الإنكليزية أكثر من سواه لأنّه مدرك لبنية اللغة و«نظامها الشمسي. إنّه يبتكر اللغة الإنكليزية.» والحقّ أنّ جبران كان يمتلك مخيّلة لامتناهية كما امتلك حسّ الإيقاع: «على الشعراء أن يصغوا لإيقاع البحر، يكتب مؤكّداً. نجد إيقاعاً مماثلاً في «سفر أيوب» وفي نصوص **العهد القديم** الرائعة جميعها... هذه الموسيقى هي التي ينبغي أن تلهمنا، كذلك نغم الريح وحفيف أوراق الشجر». هكذا وعلى الرّغم من مناهلها الكلاسيكية ـ إذ اشتملت على مفردات غير مألوفة الاستعمال من قبيل: *Aught, verily, yea...*، فإنّ لغته الإنكليزية لم تكن جامدة: فموسيقاها «البحريّة» وصورها الإيحائية تسلس قيادها. فيها صفاء المجاز. وفي ما بعد سيقول جبران عن اللغة التي تبنّاها إنّه ليس سوى ضيف في صرحها، وصنيعه إنّما هو تعبير عن احترامه لها، وأنّه لن يجازف يوماً بالتصرّف بمبناها على السجيّة على غرار ما يجيزه أبناؤها لأنفسهم في تعاملهم معها.

كتب جبران بالعربية ليعبّر عن تمرّده ويدعو العرب إلى تحطيم القيود التي تمنعهم من التقدّم على الصعيدين الاجتماعي والأدبي. تبدو نبرته في العربية عنيفة محتدّة أشبه بعاصفة تكسّر الأغصان الميتة وتبدّد كل ما في طريقها. لكن، ما إن بدأ باستخدام الإنكليزية حتى أصبحت نبرته أكثر صفاء واحتلّت الحكمة مكان التمرّد.

لندن

في يونيو/حزيران ١٩١٠، غادر جبران وصديقه الريحاني إلى لندن. هناك لم يفوّت جبران على نفسه فرصة الاستمتاع بمشاهدة لوحات تيرنر في تايت غاليري ولوحات واتس وروسيتي. كذلك زار بصحبة أمين الريحاني المناضل الوطني الإيرلندي توماس باور اوكونر الذي اصطحبهما في زيارة إلى البرلمان البريطاني، وهناك عمد الريحاني وجبران إلى تدبيج رسالة عجيبة إلى يوسف الحويّك تناوبا على تأليف سطورها وجاء في مطلعها:

«نحن في هذه المدينة الملبّدة بالغيوم السوداء، أشبه بطائرين من الجنوب تائهين في قلب عاصفة شمالية...».

◄ راجع أيضاً: أمين الرّيحاني.

لوتي، بيار (١٨٥٠-١٩٢٣) Loti, Pierre

ولد بيار لوتي في روشفور عام ١٨٥٠ وتوفي في هنداي عام ١٩٢٣. في خريف ١٩١٢، حلّ ضيفاً على نيويورك حيث كان مقرّراً أن تعرض مسرحيّته **ابنة السماء** التي ألّفها بالاشتراك مع جوديت غوتييه Judith Gautier. وفي ٢٦ سبتمبر/أيلول التقاه جبران: «لوتي رجل مرهف حسّاس. حساسيّته الفنّية مطعّمة بعلل شرقية مفيدة... عمره اثنان وستّون عاماً. وجهه مكسوّ بالذرور وبمسحوق أحمر وعيناه مرسومتان بالكحل... كم تشعر بالارتياح أمام غربيّ مستشرق مثله!».



الكاتب بيار لوتي

بعد ذلك بشهر واحد، لدى انتهاء عروض المسرحية، التقى الرجلان مجدّداً. بدا لوتي تعباً، «متقزّزاً من صخب أميركا ومن الأميركيين الذين لا يتمتّعون بالقدر الكافي من رهافة الذوق.» وقبل أن يغادر، قطع على نفسه عهداً لجبران بأن يزوره ويقف أمامه في باريس ليرسمه. ثم نصحه: «أنقذ روحك وَعُد إلى الشرق. مكانك ليس في أميركا!».

لوسن، مارييتا Lawson, Mariita

ولدت مارييتا جياكوبي (Giacobbe) عام ١٩٠٣ وكانت مولعة بفنّ التصوير الفوتوغرافي. التقت جبران عام ١٩١٧ وأصبحت صديقته. طلب جبران منها أن تكون موديلاً له فوافقت. كان يدعوها بـ«أميرتي العزيزة» معتبراً نفسه بمنزلة عمّها ويوجّه إليها رسائل مفعمة بالودّ ويشجّعها فيها على أن «تحلم أحلامها وتبارك



مارييتا لوسن

الحياة.» تقول مارييتا في أواخر أيّامها: «نسيت كلّ الفنّانين الذين اتّخذوني موديلاً لهم ولكنّي لم أنس جبران». أصبح اسمها مارييتا لوسن بعد زواجها. زارت قبر جبران في لبنان في السبعينيات. روت تجربتها معه في كتاب غير منشور *Uncle Gebran*. وهناك ثماني عشرة رسالة بعث بها جبران إلى مارييتا ورسالة واحدة إلى والدتها.



ماترلنك، موريس (١٨٦٢-١٩٤٩) Maeterlinck, Maurice

أديب بلجيكي يكتب بالفرنسية وحائز جائزة نوبل للآداب. كان هذا الشاعر الرمزي فيلسوفاً متعاطفاً مع المآسي المحيطة بالمصير الإنساني. تأثَّر جبران به كثيراً، لا سيما **كنز الودعاء** (١٨٩٦). وقال إنّ ماترلنك كان مثله الأعلى في



ماترلنك بعدسة فريد هولاند داي

الفترة بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة من عمره. . . وقد التقط داي عام ١٩٠١ صورة لهذا الكاتب وزيَّن بأحد رسومه الترجمة الإنكليزية لكتاب ماترلنك: *La Sagesse et la destinée* **الحكمة والصبر**.

مار سركيس

◄ راجع: متحف جبران.

مارسيل ـ بيرونو، بيار (١٨٦٩-١٩٣٧) Marcel- Béronneau, Pierre

في مطلع فبراير/شباط ١٩٠٩، اهتدى جبران في باريس إلى أستاذ جديد: بيار مارسيل ـ بيرونو، أحد الرسّامين الزهديين، تلميذ غوستاف مورو، الذي يشرف على مجموعة من اثني عشر تلميذاً يمرّنهم على رسم العري والموديلات



جبران في محترف بيار مارسيل بيرونو في باريس

المتّشحة. يقول جبران عنه إنّه فنّان عظيم ورسّام رائع ذو ميول زهدية. استحصلت وزارة الثقافة الفرنسية على عدد من لوحاته وهو معروف في الوسط الفنّي بوصفه «رسّام سالومه»... ويضيف جبران أنّه قصده ذات يوم حاملاً معه عملين أو ثلاثة من أعماله البسيطة ليطلعه عليها. فعاينها مدقّقاً فيها بعض الوقت وبعد عبارات التشجيع تحدّث مطوّلاً بصفة شخصيّة وقال له: «دع الزمن يأخذ مجراه، لا تحاول أن تصوغ تعبيراً لخواطرك وأفكارك الآن. انتظر ريثما تطّلع على قاموس الرسم كاملاً...». غير أنّ هذه الكلمات لم تلقَ أذناً مصغية: كان جبران نهماً متلهّفاً للمعرفة والخلق، راغباً في إحراق المراحل، لا يكاد يطيق الانتظار. لذلك رأى أنّه أخذ عن أستاذه كل ما في وسع هذا الأخير أن يعطيه، وقرّر التخلّي عن متابعة دروسه.

◄ راجع أيضاً: باريس؛ رسم.



الماسونية

لم يتوانَ الراهب اليسوعيّ لويس شيخو عن وصف جبران بـ«الماسوني». فهل كان جبران ماسونيّاً فعلاً؟ ماذا عن توقيعه المكوَّن من ثلاث نقاط داخل ثلاث دوائر متشابكة أو من دائرة مشتملة على الحرف «ك» (النقاط الثلاث في الماسونية تمثّل، علامة الـ «دلتا»)، وماذا عن «العين الإلٰهية» (ترمز لدى الماسونيين إلى «المهندس الأعظم للكون») التي نصادفها في إحدى لوحاته المعنونة **العالم الرباني**؟ وماذا عن الوسط المحيط بفريد هولاند داي، وخاصّة جماعة الـ «كاميرا كلوب» (نادي الكاميرا)، الذي يضمّ عدداً من الماسونيين وأتباع التيوصوفيا؟ و«الحلقة الذهبية» التي شكّلها على غرار محافل الماسونية؟ وصداقته لأمين الريحاني وميخائيل نعيمة اللذين كانا ماسونيين؟ ألا تشير هذه الدلائل إلى كونه منتمياً إلى الحركة الماسونية؟ يزعم جيرار فيغييه Gérard Figuié في كتابه *Le Point sur la franc-maçonnerie au liban* **الحقيقة حول الماسونية في لبنان**، استناداً إلى مقالة نشرت في جريدة **النهار**، أنّ جبران تعرّف إلى الحركة الماسونيّة



متحف جبران

«العين الإلهية» لجبران المتضمّنة رمزاً ماسونياً (من كتاب «النبي» ـ ١٩٢٣)

في باريس في محفل باريسيّ، وأنّه كان ينتمي إلى الحركة الماسونيّة الأميركيّة، وأنّه كان عضواً في محفل نيويورك. بيد أن هذه الدلائل لا تزال غير ثابتة: كان جبران حريصاً على حريّته الفكرية بحيث أنّه نهل من المناهل كافّة.

مايزن ـ منهايم، مدلين (١٩٠٨-١٩٩٠) Mason-Manheim Madeline

عام ١٩٢٥، أصدرت الشاعرة مدلين مايزن منهايم ديواناً عنوانه *Hill Fragments* عن دار «سيسيل بالمر» في لندن، ودار «برنتانو» في نيويورك، وهو يتضّمن مقدّمة للشاعر آرثر سيمونس Arthur Symons وخمسة رسوم لجبران منها **الصمت، تعويض، الوحدة، أجوبة الحياة**... رحَّبت الصحف والمجلاّت الإنكليزية بالكتاب، باستثناء **النيويورك تايمز** التي انتقدته بشدّة. وفي رسالة غير منشورة وجّهتها الكاتبة إلى السيّد إدوارد بوريل Edward Burrill، جاء الآتي:



مدلين مايزن ـ منهايم بريشة جبران

«عزيزي السيّد بوريل، خليل جبران وأنا نأمل أن نراك على العشاء يوم الأحد في ٢٤ مايو/أيّار (عام ١٩٢٥) الساعة الثامنة مساءً». وهذا يدلّ على علاقة متينة بين الشاعرة وجبران. بعد ذلك بعام، صدرت عن دار Sagittaire في باريس أوّل ترجمة فرنسية لكتاب **النبيّ**، قامت بها مدلين مايزن منهايم.

بعد وفاة جبران، اقترنت مدلين بالفنّان مالكولم ماك كيسون Malcolm McKesson. وتوفيت في ١٣ مارس/آذار ١٩٩٠ بعد ٤٨ سنة من الحياة المشتركة مع زوجها. رسم لها جبران بورتريه من أجمل رسومه. تزعم بعض المصادر أنّها أقامت علاقة غرامية مع جبران. وهذا القول تؤكّده رسائل لم تنشر بعد ويحتفظ بها النحّات خليل جبران في بوسطن (في مقابلة مع مجلة **الحوادث** في ١٢ يناير/كانون الثاني ١٩٧٩).

ماينس، جاكوب فلورنس Minis, Jacob Florance

كان جاكوب فلورنس ماينس رئيس مكتب شركة مهمّة للخطوط الحديديّة. تزوّج ابنة عمّ ماري هاسكل. توفيت زوجته في ١٦ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٢١، وأخذ يتقرَّب من ماري وكان في التاسعة والستّين. اقترح على ماري الزواج، وكانت تخشى على نفسها من وحشة السنوات الأخيرة من عمرها إذا قضتها وحيدة. لم تمانع في الانتقال إلى دارته في سافانا (ولاية جورجيا). ثمَّ تزوّجته رسميّاً في ٧ مايو/أيار ١٩٢٦. كان جاكوب فلورنس ماينس رجلاً غيوراً على نحو مرضيّ وحظّر على ماري لقاء جبران أو مراسلته. لكن ماري ظلّت تراسل جبران سرّاً. توفي جاكوب ماينس في ٣ سبتمبر/أيلول ١٩٣٦.

◄ راجع أيضاً: ماري هاسكل.

متحف

يقع متحف جبران في دير مار سركيس. اشترته مريانا بناءً على طلب جبران. كان هذا الدير في القرن السابع مغارة يسكنها النسّاك. وعند نهاية القرن السابع أورث وجهاء بشرّي غابة السنديان والصومعة إلى رهبان كرمليين يعيشون في وادي قاديشا مع رهبان من دير مار إليشاع. عام ١٨٦٢، بنى الرهبان الكرمليّون في المكان نفسه ديراً جديداً. وقد وصفته الفيكونتيسة دافيو دو بيولان D'Aviau de Piolent التي زارته عام ١٨٨٢ كالآتي: «الدير والمصلّى منحوتان في الصخر تماماً. إنّها مغارة واسعة من طبقتين يسدّها حائط تخترقه نوافذ عدّة. الأخ الكرمليّ ميغيل هو الطبيب الوحيد في المنطقة وهو موضع احترام نظراً إلى تقواه وإكبابه على العمل»[١]. منذ عام ١٩٢٦ خطّط جبران لشراء الدير وملحقاته لكي يجعل منه مكاناً للعزلة ومدفناً له. وفي النهاية، حقّقت مريانا حلم أخيها بعد

---

(١) *Quinze Jours chez les Maronites*, p. 189 - 190, in Jean-Pierre Dahdah, *Khalil Gibran*, Paris, Albin Michel, coll. «Espaces libres», 2004, p. 55.



متحف جبران (دير مار سركيس) في بشري

وفاته. واشترت، من طريق أحد الأقرباء، عسّاف رحمة، الدير والصومعة بـ ١٢٠٠ ليرة ذهبية عثمانية. وهناك أودعت جثمان أخيها جبران.

دُشّن المتحف عام ١٩٧٥ وأعيد تأهيله على نحو عصري عام ١٩٩٥ وعام ٢٠٠٦. تتولّى لجنة جبران الوطنية إدارة المتحف ويمكن السائح زيارة قبر مؤلّف **النبيّ** الموجود فيه ومشاهدة ٤٤٠ لوحة ورسماً، بالإضافة إلى مخطوطات بالإنكليزيّة وبالعربيّة وقطع أثاث من مقتنيات الفنّان استُقدمت من الولايات المتحدة، منها سرير وسجّادة حائط عليها رسم للمسيح علاوة على مكتبة الفنّان.

◄ راجع أيضاً: بشرّي.

مثليّة جنسية

هل كان جبران مثليّاً؟ شغل هذا السؤال العديد من كُتّاب سيرته. ويستند بعضهم في فرضيّتهم إلى عجزه عن إقامة علاقة ثابتة مع النساء، والتأثير الذي

مارسه عليه مثليّ شهير كفريد هولاند داي، وكذلك الشخوص الخنثوية التي تحفل بها لوحات جبران والعبارات التي يتوجّه بها إلى الشاعر المثليّ ويتر باينر: «حبيبي ويتر»، كما كتب له في رسالة تعود إلى ١٦ مايو/أيار ١٩١٨. و«نحبك بجنون» في رسالة مؤرّخة في ٢٦ فبراير/شباط ١٩١٢. من الخطأ الاعتقاد أنّ جبران كان يعاني عقدة ما في علاقته بالنساء (باستثناء علاقته بماري هاسكل). فعلاقته بإميلي ميشيل (ميشلين) أو جرترود باري، كي لا نذكر غيرهما، لم تكن أفلاطونية البتّة. كما أعرب جبران، في العديد من رسائله، عن موقف صارم حيال المثليين الجنسيين. فرضيّة المثليّة الجنسيّة واهية ولا تستند إلى أيّ دليل جازم.

المجنون

منذ ١٩١٢، قرّر جبران الكتابة بالإنكليزية بغية التواصل مع عدد أكبر من جمهور القرّاء. بدأ كتابة **المجنون** ونشر منه نصوصاً في المجلّة الأدبية *The Seven Arts*. ليس موضوع الجنون جديداً لدى جبران. فالمجنون وحده قادر على فضح حماقة البشر وجبنهم وكشف الستر والقناع عن حقيقة المجتمع من دون مساءلة. كانت ذكرى دير قزحيّا في الوادي المقدّس لا تزال مترسّخة في ذهنه، وتلك المغارة التي كان يُقيّد فيها المجانين بالأغلال بغية ردّهم، بحسب الاعتقاد السائد إلى رشدهم. وفي قصّته «يوحنّا المجنون» في **عرائس المروج**، كان يجهر بأنّ «المجنون هو من يجرؤ على قول الحقيقة» وهو الذي ينقض التقاليد البالية والذي يُصلب لأنّه يسعى وراء التغيير. وفي عمَلَيْه المسرحِيَّيْن اللذين نشرا بعد مماته، **الأعمى ولعازر ومحبوبته**، يؤدّي المجنون دور المراقب المستنير الذي يعلّق فلسفيّاً، على القصّة التي تجري أحداثها أمام ناظريه. كان جبران يرى أنّ الجنون هو الخطوة الأولى على درب التحرّر من الأنانية. وبما أنّ غاية الحياة هي أن تقرّبنا من أسرارها، فإنّ الجنون هو الوسيلة الوحيدة لتحقيقها. الجنون مرادف للحرِّية والتحرّر. إنّه الحالة المثلى التي تسمح بالتعبير عن الحقيقة.

عام ١٩١٨، أنهى جبران كتاب **المجنون** المؤلّف من أربعة وثلاثين مثلاً



غلاف «المجنون» بالإنكليزية

وقصيدة. أرسل المخطوطة إلى ناشريْن، فريدريك ستوكس وماكميلان اللذين رفضاه بحجّة أنّ هذا النوع الأدبي ليس رائجاً. وكتب جبران في ١٥ مارس/آذار ١٩١٨ إلى ويتر باينر يقول: «صديقنا مورو (ويقصد دار نشر Frederick Stokes) لا يريد نشر المجموعة الصغيرة ظنّاً منه أنّ هذا الكتاب لن يبيع نسخاً كافية. حوّلت المخطوطة إلى شركة ماكميلان Macmillan Company وأخيراً وافق ألفرد كنوبف على نشره». وفي منتصف أكتوبر/تشرين الأوّل ١٩١٨، صدر **المجنون**، مرفقاً بثلاثة رسوم للمؤلّف ومُهدى إلى «م.أ.هـ.» (ماري إليزابت هاسكل). ولكي يحثّ القرّاء على شراء الكتاب، وزّع الناشر منشوراً أكّد فيه «أنّه ليس مستهجناً أن يرى رودان في هذا الشاعر العربيّ موهبة واعدة. ففي قصصه الرمزية وقصائده المكتوبة بالإنكليزية، يبدو أنّ جبران قد عبّر عمّا حقّقه رودان في كتل الرخام والطين. . . كان رودان يشبّه جبران بوليم بلايك».

يتضمّن **المجنون** عدداً من النصوص المكتوبة أصلاً بالعربيّة، ثم ترجمها إلى

الإنكليزية المؤلّف نفسه بمساعدة وليّة نعمته. ويروي هذا الكتاب قصّة شخصيّة حسّاسة، ولكنّها «مختلفة»، تستهلّ حكايتها بإطلاعنا على الظروف التي أودت بها إلى الجنون. يقول المجنون: «لقد وجدت بجنوني هذا الحرّية والنجاة معاً». يشعر بأنّه من جوهر إلٰهيّ: يقيم صلة باللّه ويخاطبه. ومن خلال توحّده مع اللّه، يرسّخ تماسكه الداخليّ. لكنّه، مع ذلك، لا يغفل عن البشر، فهو لا يريد أن يقطع الصلات التي تجمع بين المرئي وغير المرئي. يراقب العالم بنظرة جديدة، ساخرة، ويهزأ من تعامي العدالة، ومن الحماقة البشريّة، ومن مزاعم النقاش الفلسفي... الأسلوب الذي يطغى على مجمل النصوص متقشّف ـ فاللغة الإنكليزية لغة مثالية للإيجاز ـ واللّهجة تهكّميّة مفعمة بالمرارة. كوّن **المجنون** منعطفاً حاسماً في نتاج جبران، ليس لأنّه كتابه الأوّل بالإنكليزية فحسب، بل لكون العنف والضغينة اللذين وسَمَا كتاباته الأولى استُبدلا بهما التأمّل والسموّ الروحاني. وعلى الرّغم من أنّ الكتاب يولّد لدى القارئ انطباعاً بعدم التجانس، بدليل تضمّنه نصّاً عنوانه «هزيمة» كتبه لمناسبة هزيمة صربيا عام ١٩١٨، إلى جانب نصوص كتبت خصّيصاً ليضمّها الكتاب، امتدحته ناقدة أدبية في تلك الحقبة، اسمها مارغريت ولكنسون، بالعبارات الآتية: «يكتب خليل جبران قصائد وأمثالاً لها موسيقاها الخاصّة، ولها تمايزها، وسحرها الساذج، ولها بناؤها المتوازي القائم على الرمز والتضادّ والتكرار والتوازي...».

أرسل جبران نسخة من الكتاب إلى مي زيادة التي رأت أنّه كتاب كئيب قاس. ولأنّه اعتاد مدائح صديقته، كتب لها رسالة جوابية في ٧ فبراير/شباط ١٩١٩ متأسّفاً على حكمها:

«أنت تقولين إنّ فيه ما يدلّ على «القسوة» بل وعلى «الكهوف المظلمة؟» وأنا للآن لم أسمع مثل هذا الانتقاد مع أنّي قرأت الكثير ممّا نشرته جرائد أميركا وإنكلترا ومجلاّتها في هذا الكتاب الصغير. والغريب أنّ أكثر الأدباء الغربيين استحسنوا القطعتين: «My Mind» (عقلي) و«The Sleep Walkers» («السائرون في نومهم») واستشهدوا بهما أو ذكروهما بصورة خاصّة. أمّا أنت يا صديقتي فقد وجدت فيهما القسوة ـ وماذا ينفع الإنسان إذا ربح استحسان العالم كلّه وخسر

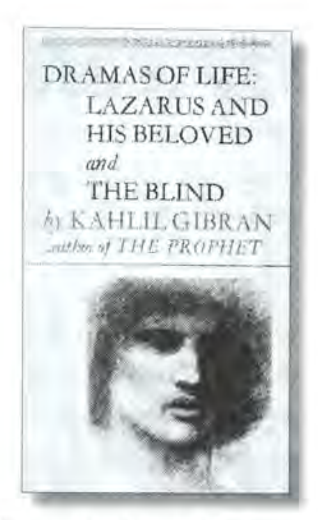
استحسان مي؟ وقد يكون ارتياح هؤلاء الغربيين إلى المجنون وأخيلته ناتجاً عن مللهم أخيلة نفوسهم وعن ميلهم الطبيعي إلى الغريب وغير المألوف خصوصاً إذا كان شرقي المظاهر (. . .) أمّا استحسانك الرسوم الثلاثة في **المجنون** فقد سرّني ودلّني على وجود عين ثالثة بين عينيك».

◄ راجع أيضاً: ألفرد كنوبف.

مسرح

لم يكن جبران كاتباً مسرحيّاً بالمعنى الحصريّ، مع أنّه كتب بضع تمثيليّات من فصل واحد طابعها «فلسفي» منها **إرم ذات العماد، والملك وراعي الأغنام**. شغفه بالمسرح عائد إلى تأثير جوزفين بيبودي، ملهمته الأولى في الولايات المتحدة وصاحبة مسرحيّات عدّة. ولكن أيضاً إلى شارلوت تِلِر وصديقته الفرنسية إميلي ميشيل التي كانت مولعة بالمسرح وتحلم بأن تصبح ممثّلة شهيرة في برودواي. تكشف لنا أرشيفات الناشر ألفرد كنوبف المحفوظة في جامعة تكساس، في Ransom Humanities Research Center أنّه في الأوّل من أكتوبر/تشرين الأوّل ١٩٦٣ أرسل جيرالد ر. كيلي من شركة كيلي وبراmol وفورد Kelly, Bramhall and Ford (بوسطن ماساشوستس)، إلى منشورات كنوبف مخطوطة تتضمّن خمس تمثيليّات من فصل واحد كتبها جبران بالإنكليزية: **الأعمى، لعازر ومحبوبته، الرجل اللامنظور، الجنيّة، المسحة الأخيرة**. أرسل كنوبف المخطوطة إلى إحدى قارئاته اللواتي يثق بهنّ: جوديت جونز، فاقترحت، وقد أثار المضمون حفيظتها، تحويلها إلى «خبير» ليحكم فيها، أي إلى الشاعر ويتر باينر، صديق جبران وكان في سانتافه. وفي ١٨ فبراير/شباط ١٩٦٤، أصدر باينر في رسالة غير معروفة حكمه على المخطوطة وكان حكماً قاسياً لا رحمة فيه. رفض رفضاً قاطعاً فكرة نشر التمثيليات الوارد ذكرها:

«أعيدُ إليك هذه التمثيليّات بعد أن استمعت إليها بقدر كبير من الأسف. يبدو لي أنّ نشرها لن يزيد من تقدير الناس لخليل. ويبدو أنّه كتبها في شبابه وعلى



غلاف الكتاب المتضمّن مسرحيتَي «لعازر» و«الأعمى»

الأرجح أيّام صباه الأوّل. ومع أنّه كان كاتباً ذا موهبة مبكرة، فينبغي أن أقول لك بوضوح إنّ نشر هذه المحاولات الفتيّة لن تسيء إلاّ إلى سمعة الكاتب. ثم إنّها خالية من المقاطع الجيّدة».

كان كنوبف يتأثّر بحكم باينر فسارع إلى ردّ المخطوطة في مارس/آذار ١٩٦٤ رافضاً نشرها. إلاّ أنّ اثنتين منها: **الأعمى ولعازر ومحبوبته** صدرتا في ما بعد لدى ناشرين آخرين بمبادرة من نسيب لجبران هو النحّات خليل جبران.

◄ راجع أيضاً: **الأعمى**؛ ويتر باينر؛ **لعازر ومحبوبته**.

المصطفى

اسم الشخصيّة الرئيسية في **النبيّ**، المصطفى، «المختار الحبيب» وهما صفتان للمسيح نجدهما في الأناجيل (لوقا، الفصل التاسع، الآية ٣٥، متّى،



وجه «المصطفى» (١٩٢٣)

الفصل السابع عشر، الآية ٥؛ مرقس، الفصل التاسع، الآية ٧). لعلَّ المصطفى ظِلّ المسيح ـ خصوصاً أنّ الرسم الذي يزيّن الغلاف في النسخة الأصلية من الكتاب، والتي كان جبران يكنّ لها شعوراً مميّزاً، تذكّر بوجه يسوع.

في **حديقة النبيّ**، وهو تتمّة **النبيّ**، ينعزل المصطفى كالمسيح حين اختلى أربعين يوماً في البريّة بعد قبوله رتبة العماد. كما أنّ تلاميذ المصطفى التسعة يذكّرون بالرسل الإثني عشر. وعزلته النهائية التي امتدّت سبعة أيّام تذكّر بليلة المسيح في جبل الزيتون...

لكن أيكون المصطفى أيضاً رمزاً للنبيّ محمّد لأنّ «المصطفى» هو أحد أسماء النبيّ محمّد؟ ألم يكن جبران يعتبر نفسه «مسيحيّاً أسكن يسوع في شطر من حشاشته ومحمّداً في الشطر الآخر»؟

يرى أمين معلوف في مقدّمته لكتاب **النبيّ** الصادر لدى منشورات *Livre de*

Poche أنّ المصطفى «على صلة أيضاً بزرادشت. ويمكن أنّ نجد له قرابات أوثق، قرابته مع فرنسيس الإسيزيّ ويسوع الأناجيل، قرابته مع نشيد الأناشيد وأيضاً مع نبيّ الإسلام (. . .) ولا ننسَ قرابته مع جبران نفسه، جبران القروي المهاجر الذي غادر أرضاً مشتعلة وممزّقة ليجد نفسه مرتجفاً في نيويورك، أي أورفليس **النبيّ**. وتجدر الإشارة إلى أنّ مي زيادة كانت تطلق أحياناً على جبران اسم «المصطفى».

◄ راجع أيضاً: **النبيّ**.

معبد الفنّ

منذ إقامته في باريس، باشر جبران تنفيذ مشروع طموح هو إنجاز سلسلة من البورتريهات لشخصيّات عصره البارزة. وكانت باكورة تلك السلسلة التي سيطلق عليها اسم **معبد الفن** بورتريه النحّات الأميركي بول بارتليت، مبدع تمثال لافاييت القائم عند مدخل «اللوفر». ثم استكملها ببورتريهات لكل من إدمون روستان، وكلود دوبوسي، وأوغست رودان، وهنري روشفور: لائحة طويلة لمشاهير ذلك الزمان! فهل التقى هؤلاء المشاهير «ثلاثين دقيقة فقط» كما يؤكّد لماري في إحدى رسائله أم أنّه كان يكتفي برسمهم معتمداً على ذاكرته أو على صور فوتوغرافيّة؟ لا يسعنا الجزم بأحد الاحتمالين. حين عاد جبران إلى الولايات المتحدة، انصرف مجدّداً إلى عمله **معبد الفنّ** وأنجز رسوماً لكل من وليَم بتلر ييتس، وتوماس إديسون، وكارل غوستاف يونغ، وعبد البهاء، وألبير بنكهام رايدر الذين قبلوا أن يقفوا قبالته ليرسمهم. وبعد ذلك، أنجز بورتريه للجنرال غاريبالدي، حفيد الثائر الإيطالي الذائع الصيت. وآخر لذات «الحسن الإلهي» سارة برنهارت وأيضاً لبيار لوتي. وقسم كبير من هذه البورتريهات موجود في متحف جبران في بشرّي.

في رسالة إلى أمين الريحاني (٥ أبريل/نيسان ١٩١١) كتب جبران عن هذه المجموعة من الرسوم:

«هل تذكر أيّها الأخ بأنّني أخبرتك عن مجموع رسوم لعظماء الرجال في هذا



لوحة من مجموعة «معبد الفن» لجبران تمثّل الكاتب ادمون روستان (١٩١٠)

العصر. أنا الآن مهتمّ بتصوير كبار الأميركيين للغاية نفسها. فمنذ مدّة صوّرت آليوت رئيس مدرسة هارفورد والآن أريد أن أضيف صورة فرانك سانبرن صديقك القديم في كونكرد ماس، فهل تريد أن تبعث إليَّ برسالة إليه وتعرّفني به وتوصيه بي وتقدّمني له؟ أنا لا أطلب من المستر سانبرن سوى نصف ساعة من وقته وفي أثناء النصف ساعة أستطيع تسليته بالأخبار الشرقية!».

◄ راجع أيضاً: رسم

المعلوف، جميل (١٨٧٩ ـ ١٩٥١)

ولد جميل المعلوف في زحلة. تلقّى دروسه الأولى في مدرسة الكبّوشيين في صليما ثم التحق بمعهد الحكمة في بيروت. في عام ١٨٩٧، هاجر إلى نيويورك حيث أعان عمّه يوسف نعمان معلوف، صاحب جريدة **الأيّام** وكتب في





جميل المعلوف

كوكب أميركا. عام ١٩٠٨، انتقل إلى ساو باولو في البرازيل ومنها إلى باريس فتركيا ثم عاد إلى لبنان حيث لاحقته السلطات العثمانية. لجميل المعلوف مؤلّفات عدّة منها **تركيا الجديدة وحقوق الإنسان، المسألة اللبنانية**... خلال وجوده في نيويورك، التقى جميل المعلوف جبران وأصبحا صديقين. تبادلا رسائل عدّة عثر عليها الشاعر شفيق المعلوف.

مكرزل، سلّوم (١٨٧٩ ـ ١٩٥٢)

صحافي وأديب لبناني. أنشأ عام ١٨٩٨ في نيويورك مع شقيقه نعّوم جريدة **الهدى** التي عنيت بأخبار لبنان والجالية اللبنانية في أميركا وأيضاً بالمقالات والأخبار الأدبية. ساهمت جريدة **الهدى** في تعريف جبران وأمين الريحاني ونسيب عريضة وميخائيل نعيمة وعبد المسيح حدّاد، إلى القرّاء. كان سلّوم



سلّوم مكرزل

مكرزل يسكن على مقربة من جبران وسهر عليه ليلة وفاته في مستشفى سان ـ فنسنت وفي ٢٩ أبريل/نيسان ١٩٣١ ألقى خطبة تأبينية في رثاء الراحل في متحف *Roerich* في نيويورك.

◀ راجع أيضاً: صحافة.

مكرزل، نعوم (١٨٦٣ ـ ١٩٣٢)

صحافي وأديب لبناني. بدأ حياته العملية في حقل التعليم. سافر إلى أميركا وأصدر نشرة أسبوعية في فيلادلفيا اسمها **العصر**. أنشأ عام ١٨٩٨ جريدة **الهدى** التي ساهمت في تعريف جبران وعمل في الأوساط الاغترابية على المطالبة باستقلال لبنان وعلى إطلاق النهضة الأدبية العربية.

ملك البلاد وراعي الأغنام

تمثيلية، هي آخر ما كتب جبران باللغة العربية. كان يفترض بهذه التمثيلية أن تنشر في العدد الممتاز من جريدة **السائح** مطلع عام ١٩٣١، ولكنّ المجلّة توقّفت عن الصدور قبل أشهر قليلة من وفاة جبران. بقي النصّ في حوزة ميخائيل نعيمة فنشره عام ١٩٣٤ في الكتاب الذي كرّسه لسيرة جبران[1].

المواكب

في مايو/أيّار عام ١٩١٩، أصدر جبران في مطبعة **مرآة الغرب** كتابه السادس بالعربية: **المواكب**، مع مقدّمة للناشر نسيب عريضة وثمانية رسوم. الكتاب قصيدة طويلة من مائتين وثلاثة أبيات، منظومة في شكل حوار فلسفي بصوتين: الأوّل يُعبّر عن نفوره من العالم ويسخر من قيم الحضارة المصطنعة، والثاني أكثر تفاؤلاً ينشد، بصفاء سريرة، نشيداً للطبيعة ولوحدة الوجود، مجسّدة بـ «الناي» الأداة المصاحبة لطقوس الصوفية التي «تبوح بأسرار الخالق» وترمز إلى النفس المشتاقة إلى أن تعود إلى النبع الإلٰهي الذي فُصمت عنه. «**المواكب**، يكتب جبران إلى ماري هاسكل مفسّراً، تمثّل أوجه الحياة كما يراها شخص مزدوج مكوّن من «أنا» مدينية ومن «هو» عفوي ساذج كرعاة الشرق الأدنى الفتيان، أيّ الرجل الذي ينشد للحياة بتناغم مع ذاتها من دون تحليل أو شكّ أو نقاش أو تعريف». وعلى غرار **المجنون**، يتخلّى المؤلّف عن أفكاره الملتزمة التي ضمّنها كتبه العربية السابقة: ذلك أنّ كتاب **المواكب** دعوة إلى التأمّل. وتعبيره البسيط، الصادق، العفوي، الخالي من أيّ تقليد قديم من دون أن يدّعي حداثة صريحة (فالقصيدة نظّمت عروضيّاً على أساس بحرين من بحور الشعر العربي التقليديّ)

---

(١) ميخائيل نعيمة، **جبران خليل جبران، حياته، موته، أدبه، فنّه**، بيروت، مؤسّسة نوفل، ١٩٨٥.



المواكب

الخير في الناس مصنوع اذا جبروا
والشر في الناس لا يفنى وإن قبروا
وأكثر الناس آلات تحركها
أصابع الدهر يوماً ثم تنكسر
فلا تقولن هذا عالم علم
ولا تقولن ذاك السيد الوقر
فأفضل الناس قطعان يسير بها
صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر

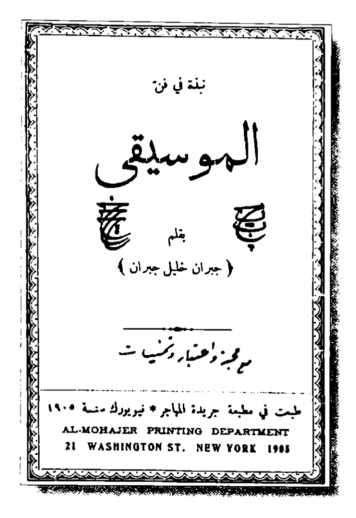
صفحة من كتاب «المواكب» بالعربية

أثار انتقادات «دعاة الصفاء» أمثال العقّاد وعمر فرّوخ. لكن مي زيادة امتدحت الكتاب في جريدة **الهلال**. وفي ١١ يونيو/حزيران ١٩١٩، كتب جبران إلى مي زيادة ممتنّاً: «استحسانك المواكب جعلها عزيزة لديّ...».

مورتن، ألكزندر ومرجوري Alexander and Marjorie Morten

كانَ ألكزندر ومرجوري مورتن زوجين مقرّبين من ماري هاسكل وشارلوت تِلِر. تولّيا رعاية عدد من الرسّامين الأميركيين أمثال آرثر باون دايفيس وألبرت بنكهام رايدر. كانا من دعاة المذهب السلميّ ومن أتباع البهائيّة. ارتبط الزوجان بعلاقة صداقة مع جبران وقدّما إليه الدعم مراراً. اشتريا خلال معرض الفنّان في المونتروس غاليري إحدى لوحاته وعنوانها *Nebula* بـ ١٢٠٠ دولار.

◄ راجع أيضاً: آرثر باون دايفيس.



غلاف كتاب «الموسيقى» لجبران (١٩٠٥)

الموسيقى

كان جبران شديد الحساسيّة تجاه الموسيقى ويذكرها أكثر من ٩٠ مرّة في أعماله الإنكليزية و١١٤ مرّة في أعماله العربية مستعملاً باستمرار طائفة من الكلمات المأخوذة من قاموس الموسيقى: لحن، إيقاع، نشيد، غناء[١]... وكان معجباً جدّاً ببيتهوفن.

عام ١٩٠٥، أصدر جبران عن منشورات **المهاجر** في نيويورك باكورة أعماله وهي بحث مقتضب بالعربية عنوانه **الموسيقى**، يتحدّث فيه بلغة مزوّقة عن الموسيقى بوصفها الحبيبة، منهل الذكريات والمشاعر التي ترتقي بالنفس البشريّة إلى ما وراء العالم المادّي: «بلى، الموسيقى لغة النفوس، والألحان نُسَيْمات

(١) يوسف طنّوس، «جبران والموسيقى»، محاضرة ألقيت في جامعة الروح القدس، الكسليك، أبريل/ نيسان ٢٠٠٦.

لطيفة تهزّ أوتار العواطف. هي أنامل رقيقة تطرق باب المشاعر وتنبّه الذاكرة فتنشر هذه، ما طوته الليالي من حوادث أثّرت فيها بماضٍ عبر». وفي إحدى رسائله إلى مي زيادة مؤرّخة في ٢ يناير/كانون الثاني ١٩١٤، يكتب جبران:

«بكل أسف أقول إنّني لا أحسن العزف على آلة من آلات الطرب، ولكنّي أحبّ الموسيقى محبّتي الحياة ولي ولع خاصّ بدرس قواعدها ومبانيها والتعمّق بتاريخ نشأتها وارتقائها، فإن أبقتني الأيّام سأكتب رسالة طويلة في الدوائر العربية والفارسية وكيفية ظهورها وتدرّجها وتناسخها. ولي ميل للموسيقى الغربية يضارع ميلي للأنغام الشرقية. فلا يمرّ أسبوع إلاّ وأذهب مرّة أو مرّتين إلى الأوبرا...».

غلاف **الموسيقى** يتضمّن بالعربية الأحرف الأولى من اسم جبران والأحرف الأولى من اسم جوزفين بيبودي موضوعة عموديّاً إلى جانبَي العنوان وكأنّهما عمودا هيكل، بالإضافة إلى جملة مكتوبة بالعربية بخطّ جبران: مع محبّة واعتبار وتمنّيات.

ميترا أو الميترا

كان ميترا الهندي وميترا الإيراني وميتراس اليوناني وسطاء بين الآلهة والبشر. الميترا في **النبيّ** امرأة وسيطة بين المصطفى وأهل أورفليس.

◄ راجع أيضاً **النبيّ**.

ميشيل، إميلي (١٨٨٠ ـ ١٩٣١) Michel, Emilie

مُدرِّسة فرنسية في مدرسة «هاسكل سكول.» أطلقت عليها ماري هاسكل اسم «ميشلين» لرنّته وانسجامه مع جاذبية مظهرها. التقاها جبران لدى وليّة نعمته على عشاء. كانت المرأة الشابّة تستمتع برفقة جبران فتقرأ له القصائد الفرنسيّة ولا تمانع أن تتوضّع قبالته عارية ليرسمها. (أنجز جبران للمرأة الشابّة بورتريات عدّة) ولم يمضِ وقت طويل حتى نشأت إلفة بينهما إذ حرصت هي على مراعاة حساسيّته («هذا الفتى شديد الحساسية»)، في ما تعلّم هو كيف يتقبّل ملاحظاتها بشيء من



إميلي ميشيل (ميشلين) بريشة جبران

الدعابة. إلى الأمور الأخرى التي جمعت بينهما كمنفاهما المشترك وتطلّعاتهما التي لم تتحقّق بعد وشغفهما المشترك بفرنسا... أغرم أحدهما بالآخر أمام عينَي ماري هاسكل التي، للمفارقة، رحّبت بتلك العلاقة وشجّعتها: «كل التمنيات ل خ + م»، كتبت بكثير من الرضى في يوميّاتها الحميمة. لم يكن في هذا الحبّ ما يجعله حبّاً أفلاطونيّاً عفيفاً، فقد أوحى لجبران بنصّ كتبه تحت عنوان «أوّل قبلة» غير أنّ خطباً طرأ وضع العلاقة على المحكّ: تقول بعض المصادر[1] إنّ ميشلين حملت من جبران وأنّ الحمل حصل خارج الرحم فأجهضت مبقية هذا السرّ الأليم طيّ الكتمان، وكان له الأثر الكبير في علاقات جبران اللاحقة... قرّرت ميشلين الذهاب إلى أهلها الذين كانوا يقيمون في نيفير والتقت جبران في باريس. ثمّ

(١) كتاب روبن واترفيلد، مرجع سابق، (خليل جبران، نبيّ عصره) ص. ١٣٥ الذي يستند إلى معلومة تضمّنتها الطبعة العربية الأولى من سيرة جبران بقلم ميخائيل نعيمة.

غادرت مجدّداً إلى برودواي على أمل أن تحقّق حلمها وتصبح ممثّلة. لكنّ الحظّ خانها فعادت إلى حيث كانت بعد أن أدَّت دوراً ثانويّاً في مسرحية *Little town of Bethlehem*، عرضت ما بين ١٧ يناير/كانون الثاني و٢٦ أبريل/نيسان ١٩١٠ في «الغاردن ثياتر» في نيويورك. حاول جبران التخفيف عنها: «الحقيقة أنّها عانت الكثير، غير أنّها امرأة شجاعة استطاعت أن تواجه الخيبة بأعصاب باردة. ما زالت تراودها أحلام المسرح والشهرة، غير أنّها تدرك اليوم جيّداً الجانب الخفيّ من خشبة المسرح وآمل أن تتغلّب على كل هذا». بمرور الوقت، شهدت علاقتهما الفتور. لم يصمد غرامهما إلاّ بضعة أشهر هي المدّة الكافية لاستثارة الوحي لدى جبران الذي كرّس لها عدداً من اللوحات وكتب عنها: «ستبقى على الدوام فريدة في عينَيّ، ستبقى على الدوام جميلة». وفي الأوّل من أكتوبر/تشرين الأوّل ١٩١٤، انتهى الأمر بالفتاة الفرنسية بأن تقترن بمحام اسمه لامار هاردي (١٨٧٩ ـ ١٩٥٠) وكان مستشاراً لدى عمدة نيويورك جون ميتشيل. وفي سبتمبر/أيلول ١٩٣١، بعد خمسة أشهر على وفاة جبران، توفّيت ميشلين بمرض أقعدها عن الحركة مودياً بأوهامها الضائعة وأحلامها المحطّمة.

◄ راجع أيضاً: نساء.



ناي

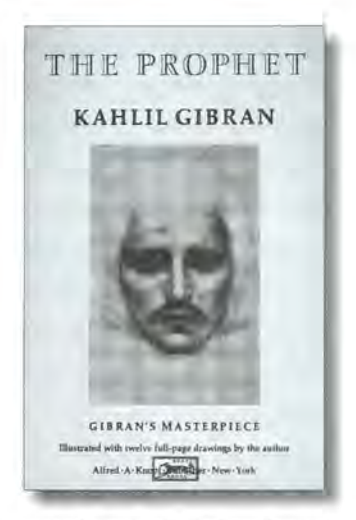
الناي هو الأداة الموسيقية التي ترافق طقوس الصوفيين «وتبوح بأسرار العليّ القدير المحتجبة». يرمز هذا المزمار من القصب إلى النفس التي تتوق للعودة إلى المصدر الإلٰهيّ الذي انفصلت عنه. إحدى قصائد جبران في ديوانه **المواكب** تذكر الناي:

«أعطني الناي وغنّ فالغنا سرّ الخلودْ
وأنينُ الناي يبقى بعد أن يفنى الوجودْ»

◀ راجع أيضاً: الصوفية؛ **الموسيقى**.

النبيّ

بقي كتاب **النبيّ** مكنوناً يختمر في نفس جبران ووجدانه عشرين عاماً. منذ صباه الأوّل شرع يدوّن مسوّدته الأولى. غير أنّ أمّه نصحته آنذاك بأن يدعه جانباً ريثما يختمر موضوعه في ذهنه لأنّ الشروع في هذا العمل يتطلّب نضجاً لم يتوافر لديه بعدُ. في تلك الأثناء حاول جبران اختيار عنوان للكتاب من بين أربعة عناوين كانت تدور في ذهنه؛ وحتّى عام ١٩١٨، لم يقع اختياره على أيّ منها. كتب جبران في رسالة إلى مي زيادة مؤرّخة في ٩ نوفمبر/تشرين الثاني: «أمّا **النبيّ** فكتاب فكّرت به منذ ألف سنة ولكنّني لم أكتب فصلاً من فصوله حتى أواخر السنة الغابرة». أولى هذا العمل غير المنجز اهتماماً لافتاً. إذ رأى أنّ هذا الكتاب



غلاف «النبي» كما صدر عن دار كنوبف

هو «ولادته الثانية» و«معموديّته الأولى». كما كتب ذات يوم إلى ماري هاسكل: «إنّ النبيّ هو التحدّي الأكبر في حياتي. عشت هذه السنوات الستّ والثلاثين الغابرة لكي يبصر كتابي النور...». وفي رسالة أخرى «في الوقت الحاضر، كلّ كياني منصبّ على كتاب النبيّ. وسيظلّ هاجسي الوحيد حتى الفراغ من نشره. كلّ ما فعلته في السابق بات الآن ورائي، لم يكن في الحقيقة سوى مرحلة تعلّم...». بين عامَي ١٩١٩ و١٩٢٣، كرّس جبران معظم أوقاته لإنجاز هذا العمل الذي كان يصفه بالجوهريّ. والتقى هاسكل مراراً في بوسطن ونيويورك وكامبردج لكي يدقّقا معاً في صياغة النصّ وإجراء التصويبات التي تقترحها عليه: بدت ماري واثقة بحكمها الإيجابي على النصّ، الأمر الذي أشعر جبران بارتياح كبير. عام ١٩٢٣، ارتأى جبران أنّ النصّ بات جاهزاً للنشر فسلّم المخطوطة إلى ناشره، ألفريد كنوبف الذي كان ينتظره. ثمّ صدر الكتاب في سبتمبر/ أيلول ١٩٢٣.

النبيّ أشبه بكتاب مقدّس. أسلوبه وبناؤه ونبرته أقرب إلى «الكتاب المقدّس» والأناجيل على نحو خاص: عمل غنيّ بالصور الموحية، بالأمثال، ونصّه بناء من الجمل أشبه بالآيات التي تتردّد في مطالعها عبارات بعينها: «الحقّ الحقّ أقول لكم. . .» «أمّا أنا فأقول لكم». . . بالإضافة إلى استهلال الجمل بحرفي العطف والوصل «و» و«لأنّ» أو «ذلك أن» (فالأداة المستخدمة بالإنكليزية هي «for» التي تستخدم عادة استهلالاً للعبارة وتضفي على النصّ قدراً أكبر من الرصانة)، وتوسّل المعجم الوارد في الكتاب المقدّس (الزوجة الخائنة، الآثم. . .)، واللجوء إلى صياغات استفهامية يستفاد منها الإيجاب والتوكيد («أليس توبيخ الضمير هو نفسه العدالة التي تتوخّاها الشريعة التي تتظاهرون بخدمتها؟»). . . مثل هذا ليس طارئاً على الإنشاء الجبراني. فكتابات جبران بين ١٩٠٥ و١٩٠٨ كانت زاخرة بالتلميحات التوراتية والعبارات المقتبسة من سفر المزامير ونشيد الأناشيد وسفرَي الجامعة وأيّوب، تماماً كما يحفل النثر الشعريّ لصديقه أمين الرّيحاني بقرابة مع الأسلوب القرآنيّ. كذلك تظهر في **الأرواح المتمرّدة** إحالات صريحة إلى **العهد الجديد**. وأيضاً في **السابق** كصورة الخبز والنبيذ على سبيل المثال أو عبارات: «كما في السماء كذلك على الأرض» و«الحقّ الحقّ أقول لكم!».

كان مأخذ بعضهم على **النبيّ** أنّه كتاب سطحيّ، تبسيطيّ، مفعم بالمشاعر المتكلّفة، وزاخر بالمعاني المبتذلة الشائعة. غير أنّ هذا المأخذ لا يستقيم، ممّا يفسّر ما حقّقه الكتاب من نجاح منقطع النظير. أسلوب **النبيّ** سلس، عذب. من خلاله يبلغنا جبران، بمنتهى الشاعرية، رسالة روحيّة تدعو إلى تفتّح أكبر وإلى «تعطّش أعمق للحياة». في الطبعة الأصلية ـ الإنكليزية ـ يُفتتن القارئ بالإيقاع الذي ينظّم الآيات الجبرانية، والذي تعجز الترجمات عن الوفاء به مهما توخّت الدقّة والبراعة.

في **النبيّ**، قد يرى القارئ أنّ معنى المجاز والأمثال والرموز خفيّ لكنّه ليس مبهماً في أيّة حال: ينقّب القارئ عن «اللبّ الجوهريّ» ويتمثّله كما يحلو له. لا يتعمّد جبران، على الرّغم من النبرة الواعظة التي وُضعت على لسان المصطفى، أن يثبت حقائق مجرّدة: إذ ينبغي أن يترك للقارئ «احتمال أن تكون كلمته هو هي

الكلمة الفصل في ما يقرأ»، كتب جبران في إحدى رسائله إلى ماري هاسكل. «أنا أفضّل الحقيقة الخفيّة على الحقيقة الظاهرة»، كتب في إحدى رسائله إلى مي زيادة. وبهذا المعنى تنبّه الشخصية الرئيسية في كتاب **النبيّ** جمهرة المريدين إلى الحقيقة الآتية:

«وإن جاءت كلماتي هذه غامضة على أفهامكم فلا تسعوا وراء إيضاحها. فإنَّ الغموض والسديم هما بداءة كل شيء لا نهايته. وإنّني بملء الرغبة أودّ أن تتذكّروني كبداءة».

للراغب في قراءة جبران قراءة صحيحة أن يمتلك ما يسمّيه هو «العين الثالثة» أو الأحرى «عين العين»، عين القلب التي تتيح سبر الغموض، والتي هي «رؤية ورؤيا وفهم متميّز للأشياء الأعمق من الأعماق والأسمى من أيّ علوّ شاهق».

قصّة **النبيّ** بسيطة: قبل أن يعود المصطفى إلى الجزيرة التي وُلد فيها، يخاطب رجال بلاده ونساءها (الأحبّة الأب، الأمّ، الكهنة، القضاة، التجّار، . . .) مجيباً عن الأسئلة التي يطرحونها عليه، وخصوصاً أسئلة الرائية الميترا، التي استوحى جبران شخصيّتها على الأرجح من الإله الفارسي ميترا، رمز الضوء، الوسيط بين الإله الأسمى والبشر، شارحاً لهم عِبَر حياة وكأنّها وصايا أو نصائح مشبّعة بحكمة عميقة.

عام ١٩٣١، وصف جبران **النبيّ** بقوله إنّ إنجاز هذا الكتاب الصغير استغرق فترة حياته كاملة، وأنه حرص على أن تكون كل كلمة فيه أفضل ما يستطيع أن يقدّمه إلى القارئ. ولم تذهب جهود جبران عبثاً: فبعد خمسة وسبعين عاماً على وفاته، ما زال ملايين القرّاء يقبلون، سنويّاً، على قراءة **النبيّ**. فما سرّ هذا الكتاب؟ إنّه يقدّم أجوبة مقنعة لأناس يبحثون عن تجربة روحية ولا يهتدون إليها ـ أو لا يعرفون كيف يهتدون إليها ـ سواء في المجتمع العصريّ الذي أفسدته النزعات المادّية والسطحيّة والقلق، أو في الأديان التي استحالت هياكل مؤسّسية. استطاع جبران أن يودِع حكمة الأديان جميعها كتيِّباً ذا رسالة كونية جامعة. لم يكن منتمياً إلى مدرسة بعينها. كان يمقت «العقائد الجامدة». كانت العقيدة الوحيدة التي تستحقّ الدفاع عنها في نظره، هي عقيدة الحياة.

نجاح **النبيّ** ظاهرة. بيع من الكتاب ألف وخمسمائة نسخة في الشهر الأوّل لصدوره. وفي رسالة غير معروفة وجّهتها بلانش كنوبف إلى جبران في ١٣ سبتمبر/أيلول ١٩٢٦، أعلمته أنّ **النبيّ** «يلقى نجاحاً كبيراً»، واقترحت عليه أن يشارك في معارض أدبية وقراءات عامة للتقرّب من أصحاب المكتبات ومن جمهور القرّاء. وفي ٢٩ يناير/كانون الثاني من السنة نفسها، يكتب ألفرد كنوبف إلى جبران ليعلمه أنّ **النبيّ** «يحقّق رواجاً حسناً»، «فمبيعات العام الفائت تخطّت الخمسة آلاف نسخة ونحن نخطّط لمزيد من الإعلانات عن الكتاب مخصّصة لباعة الكتب عوضاً من عامّة الناس، لأنّ هذه الآليّة حقّقت نجاحاً خلال العام الفائت. ذلك أنّ كمّية المبيعات هي أبلغ تعبير لباعة الكتب من أيّة حجّة أخرى قد نستخدمها».

وفي ٢٢ فبراير/شباط ١٩٢٦، كتب جبران إلى مترجمه أنطونيوس بشير ليعلمه أنّ **النبيّ** بات في طبعته العاشرة وأنّه تُرجم إلى إحدى عشرة لغة أوروبية من بينها الفرنسية (أنجزتها مدلين مايزن ـ مانهايم) والألمانية والنروجية وأيضاً إلى اليابانية والهندية (والبقية تأتي). ويسرّ له مع بعض المبالغة أنّ شخصيات عديدة في العالم أعجبت به أمثال توماس وودرو ويلسون Thomas Woodrow Wilson الذي قال له: «أنت أوّل عاصفة شرقيّة اجتاحت هذه البلاد!»، وأنّ غاندي وكثيرين استحسنوا كتابه... وفي الإجمال، بيع من الكتاب تسعة ملايين نسخة منذ صدوره وتُرجم إلى أربعين لغة وخمس عشرة مرّة إلى الفرنسية.

◄ راجع أيضاً أورفليس؛ ألفرد كنوبف؛ بلانش كنوبف؛ المصطفى؛ الميترا.

نساء

دافع جبران بلا هوادة عن حقوق المرأة في الشرق: «أزوجٌ يستبيح لنفسه ما يحرّمه على زوجته، يسرح ويمرح وفي حزامه مفتاح سجنها ويلتهم ما يشتهيه حتى التخمة وهي جالسة في وحدتها أمام صحفة فارغة؟ أم رفيق لا يسير إلى أمر إلاّ ويده بيد رفيقته ولا يفعل أمراً إلاّ ولها فيه فكرة ورأي ولا يفوز بأمر إلاّ لتساهمه أفراحه وأمجاده؟



المرأة في لوحة لجبران (١٩١١)

إن كنت الأوّل فأنت ممّن بقي حيّاً من قبائل انقرضت وهي تسكن الكهوف وتلبس الجلود. وإن كنت الثاني فأنت في طليعة أمّة تسير مع الفجر نحو ظهيرة العدالة والحصافة» *(The New Frontier)*. وفي **الأجنحة المتكسّرة**، ينتفض ضدّ الزواج بالإكراه الذي يسلب النساء حرّيتهن.

على الصعيد العاطفي، اتّصفت علاقات جبران مع النساء بالالتباس دوماً. أوّلاً والدته كاملة التي يعبدها وكان لها أثر بالغ فيه. وفي سنيّ المراهقة، أغرم جبران بحلا الضاهر ثمّ بسلطانة تابت، لكن بدون أمل، فشقيق حلا يريد إبعاده وسلطانة توفيت في عمر مبكر. وفي بوسطن، فُتن جبران بشاعرة شابّة وجميلة اسمها جوزفين بيبودي، ولكن بقي هذا الحبّ من طرف واحد واقترنت «بوزي» بأستاذ في جامعة هارفرد اسمه ليونيل ماركس. ثم دخلت حياته ماري هاسكل، فغمرته برعايتها وأرسلته ليحسّن تقنيّاته في باريس ثم عرّفته على الأوساط الفنّية في بوسطن ونيويورك كما نقّحت نصوصه المكتوبة بالإنكليزية. فوهبها لوحاته وقدّم

إليها كتبه وعرض عليها أن يتزوّجها. تشهد رسائل جبران وماري هاسكل على الشغف الذي جمعهما على الرّغم من تحفّظاتهما عن إقامة علاقة جنسية ناضجة بينهما. إلى جانب هذه العلاقة، عرف جبران مغامرات عاطفيّة أخرى اتّصفت بقدر من الجديّة: الفرنسية إميلي ميشيل (الملقّبة بميشلين)، وشارلوت تِلِر وجرترود ستيرن وجرترود باري وهيلانة غسطين وماري الخوري وماري قهوجي... وغيرهنّ الكثيرات. لم يكن جبران، خلافاً لما يشاع عنه، يعاني أيّة عقدة نفسية مع النساء حتى لو لم يتزوّج. وحياته الجنسية أكثر نشاطاً ونضجاً ممّا يعتقده بعض كُتَّاب سيرته. أمّا عجزه عن القيام بالخطوة الحاسمة تجاه ماري هاسكل فمردّه إلى مواربات هذه الأخيرة. أمّا بالنسبة إلى تعلّقه بالنساء الأكبر سنّاً منه، فقد مال محلّلون نفسيّون إلى تفسير موقف جبران بأنّه مظهر من مظاهر عقدة أوديب معتبرين أنّ جبران كان يبحث عن وجه أمّه في وجه كل امرأة بحيث أنّ كلّ علاقة غرامية كوّنت بالنسبة إليه مصدراً لنزاع داخلي. من جهة، هناك نداء الرغبة، ومن جهة أخرى المحرّم المتمثّل بتدنيس هيكل الأمّ المقدّس. لماذا أحجم عن الزواج؟ ربّما لأنّه كان ضنيناً بحرّيته أو ربّما لأنّه ظلّ تحت تأثير الحادثة التي تعرّضت لها ميشلين (تؤكّد ماري هاسكل أنّه كان يخشى العواقب الوخيمة التي قد تنجم عن علاقة جنسية). ولأنَّ بوزي سبّبَت له خيبة ومثلها ماري («فليساعدني اللّه على النساء اللطيفات المغنّجات الشاكيات المشكّكات!» كتب إلى هيلانة غسطين). اختار جبران عدم الارتباط لكي يريح ضميره أيضاً! «لو كانت لي زوجة وانصرفت إلى الرسم أو نظم القصائد، فقد أنسى وجودها لأيّام. ما من امرأة مُحبّة ترضى بزوج مماثل لوقت طويل؟ لا بل أكثر: مع إقراره بأنّ الكائن الأقدر جنسيّاً هو المبدع، فهو يزعم أنّه يحوّل كل طاقته الجنسية ويصبّها في إنتاجه الفنّي: «أعتقد أنّ فيَّ ولا شك شيئاً حيوياً جدّاً أيضاً، لكنّي أعتقد أنّ جزءاً كبيراً من قوّتي الجنسية يتحوّل وينصبّ في نتاجي...».

◄ راجع أيضاً: جرترود باري، جوزفين بيبودي، شارلوت تِلِر، ماري الخوري، جرترود ستيرن، هيلانة غسطين، ماري قهوجي، اميلي ميشيل، ماري هاسكل.

نعيمة، ميخائيل (١٨٨٩-١٩٨٨)

وُلد مخائيل نعيمة في بسكنتا عام ١٨٨٩. سافر أبوه يوسف بعد سنة من مولده إلى كاليفورنيا تاركاً لوالدته مهمّة تنشئة أطفالها الثلاثة. دخل نعيمة في العاشرة إلى المدرسة المجانيّة التي أقامها الروس لرعيّتهم في بسكنتا. وتقديراً لتفوّقه في سلوكه ودروسه، أرسلته المدرسة عام ١٩٠٢ إلى الناصرة ليكمل دروسه في دار المعلّمين الروسية حيث أمضى أربع سنوات، حتى ١٩٠٦. نظراً إلى نجاحه الباهر، قرّرت إدارة المعهد إرساله إلى بولتافا في روسيا على حساب الجمعية الإمبراطورية الروسيّة في فلسطين. في روسيا وجد عالماً جديداً مع ما تمخّض به العقد الأوّل من القرن من صراع بين القيصر والتيّارات الجديدة الناشئة، فكان لذلك الأثر الكبير في تكوين فكره. سمح له إتقانه الروسيّة الإمعان في المطالعة والقراءة حتى أصاب بصره ضعف وتهديد بالعمى. في ربيع ١٩١١ عاد نعيمة إلى لبنان ممتلئاً بتأثيرات الذين قرأهم وخصوصاً دوستويفسكي. ومن لبنان غادر مع أخيه إلى أميركا فبدأ يدرس الآداب والحقوق في جامعة سياتل عام ١٩١٢. وتخرّج عام ١٩١٦ حاملاً شهادتين في الآداب والحقوق.

وبتمكنّه من الإنكليزية انفتح له عالم جديد فتمعّن في الاتجاهات والفلسفات الروحانية باحثاً في الماسونية عن أجوبة لأسئلة لكنّها لم تروِ غليله فاستقرّ أخيراً في الجمعية التيوصوفية بواسطة صديق اسكتلندي.

عام ١٩١٦ التقى نعيمة جبران في نيويورك في مكاتب مجلّة «**الفنون**»، وأصبحا صديقين. بالإضافة إلى الجذور المتشابهة التي ينتميان إليها، كانت نقاط مشتركة كثيرة بين الرجلين: كلاهما نشر نصوصاً في الفنون، وكلاهما كان يؤمن بالتناسخ ووحدانية الوجود وألوهية الإنسان (لكي تصف القرابة بين الأديبين، تقول عفيفة غيث إنّهما «مسيحيّان كونيّان مع ولاء لنظرية التقمّص»)[١]، وكلاهما كان

(١) Afifa Ghaith, *La Pensée religieuse chez Gibran et Naïmeh*, Louvain, Peeters Press, 1990.



ميخائيل نعيمة بريشة جبران

يناضل في سبيل تحرير بلاده (في إطار لجنة المتطوّعين حيث تولّى جبران فيها أمانة المراسلات الإنكليزية ونعيمة أمانة المراسلات العربية). أثناء الحرب العظمى، التحق نعيمة بقوّات الإنزال الأميركية على الجبهة الفرنسية ثم وجد نفسه ملحقاً بالوحدات المقاتلة في بوردو قبل انتقاله إلى منطقة أرغون. اغتنم نعيمة فرصة وجوده في فرنسا ليدرس الأدب الفرنسي في جامعة رين Rennes. حين عاد إلى نيويورك في يوليو/تمّوز ١٩١٩، التقى جبران وتبادلا الأفكار وتنزّها برفقة صديقَيْهما نسيب عريضة وعبد المسيح حدّاد في جبال كاهونزي.

كان نعيمة عضواً نشطاً في «الرابطة القلمية» وكان يتولّى تحرير محاضر اجتماعاتها. وعند وفاة جبران، رافق جثمان صديقه من نيويورك إلى بوسطن. عاد إلى لبنان في ٩ مايو/أيّار ١٩٣٢ ومات معمّراً على مشارف المئة. أصدر عدداً كبيراً من الأعمال التي باتت من كلاسيكيّات الأدب العربي منها: (**الغربال**، ١٩٢٣)؛ (**كان ما كان**، ١٩٣٧)؛ (**مرداد**، بالإنكليزيّة عام ١٩٤٨ ثمّ ترجمه إلى

العربيّة عام ١٩٥٢)؛ (**سبعون**، ١٩٥٩، ١٩٦٠)؛ (**من وحي المسيح**، ١٩٧٤) ومنها أيضاً كتاب مذكّرات عن جبران[١]: **جبران خليل جبران. حياته. موته أدبه. فنّه، ١٩٣٤**، حيث يغالي في إظهار جبران في وضعه الإنساني مجرّداً من أيّ هالة إلى درجة أنّ بعض الأدباء والدارسين أخذ على نعيمة صراحته المفرطة. أمين الرّيحاني وجّه كتاباً مفتوحاً إلى نعيمة عبر إحدى الصحف يأخذ فيه عليه أنانيّته وادّعاءه في كتابته سيرة «صديقه وحبيبه» جبران: «إنّ في كتابك يا أخي ما يؤلم حتى الذين ينظرون إلى آثار جبران نظرتك الأدبية السديدة الجامعة بين الجميلين: الإعجاب والإنصاف. فهلاّ خشيت أن تقع في ما تعيب به جبران، وأنت تحاسبه في الصغيرة والكبيرة، الظاهرة والخفيّة من أعماله الشخصية والأدبية والفنيّة؟ «ومن قال لك ما «قال جبران في قلبه». أجبران نفسه الذي تصفه أنت، ونعرفه نحن، حريصاً على ما بقلبه، شديد التكتّم والتستّر؟ فإذا كان «في أعماق أعماقه أمنية لا يجرؤ أن يبوح بها حتى إلى نفسه» كما تقول، فكيف يبوح بها إليك أو إليّ سواك؟ وإذا لم يكن باح بها إلى أحد من الناس، فمن أين جاءك العلم إن لم تكن أصبحت صنواً للعالم بذات الصدور، سبحانه وتعالى؟»

يزعم نعيمة أنّ جبران قال له: «أنا نبأ كاذب.» لا عجب في ذلك ففي أحد الأمثال التي عنونها جبران «النبيّ الناسك»، (**التائه**)، يروي حكاية نبيّ يدعو إلى بذل العون والمشاركة في حمل الأعباء. ذات يوم يقصده ثلاثة رجال في «صومعته» ويطلبون منه أن يوزّع ممتلكاته. لكنّ النبيّ لا يملك شيئاً. عندئذٍ، ينظر إليه الرجال الثلاثة بازدراء ويخاطبونه قائلين: «أوه! أنت تغشّ! أنت تخادع! إنّك لتعلم وتعظ أشياء لم تبدأ بتحقيقها في نفسك!». كان جبران مسكوناً برغبة أن يكون على مستوى الصورة الموجودة في أدبه، أو التي يكوّنها الآخرون عنه، فحاول في هذا المثل تعزيم هاجسه. لكن مهما فعل يبقى النبيّ، لكونه نبيّاً، موضع شكّ، ويبقى موضع شبهة لكونه مخادعاً. والحقيقة أنّ جبران لم يزعم يوماً أنّه مثال للفضيلة إذ تظهر أعماله بأنّه مدرك لمكامن الضعف فيه (وفي نصّ له

(١) ميخائيل نعيمة، مرجع سابق، ١٩٨٥.

تحت عنوان «محبّة»، يتحدّث عن «الأنا الضعيفة»)، وبأنّه لا يضع نفسه في مكانة تفوق مكانة الآخرين: ألا يتعامل المصطفى، على غرار السابق، مع مريديه وأتباعه وكأنّهم إخوة له؟

عاد ميخائيل نعيمة إلى لبنان عام ١٩٣٢، وانعزل إلى خلوته في الشخروب، (منطقة في سفح جبل صنّين في بسكنتا) منصرفاً إلى التأليف والتأمّل، فسمّي «ناسك الشخروب»، حتّى وفاته في فبراير/شباط ١٩٨٨.

◄ راجع أيضاً: **الرابطة القلمية**.

نيتشه، فريدريك (١٨٤٤-١٩٠٠) Nietzsche, Friedrich

أشار كثيرون إلى قرابة بين **النبيّ** و**هكذا تكلّم زرادشت** لنيتشه. جبران قرأ قبل تأليفه **النبيّ** عمل الفيلسوف الألماني الكبير الذي كثيراً ما أبدى إعجابه به. يؤكّد صديقه يوسف الحويّك أنّه أهدى إلى جبران، خلال إقامتهما في باريس (١٩٠٨ ـ ١٩١٠) الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب: «لكن، بما أنّ جبران لا يمتلك اللغة الفرنسية كما يجب، أعاد قراءة الكتاب بالإنكليزية لدى عودته إلى الولايات المتحدة». ففي ١١ مايو/أيّار ١٩١١، كتب في إحدى رسائله إلى ماري هاسكل: «أنا مسرور لأنّك تقرئين **زرادشت** وكم أحتاج أن أقرأه معك بالإنكليزية». وفي ٣٠ أغسطس/آب ١٩١٣، كتب في رسالة أخرى: «نهل نيتشه عباراته من روحي. قطف ثمار الشجرة التي كنت أقصدها...». وعلى غرار نيتشه اختار جبران أن يكون الناطق بلسانه حكيماً يتطرّق في مخاطبته الناس إلى مسائل مختلفة يوليها المؤلّف اهتماماً خاصّاً. في كتاب نيتشه، تستبدّ بزرادشت، بعد عشر سنوات من الاستعداد في عزلة الجبل، الرغبة في أن يجود بعسل حكمته على البشر، ويهبط قاصداً مدينته. وفي كتاب جبران يظلّ المصطفى اثنتي عشرة سنة مترقّباً عودة السفينة التي ستعود به إلى مسقط رأسه، ثم يهبط عن التلّة ليخاطب، قبل رحيله، رجال بلاده ونساءها. قد تبدو الموضوعات التي يتطرّق إليها **النبيّان** متشابهة أحياناً: الزواج، الأبناء، الصداقة، العطاء، الحرّية، الجريمة، الموت،... كما



متحف جبران

جبران وماري هاسكل يقرآن «نيتشه» (بريشة جبران)

قد تتردّد في العملين بعض الصور كالقوس والسهم والتائه والراقص والأيل. غير أنّ أوجه التقارب لا تتعدّى هذا الحدّ: ففيما تبدو الكتابة النيتشوية، بحسب بعض النقّاد، مثقلة بنزوع رمزيّ طاغ وميل إلى فخامة الفصاحة، يبدو نبيّ جبران هوائيّاً، صافياً، مفرطاً في بساطته، مفعماً بنَفَس شرقي لا ينضب. جبران نفسه كان يقول إنّ نيتشه يمتلك حسّاً تحليليّاً. والحسّ التحليلي يفرط عادة في الكلام. أمّا على مستوى الأفكار، فيبدو الاختلاف هو الغالب لا الشبه: فبينما يعلن نيتشه موت اللّه («مات جميع الآلهة، وما نصبو إليه في الوقت الحاضر هو أن يحيا الإنسان المتفوّق»[١])، يرجع جبران كل شيء إلى اللّه. وفيما يجعل نيتشه من المسيح هزأة، يحتفل جبران بعظمة الشخص. («استطاع جبران أن يصالح إعجابه بنيتشه وحبّه ليسوع جاعلاً من يسوع الإنسان الخارق الذي ينادي به نيتشه»[٢]).

(١) عبارة اختتمت الكتاب الأوّل من «هكذا تكلم زرادشت».

(٢) ميخائيل نعيمة، مرجع سابق، ١٩٨٥.

وفي حين يدعو نيتشه إلى تحوّل في القيم قاطبةً كيما ينوب الإنسان الخارق عن البشرية المنحطّة، يختار جبران دعوتنا إلى أن نصبو إلى «ذات عملاقة»، مشرّعين قلوبنا لاستقبال الحبّ، كما يدعونا إلى انطلاقة زاهدة باتجاه العالم الكامل. لا أثر لدى جبران لنزوع عدميّ، و**النبيّ** كتاب تفاؤل ورجاء، مثل هذا الأمر يدعونا إلى العَجَب خاصّة أنّ كاتبه هو صاحب الرسائل الزاخرة بتلميحات متكرّرة إلى ضيقه بالحياة، وإلى مشكلاته الصحيّة والمالية. «أمّا نحن، فإنّنا نبحث عن طيف الرجاء»، يقول في **البدائع والطرائف**. كما أنّ نيتشه أقرب إلى الفلسفة ـ وإن وصفت هذه الفلسفة بـ «الغنائية» ـ من جبران الذي لم يدّعِ يوماً صوغ أفكاره في منظومة فكريّة بحسب ما يؤكّده، هو نفسه، في إحدى رسائله إلى ماري هاسكل في سبتمبر/أيلول ١٩١٤: «أنا لا أفسّر ولا أجادل. الأشياء تقال ببساطة وبقوّة. فالتحليل يجرّد النصّ من الحياة والمذاق.» وأخيراً نقول إنّ السياسة تحتلّ مكانة بارزة لدى نيتشه الذي يدعو، في «هكذا تكلم زرادشت»، إلى نظام اجتماعي ذي طابع أرستقراطيّ جائر وصريح العداء للدولة، فيما السياسة غائبة تماماً عن كتاب جبران.

◀ راجع كتاب: **النبيّ**.

نيويورك

في ١٨ أكتوبر/تشرين الأوّل ١٩١١، غادر جبران بوسطن إلى نيويورك، على أمل أن يجد بيئة أفضل لتعبيره الفنّي. منذ البدء أدرك أنّ «نيويورك ليست المكان الذي نجد فيه الراحة». بدأ بزيارة متحف المتروبوليتان للفنون وغادره مذهولاً. ثم التقى الجالية اللبنانية وتعرّف، بفضل رسائل التوصية التي زوّدته بها ماري هاسكل إلى عدد من الشخصيّات النيويوركية البارزة. والتقى أمين الريحاني صديقه: «كم أكون سعيداً عندما تجمعني بك الأيّام في مدينة واحدة»، كتب في إحدى رسائله قبل سفره. وأكبَّ على إنجاز بورتريه له قبل أن ينتقل للإقامة موقّتاً في المبنى نفسه حيث يقيم الريحاني.



البناء حيث كان يوجد محترف جبران في نيويورك (٥١، وست تنث ستريت)

غاص جبران في المجتمع النيويوركي وأكبَّ على العمل بلا هوادة. أنجز **الأجنحة المتكسّرة** ورسم لوحات جديدة ووضع رسوماً مرافقة لكتاب السيرة الذاتية الشهير الذي وضعه أمين الريحاني **كتاب خالد**، وأرسل إلى **مرآة الغرب** مقالات. وفي الأوّل من نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١١، انتقل جبران للإقامة في مبنى مشيّد من الآجر الأحمر في «تنث ستريت ستوديو» وهو مبنى مخصّص للفنّانين قائم في ٥١ «وست تنث ستريت» وسط «غرينوتش فيلدج.» وعام ١٩١٣، التقى جبران عدداً من الشخصيّات المتنفّذة في الأوساط الفنيّة النيويوركيّة أمثال الشاعر ويتر باينر وآرثر باون دافيس مؤسّس جمعيّة الرسّامين والنحّاتين الأميركيين، ومنظّم «المعرض الدولي للفنّ الحديث». وفي الأوّل من مايو/ أيّار ١٩١٣، انتقل جبران للإقامة في الطبقة الرابعة والأخيرة في الشقة الرقم ٤٠ من المبنى الذي كان يقيم فيه، مطلقاً على المكان اسم «الصومعة.» وهناك كان يكتب المقالات والكتب ويرسم بشغف. وفي ديسمبر/ كانون الأوّل ١٩١٤، عرض

رسومه في المونتروس غاليري. بعد ظهور كتاب **النبيّ** الذي أصدره الناشر النيويوركي ألفرد كنوبف، عرف جبران النجاح أخيراً. بوسطن أعدّت جبران، ونيويورك كرّسته. وبدأ يتردَّد إلى صالونات المجتمع الراقي النيويوركي التي تديرها نساء من ذوات المكانة والنفوذ: جوليا إلسورث فورد Julia Ellsworth Ford، ومدام تيفاني، ومدام هاردن ومدام مورتن، وروز أونيل (رسّامة ذائعة الصيت، وكانت تستقبل جبران في منزلها في واشنطن سكوير وقد أنجزت رسماً له) وكورين روزفلت روبنسون. ومع أنّ هذه الدعوات كانت تضجره، كان يلبّيها ويستغلّها لأنّها تتيح له الالتقاء بشخصيّات معروفة كالراقصة روث سانت دنيس Ruth Saint Denis، والشاعر هوارد ويلارد كوك Howard Willard Cook، وعمدة نيويورك توم رايموند، والكاتب المسرحي برسي ماك كاي Percy MacKaye، والرسّام آرثر باون دايفيس. لكن جبران، بسبب مشكلاته الصحيّة، كان يهرب من نيويورك إلى أحضان الطبيعة أو يذهب إلى بوسطن ويمكث لدى شقيقته.

في ١٠ أبريل/نيسان ١٩٣١، لفظ جبران أنفاسه الأخيرة في مستشفى سان ـ فنسنت. «مات نبيّ»، عنونت صحيفة *New York Sun* ونقل جثمان جبران إلى الـ Universal funeral parlor في جادّة «لكسنغتون» حيث سجّيَ يومين أمام المودّعين.

◀ راجع أيضاً: كورين روزفلت روبنسون؛ صومعة؛ الفرد كنوبف.



هاسكل، ماري إليزابيت (١٨٧٣-١٩٦٤) Haskell, Mary Elizabeth

«أيّاً تكن الأحداث أو الشخصيّات التي أثّرت في جبران خليل جبران، تلبث ماري هاسكل ماينس المرأة التي كان لها بالغ الأثر فيه. بصفتها وليّة نعمته، منحته الأمل والحرِّية. بصفتها أستاذة وموجّهة أدبية، أعطته الحدس والصدق ومعرفة عميقة باللغة الإنكليزية. بصفتها صديقة، أعطته العاطفة والتشجيع وإيماناً لا يقهر بقدراته»، تلاحظ تانيا سامونس[(١)] وهي محقّة. فمن هي ماري هاسكل التي اسمها متصل اتّصالاً وثيقاً باسم جبران؟ ماري هاسكل هي الابنة الثالثة (بين عشرة أولاد) لضابط سابق في الجيش الاتحادي أصبح نائباً لرئيس مصرف في كولومبيا. ترعرعت في كولومبيا (ولاية كارولينا الجنوبية) ثم استقرّت في نيوانغلند لمتابعة دراستها في معهد وليسلي. جذبها الوسط الفكري في بوسطن، فآثرت البقاء في هذه المدينة حيث أنشأت، بمعونة شقيقتها لويز عام ١٩٢٢، مدرسةً للبنات هي «هاسكلز سكول» (٣١٤ مارلبورو ستريت). كانت نشطة في الحركة النسويّة ومتحمّسة لمبادئها، شَغِفَة بركوب الخيل وتسلّق الجبال. كانت حياتها الغرامية معقّدة يغلب عليها الاضّطراب، وعلاقاتها العاطفية والجنسية مشوّشة وملتبسة. قدّمت ماري دعمها لفنّانين عديدين من بينهم شارلوت تِلِر وإميلي ميشيل (التي

---

(١) Tania Sammons, «Un plan plus élevé: les vies de Khalil Gibran et de Mary Haskell» dans *Khalil Gibran, artiste et visionnaire*, Paris, Flammarion et Institut du Monde arabe, 1998, p. 49.



ماري هاسكل عام ١٩٢٦ (لوحة للرسّام الهولندي كونجنبرغ)

اختارتها لكي تتولّى الإشراف على اللغة الفرنسية، وأريستيدس فوتريد Aristides Phoutrides وجاكوب جيلر Jacob Giller.

التقت جبران للمرّة الأولى خلال معرض في «هارتكورت ستوديوز» يوم الثلاثاء ١٠ أيار/مايو عام ١٩٠٤. وكانت تلك بداية علاقة طويلة بين جبران وماري التي سرعان ما أصبحت المؤتمنة على أسراره وولّية نعمته. عام ١٩٠٨، شجّعته على الذهاب إلى باريس لتحسين مهاراته التصويرية متولّية أمور نفقته الخاصّة. بعد أيّام قليلة، وافته إلى باريس برفقة أبيها. فور وصوله إلى بوسطن في نوفمبر/تشرين الثاني ١٩١٠، توجّه جبران لزيارتها فاستقبلته بالترحاب وأبلغته وفاة والدها. ولمّا كانت راغبة في إبقاء الفنّان تحت رعايتها، أبلغته أنّها مستعدّة للاستمرار بمنحه الخمسة والسبعين دولاراً شهريّاً التي كانت واظبت على تحويلها إليه إبّان وجوده في باريس. نصحته بالانتقال إلى مسكن أرحب لكي تتسنّى له مزاولة فنّه بمقدار أكبر من الحرّية. انتقل للإقامة في ١٨ وست سيدار ستريت،

في حيّ بيكون هيل. وتوطّدت العلاقة بين الفنّان وولية نعمته: كانت تؤمن به وتفتح له أبواب الأوساط الفنيّة، عاملة على تحسين لغته الإنكليزية. وستلعب لاحقاً دوراً حاسماً في انتقال جبران من الكتابة باللغة العربية إلى الكتابة باللغة الإنكليزية، وستواظب دوماً على تنقيح مخطوطاته وتصويبها: «كما ترين يا ماري، أرتاد مدرستك. ويقيني أنّني ما كنت لأكتب كلمة واحدة بالإنكليزية لو لم أكتب إليك»، أسرَّ إلى ماري عام ١٩١٧.

السبت ١٠ ديسمبر/كانون الأوّل، عشية عيد مولد ماري السابع والثلاثين، تعشّى جبران في بيتها. وباغتها عند منتصف الليل بأن عرض عليها الزواج. فقالت له: «أعرف أنّك تحبّني. أنا أيضاً أحبّك ولكن بيننا عشر سنوات... وهذا الفرق في السنّ يجعل الزواج مستحيلاً. عمري هو الحاجز القائم بيننا ومن شأنه أنّ يفسد كل الأمور...».

آلم هذا الرفض غير المتوقّع جبران خاصّة أنّ الذريعة المعلنة لتسويغه لم تكن مقنعة. في ما بعد كتب إلى ماري: «لدى عودتي من باريس، منحتك قلبي كلّه على أبسط وأصدق ما يكون. كنت كالطفل الذي يضع كلّ ما كانه وكلّ ما يملك بين يديك. والمستغرب أنّ جوابك كان بارداً». وفي رسالة أخرى كتب لها: «ما إن حدّثتك عن الزواج حتّى جرحت مشاعري...». لكن ميخائيل نعيمة يقترح رواية أخرى لهذه الحادثة، أكثر قسوةً. يقول نعيمة إنّ ماري أجابته: «وهل أنت نظيف يا خليل ـ هل جسمك نظيف؟»، وهي إجابة من شأنها أن تؤذي مشاعر الفنّان الشابّ[١].

لكن ماري التي ندمت على ردّها المرتجل، لم تلبث أن عدلت عن رأيها وراجعت نفسها. وأجابته في مناسبة أخرى بـ «نعم» ردّت إليه الرّوح. ولكن لم تمض أيّام قليلة حتّى عدلت عن رأيها مجدّداً. فما تفسير هذا الموقف؟ هل نصدّقها عندما تزعم أنّها لن تكون يوماً قادرة على منح جبران الحبّ الذي يستحق؟ هل تُفسّر موقفَها علاقاتُها الملتبسة مع شارلوت تِلِر (والتي تتطرّق إليها

(١) ميخائيل نعيمة، مرجع سابق، ١٩٨٥، ص ١٢٣.

مراراً في يوميّاتها الحميمة، وقد وجّهت ماري إلى شارلوت ٢٧٢ رسالة!) وصلاتها بنساء أخريات، كما تقرّ هي في رسالة مؤرّخة في ١٩ ديسمبر/كانون الأوّل ١٩١٤؟ أم أنّ فكرة الزواج من «أجنبي» هي التي أقنعتها بالإحجام عن خطوة مماثلة، علماً أنّها لم تستطع أن تداري حرجها ذات يوم، عندما جاءها شقيقها على نحو مباغت وشاهدها برفقة جبران؟ تقول تانيا سامونس: «بغض النظر عن الحجج التي قدّمتها، كانت ماري تخشى العواقب التي بإمكانها أن تترتّب على هذا الزواج على صعيد مهنتها أو عائلتها».

لكن بصرف النظر عن حقيقة الأسباب، كانت ماري تعلم أنّها مذنبة. في رسالة تعود إلى يوليو/تمّوز ١٩١٥، تعترف له: «خليل، سبَّبت لك كل الأذى الذي أقدر عليه. لقد احتضنتني بأرقّ ما في قلبك وهناك طعنتك (. . .) عاملتك نفسي ككائن دونيّ (. . .) هل كانت خطيئة متمادية ومتكرّرة تلك التي ارتكبتها في حقّك يا خليل؟ أملي أن أعترف لك من أعماق نفسي بكلّ الأذى الذي سبّبته لك طوال السنوات الخمس عشرة هذه، والذي تألّمت منه». ولكن ما جدوى هذا الاعتراف المتأخّر؟ ضاق جبران ذرعاً بتردّد وليّة نعمته («شيء ما فيَّ يموت يوماً بعد يوم. كنت دائماً أتعذّب. ولو كنتِ أبعد خطوة واحدة لكرهتك. . .»).

خلال إحدى زيارات ماري إلى نيويورك، تناهى إلى سمعها ذات ليلة صوت يخاطبها قائلاً: «خليل ينبئك بأنّ للصبر حدوداً. يجب أنّ ينال كلّ شيء أو لا شيء». فسّرت ذلك الحلم بأنّه دعوة إلى أن تقيم علاقة جنسية خارج الزواج، مع جبران، وبذلك توازن ما بين استحالة زواجها منه وقوّة الرغبة التي تجذب أحدهما إلى الآخر. فهرعت إلى صديقها لتطلعه على «منامها»، فرفض جبران رفضاً قاطعاً تلك الفكرة المستهجنة: «لا أستطيع أن أقبل عرضك: حبّي أكبر من أن أرضى بك عشيقة»، قال لها. وربّما كان يفكّر مليّاً في العواقب المحتملة لعلاقة مماثلة وعملية الإجهاض التي خضعت لها ميشلين في الماضي، إذا صحَّ ما رواه بعضهم في هذا الشأن. غادرت ماري خجلى لأنّها «تجرّأت» على عرض مماثل. وعند المساء، أخلّت بوعدها له بأنّها ستأتي لزيارته برفقة ميشلين الموشكة على عقد قرانها. في اليوم التالي عاودت الكرّة. فقال جبران منتفضاً: «ولكن أنا من اعترف

لك بحبّه أوّلاً، ومن طلب يدك للزواج، ومن كان يودّ أن يقرّبك من قلبه! أمّا في الوقت الحاضر فلا رغبة لي في الارتباط بامرأة. . .». في عباراته الاخيرة أجمل جبران القصد كلّه، غاية هذا الاعتراف الذي يصدر عن رجل جريح الفؤاد. إذ يؤثر عن طباع جبران أنّه كان كثير الارتياب وصاحب ضغينة. لم ينسَ رفض وليّة نعمته، كما لم ينسَ حرجها عندما شاهدها أخوها برفقته («كانت تلك هي الضربة القاضية بالنسبة إليّ، قال في ما بعد. كان على الرجل الذي في داخلي أن يبدّل موقفه بما يشبه الدفاع عن النفس»). فبعد أن أسقمه تردّد ماري، ما كان ليرضى أن تتلاعب بمشاعره.

لا شيء في سلوكه يدفعنا إلى القول، كما فعل بعض كتّاب سيرته، إنّه تظاهر بحبّها لكي يستغلّ كرمها أو إنّه عرض عليها الزواج تعبيراً عن امتنانه لها أو إنّه كان، في قرارة نفسه، يأمل أن ترفض طلبه. رسائل جبران لا تترك مجالاً للشكّ. إنّها تزخر بإشارات حبّ صادق، كتب لها عام ١٩٢٢: «سأحبّك إلى الأبد. أحببتِك منذ زمن بعيد قبل أن نلتقي فعلاً. كنت أعرف ذلك عندما رأيتك للمرّة الأولى. كان هذا القدر (. . .) أنت وأنا لدينا قرابة، نشبه بعضنا بشكل أساسي. أريدك أن تذكري دوماً ذلك. أنت الشخص الذي هو أغلى ما عندي في هذا العالم. هذه القرابة، هذه الحميمية في كائننا الروحي لن تتغيّر حتى لو تزوّجتِ سبع مرّات مع سبعة رجال». إذا أمعنّا النظر قليلاً اتّضح لنا أنّ موقفه أصدق بما لا يقاس من موقف ماري التي لا تقرّ البتّة بالأسباب الحقيقيّة التي تحول دون قبولها بالزواج من الرجل الذي تزعم بأنّها تجلّه: «لم أعد أطيق الشكّ، كتب إليها. قلتِ أشياء كثيرة متناقضة بالجدّيّة نفسها، والحقيقة أنّني ما عدت أدري أيّها أصدّق. كان ذلك مبعث عذابي المضني لشهور طويلة». الحقيقة أنّ شخصيّة ماري أكثر تعقيداً ممّا قيل عنها. قراءة يوميّاتها ورسائلها تكشف عن امرأة ذات ميول متنازعة بين طاقة شبقية غير متحقّقة ومحرّمات لا تُقهر، بين ميلها إلى النساء ورغبتها في الرجال، بين إرادة التحرّر لديها واحترام آداب السلوك التي تفرضها عليها عائلتها المحافظة. . . مال بعض المحلّلين النفسيين إلى تفسير موقف جبران حيال صديقته بأنّه مظهر من مظاهر عقدة أوديب والحال أنّ هذا

التحليل لا يفسّر إلاّ جزئيّاً موقف جبران، لأنّ الحاجز الحائل بينه وبين ماري كان يعود أوّلاً إلى موقفها، هي المتردّدة ومن ناحية أخرى، لأنّ علاقاته مع نساء أخريات لم يكن لها أيّ طابع «نزاعيّ» ـ بالمعنى النفسي التحليلي للعبارة. بعد أن باءت محاولاتها المتكرّرة بالفشل، رضخت ماري للأمر الواقع. ومنذ ذلك الحين، تكتب في يوميّاتها إنّها لن تنظر إلى جبران بوصفه صديقاً تحبّه، بل بوصفه زوجاً تربطها به علاقة صداقة متينة. أمّا ابن بشرّي فكان يرى الأمور في أوضح صورة، «على المستوى الشخصي والحميم، تبدو علاقتي مستحيلة مع هذه المرأة. ينبغي لها أن تقتصر على الروح والنفس. جرحت مشاعري بقوّة فكان لا بدّ للحبّ أن يجد شكلاً آخر للتعبير عن نفسه». وكتب بعد ذلك إلى ماري: «لو كنّا أقمنا علاقة جنسية، لكانت فرّقت بيننا بمرور الوقت. . . عرفت حياتنا المسار نفسه، وجنّبنا العلاقات الجنسية». وبالفعل، على الرّغم من المداعبات والقبلات التي كانت تهيّئ جسديهما للجماع، لم يتخطّيا هذا الحدّ البتّة.

يندر أن يكتنف علاقة بين رجل وامرأة غموض كمثل الغموض الذي لابس علاقة جبران وماري، وكمثل تعقّدها. إذ قامت على مدّ وجزر وسيطرة وعبادة وشغف حارق وابتعاد، وعلى أفلاطونية وشهوانية في آن واحد متجسّدة بكلمات ورسوم. لكن ماري، حين تدبّج رسائل إلى جبران أو حين تفرغ مكنون مشاعرها على صفحات دفتر يوميّاتها، تمتلك جسده هو. وكان جبران حين يرسم ماري أو يهدي إليها نصوصه إنّما يمتلك جسدها هي. . .

بعد علاقة عابرة مع الرسّام آرثر باون دايفيس، انتقلت ماري لتقيم منذ ١٩٢٣ جنوباً في سافانا. وآل بها الأمر إلى الزواج من جاكوب فلورنس ماينس، زوج قريبتها المتوفاة لويز جيلمر ماينس. وبرغم المسافة، والغيرة المرضيّة لزوجها، تابعت ماري السهر على محظيّها ونقّحت له مخطوطاته سرّاً. في ١٠ أبريل/ نيسان ١٩٣١، تلقّت برقيّة من مريانا تعلمها فيها أنّ جبران أسلم الروح فتركت بسرعة «جمعية الفنّ» التي كانت تديرها وانتقلت، دونما إبطاء، بالقطار إلى بوسطن لتلقي على صديقها النظرة الأخيرة. لاحقاً، ستدفعها علاقتها المتأزّمة ببربارة يونغ إلى إنقاذ رسائلها إلى جبران التي كانت بربارة تهمّ بإتلافها. ثم

أ ٩

أرسلت ماري إلى بشرّي كلّ الأشياء التي ورثتها من جبران، بموجب الوصيّة التي كتبها. ووهبت مجموعة اللّوحات التي قدَّمها إليها لمتحف تلفير للفنون في سافانا (وأيضاً لـ «بوسطن ميوزيوم أوف فاين آرتس»، «وفوغ آرت ميوزيوم»، «وهارفرد ميوزيوم»، و«ميتروبوليتان ميوزيوم أوف آرت»، لمدينة نيويورك، و«نيوارك ميوزيوم»). كذلك سلّمت أوراقها الشخصية (ومنها رسائل جبران ويوميّاتها بالذات التي لولاها لبقيَ جانب من حياة المبدع الراحل مجهولاً حتّى الآن!) إلى Southern Historical Collection في جامعة شابيل هيل في كارولينا الشمالية.

توفّيت ماري هاسكل عام ١٩٦٤ في الواحدة والتسعين. شاركت جبران ثلاثين سنة من حياته ولم يعرف أصدقاؤه والمقرّبون منه بعلاقتهما، باستثناء مريانا شقيقته.

◄ راجع أيضاً: نساء.

هينكل، بياتريس موزس (١٨٧٤-١٩٥٣) Hinkle, Beatrice Moses

كانت بياتريس موزس هينكل طبيبة نفسانية ذائعة الصيت. ترجمت أعمال يونغ إلى الإنكليزية. ساعدت جبران على تخطّي أزماته النفسية وعرّفته إلى جيمس أوبنهايم، ناشر مجلّة «الفنون السبعة» وكانت تكتب في هذه المجلّة صديقته آليس رافاييل اكستاين Alice Rafael Eckstein. كذلك عالجت شارلوت تِلِر. ومن الكتب التي أصدرتها: *The Recreating of the Individual* (١٩٢٣).

و

وحدة: راجع: اللّه، تصوّف.

وصيّة

ترك جبران ثلاث وصايا. كتب الأولى عام ١٩١١ عندما منحته ماري هاسكل خمسة آلاف دولار. وفي هذه الوصيّة يترك إليها لوحاته ورسومه، أو إذا اتّفق عندما يحين الوقت، أنّها هي أيضاً رحلت عن هذا العالم، إلى فريد هولاند داي. أمّا مخطوطاته الأدبية فإلى أخته مريانا مشيراً عليها أن تستشير أمين الريحاني والصحافيَّين نجيب دياب وأمين الغريّب، قبل نشر أيّ منها. وترك رسائله التي تلقّاها بالعربية والفرنسية إلى يوسف الحويّك، والكتب التي يملكها في لبنان إلى مكتبة بشرّي، وتلك الموجودة في بوسطن إلى جمعية «الحلقة الذهبية». الوصيّة الثانية اختفت. وفي الثالثة التي تعود إلى ١٣ مارس/آذار ١٩٣٠، أوصى بكلّ «ما له من دراهم» لشقيقته مريانا بالإضافة إلى سنداته المالية وأربعين حصّة من حصص شركة بناية المحترف. كذلك أوصى بريع كتبه لبلدته بشرّي، ولماري هاسكل بكلّ ما في محترفه من رسوم وسلع فنّية وكتب وسواها راغباً إليها إذا هي استنسبت ذلك أن تبعث بكلّ هذه الأشياء أو بعضها إلى بلدته بشرّي. اعترضت مريانا على صحّة هذه الوصيّة لكنّها خسرت الدعوى.

— وصية جبران —

عند وفاتي ارغب ان تعطى اختي ماري خليل جبران القاطنة في عدد ٧٦/ شارع تيلر — بوسطن —
من ولاية ماستشوستس كل المال والاسهم التي تلطف السيد ادغر سبلير بالاحتفاظ بها لي .

وهناك ايضا ٤٠ اربعون حصة في شركة مستروفات ٥١ في الشارع العاشر مودعة في صندوقه باسمي
للتأمين في مصرف شركة منهاتن ترست عدد ٣١ يونيون سكوير بنيويورك فهذه الحصص تعطى كذلك لاختي .

وهناك علاوة على ما ذكر انفا دفتران للايداعات في مصرف وست سايد التوفيري في عدد ٤٢٢ الافنيو
السادس بنيويورك وهما في محترفي فارغب ان تأخذ اختي هذا المال الى بلدتي بشرى في الجمهورية اللبنانية
وتنفقه في سبيل الخيرات .

اما ريع حقوق الطبع من كتبي تلك الحقوق التي على ما اعلم يمكن تجديدها لمدة ثمانية وعشرون سنة
بعد موتي بطلب من وراثي فيعطى لبلدتي بشرى .

وكل ما يوجد في محترفي بعد موتي من صور وكتب واشياء فنية وما شاكل يعطى لمسز ماري هسكل مانيس
القاطنة اليوم في عدد ٢٤ في شارع غاستون من مدينة سافانا في ولاية جورجيا . ولكني اود ان ترسل مسز هسكل مانيس
كل هذه الاشياء او قسما منها الى بلدتي بشرى اذا رأت ذلك مناسبا .

٥١ الشارع العاشر في نيويورك ١٢ اذار ١٩٣٠

الشاهدان : ليناهك ١٥٠ بلفر سايد درايف بنيويورك

هنري لوس ٢٥ الافنيو الخامس بنيويورك

نسخة من وصية جبران (١٣/ ٣/ ١٩٣٠)

ولادة

ثمّة جدلٌ كبير بشأن تاريخ ولادة جبران. يؤكّد ميخائيل نعيمة وفليكس فارس أنّه ولد في السادس من ديسمبر/ كانون الأوّل عام ١٨٨٣. لكن ثلاث وثائق على الأقلّ، إلى شهادتَي إيليا أبو ماضي، العضو في الرابطة القلمية وبربارة يونغ، معاونة جبران، تؤكّد أنّه ولد في السادس من يناير/ كانون الثاني ١٨٨٣ في بشرّي، وتبدّد كل الشكوك التي أبداها كاتبو سيرة جبران الأوائل[١]. أولى الوثائق رسالة من جبران إلى جوزفين بيبودي في ٦ يناير/ كانون الثاني ١٩٠٦ يعلن فيها لصديقته: «لديَّ الآن ثلاثة وعشرون عاماً». والثانية وجّهها إلى مي زيادة في ١١

(١) Antoine Ghattas Karam, *La Vie et l'oeuvre littéraire de Gibran Khalil Gibran*, Beyrouth, Dar An-Nahar, 2ème éd. 2005, p. 24.

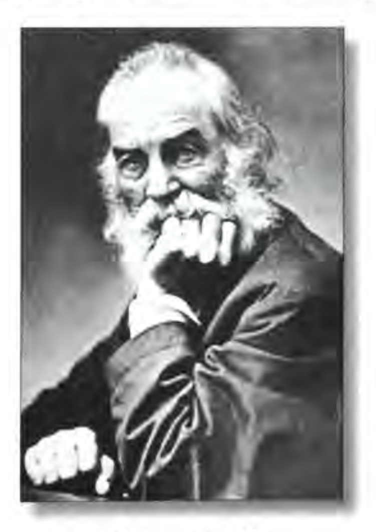
يناير/كانون الثاني ١٩٢١، وفيها يؤكّد أنّه ولد في ٦ يناير/كانون الثاني وليس في ٦ ديسمبر/كانون الأوّل كما أشار نسيب عريضة وكان مخطئاً. والوثيقة الثالثة رسالة غير معروفة مؤرّخة في ١١ مارس/آذار ١٩٢٨، أرسلها جبران إلى بلانش كنوبف، وتضع حدّاً نهائيّاً للجدل القائم:

«عزيزتي بلانش،

أمّا في ما يخصّ تاريخ مولدي فأنا ولدت في ساعة مبكرة في السادس من يناير/كانون الثاني ١٨٨٣. أنت وأنا نعرف أنّ الولادة كالموت مجرّد خرافة. ومع ذلك فإنّنا متشبّثون بالخرافات، كما بالكلمات والرموز».

ويتمان، ولت (١٨١٩-١٨٩٢) Whitman Walt

ولت ويتمان شاعر أميركي له ديوان واحد **أوراق العشب** *leaves of grass*، أمضى حياته ينقّحه ويضيف إليه قصائد. اكتشف جبران أعمال ويتمان عام ١٩٠٤



الشاعر ولت ويتمان

وتعمّق في معانيها عام ١٩١١ وقد كانت لرؤية الشاعر ويتمان كبير الأثر في جبران. كان ويتمان يعتبر أنّ المرئي لا معنى له إلاّ لاتصاله باللامرئي، وأنّ اللامرئي بدوره لا يُعبّر عنه إلاّ من خلال المرئي، كما كان جبران متّفقاً تماماً مع مبدأ ويتمان القائل إنّ «جلال العالم وجماله موجودان خفية في أيّ ذرّة من الوجود»: إنّ أقل الأشياء وأكثرها عاديّة تصبح، بسبب من وجودها واتّحادها بالسياق الكوني، خوارق عجيبة. وتتحدّث آن وايد مينكوفسكي Anne Wade Minkowski عن «إيقاعات ويتمانية كثيرة» لدى جبران.

في ٦ مايو/أيّار ١٩١٨، أرسل جبران إلى ويتر باينر قصيدة لتُتلى لمناسبة «يوم ويتمان» الذي أقيم تكريماً للشاعر الكبير، آملاً أن «يجد القصيدة جيّدة على نحو كافٍ لتقرأ في مناسبة مقدّسة كهذه».

ي

يسوع

فُتن جبران بشخصية يسوع في سنّ مبكرة. كانت والدته، في طفولته التي قضاها في بشرّي، والأب جرمانوس يلقّنانه تعاليم المسيح ويصطحبانه إلى الكنيسة لحضور رتبة القدّاس. كتب جان ـ بيار دحداح، في مقدّمته لـ **يسوع ابن الإنسان** الصادر بترجمته الفرنسية، أنّ موارنة جبل لبنان «يعيشون أسبوع الآلام وعيد الفصح كما لو أنّ المسيح يتألّم فعلاً ويموت ويقوم من بين الأموات لأوّل مرّة. يشاطرونه العذاب متأمّلين في موته ويعيشون أقصى الفرح الذي تبعثه قيامته. لكأنّ يسوع يغدو بطلاً قوميّاً ورمزاً للخلاص الأرضيّ». في بوسطن وعندما تعرّف جبران إلى فريد هولاند داي الذي لم يكن يتوانى عن التقاط صور له في وضعيّات مسيحانّية، اكتشف جبران الوجه الرومنطيقي والثوريّ للمسيح. وعندما عاد إلى لبنان تعرّف أكثر في معهد الحكمة على تعاليم المسيح وعمّق معرفته بالإنجيل. ولا تزال نسخة عتيقة من الكتاب المقدّس التي كان يقرأ فيها محفوظة في مكتبة بشرّي، وقد مُلئت بملاحظاته التي اختطّها بيده. وهذا ما يثبت أنّ جبران كان قارئاً متنبّهاً إلى كلمة اللّه. وليلاً، كان يصدف أحياناً أن يرى المسيح في منامه.

عام ١٩٠٩، اكتشف جبران أرنست رينان وكتابه **حياة يسوع** *La Vie de Jésus*. فكتب إلى ماري هاسكل: «أقرأ الآن رينان. أحبّه لأنّه أحبّ يسوع وفهمه. رآه في وضح النهار لا في غسقه... رجائي الكبير أن أتمكّن ذات يوم من رسم حياة يسوع كما لم يفعل أحد من قبل. ليس لحياتي أن تجد سكينة أعمق من السكينة التي تجدها في شخصية يسوع». وفي بوسطن كان جبران يتجادل



تلفير ميوزيوم

يسوع ابن الإنسان بريشة جبران

وجاره الأب اسطفان الدويهي طويلاً، وتعزّز لديه، إثر تلك النقاشات، هذا الشغف بشخصية المسيح.

لكن يسوع جبران ليس يسوع المسيحيين: «مرّة كل سنة يلتقي يسوع الناصري يسوع النصارى في حديقة جبل لبنان فيتحادثان طويلاً، وفي كل مرّة ينصرف يسوع الناصري وهو يقول ليسوع النصارى: أخشى يا صاحبي أنّنا لن نتفق أبداً أبداً» **(رمل وزبد)**.

كان يسوع بالنسبة إلى جبران رجلاً كالآخرين استطاع الوصول إلى «ذاته المجنّحة» بفضل تشوّقه وقدرته على تخطّي ذاته: مستلهماً بهذا القدر أو ذاك «حياة يسوع» لإرنست رينان حيث يوصف المسيح بأنّه «الإنسان الذي خطا بالجنس البشريّ الخطوة الأعظم نحو الإلٰهيّ»، يصرّ جبران على الطبيعة البشرية ليسوع: «فهو لم يكن إلٰهاً، بل كان إنساناً مثلنا ولكن فيه نهض مرّ الأرض ليلاقي لبان السماء، وفي كلماته تعانقت تمتمتنا مع همس غير المنظور، وفي صوته

سمعنا أنشودة لا يُسبر غورها. نعم، كان يسوع إنساناً ولم يكن إلٰهاً. وفي هذا منتهى عجبنا ودهشنا» (**يسوع ابن الإنسان**).

في ديسمبر/ كانون الأوّل ١٩١٠، أسرَّ جبران إلى ماري هاسكل: «قرأت كل ما وجدت عن يسوع... طوال حياتي لم يتوقّف إعجابي به عن النموّ. إنّه أعظم الفنّانين والشعراء قاطبة... أن ندعوه إلٰهاً فهذا ينقص من قيمته. لأنّه بصفته إلٰهاً، ستكون كلماته العجيبة صغيرة، لكن بصفته إنساناً فما قاله هو الشعر الخالص...». يقرّ جبران أنّ يسوع سرمديّ. غير أنّه ليس سرمديّاً لأنّه إلٰه بل لأنّه أجاد سلوك الدرب الذي يؤدّي إلى الإلٰهي. لقد بلغت الإنسانية، بفضل يسوع ومعه، تجلّيها الإلٰهي الأكمل. وباعتقاده هذا يكون ممهّداً لما ستضمّنه كتاب نيكوس كازنتزاكي «التجربة الأخيرة للمسيح»، حيث يصف لنا مسيحاً بشريّاً «يسير بلا غاية نحو الأعالي» لكي يفوز بخلاص البشرية ويقبل في ختام التجارب الطويلة أن يتوحّد باللّه.

يرى جبران يسوع ثوريّاً. في إحدى مقالاته المعنونة **يسوع المصلوب**، المنشورة في كتاب **العواصف**، يكتب:

«ما عاش يسوع مسكيناً خائفاً ولم يمت شاكياً متوهّجاً، بل عاش ثائراً وصلب متمرّداً ومات جبّاراً».

«ما عاش يسوع طائراً مكسور الجناحين بل كان عاصفة هوجاء تكسر بهبوبها جميع الأجنحة المعوَّجة (...).

لم يجئ يسوع ليعلّم الناس بناء الكنائس الشاهقة والمعابد الضخمة في جوار الأكواخ الحقيرة والمنازل الباردة المظلمة بل جاء ليجعل قلب الإنسان هيكلاً ونفسه مذبحاً وعقله كاهناً».

ويرى جبران يسوع إنساناً سعيداً بعيداً كل البعد من الشخصية الصارمة المتجهّمة التي وُضع في إطارها. يأسف جبران لأنّ «حسّ الدعابة» لدى المسيح بقي مجهولاً. يقول في **يسوع ابن الإنسان**: «كان رجل فرح. وعلى طريق الفرح التقى كلّ آلام الناس جميعاً!».

والمصطفى في **النبيّ** ظلّ المسيح. اللوحة التي تظهر على غلاف الطبعة الأصلية للكتاب، والتي كان جبران متعلّقاً بها تعلّقاً خاصّاً، ألا تذكّر بوجه المسيح؟ في **حديقة النبيّ**، ينعزل المصطفى أربعين يوماً كما اختلى المسيح بنفسه في البريّة بعد تلقّيه العماد. وتلاميذ المصطفى التسعة يذكّرون بالرسل الاثني عشر. والعزلة الأخيرة التي دامت سبعة أيّام تذكّر بالليلة التي قضاها يسوع في جبل الزيتون... ولكن في **يسوع ابن الإنسان**، تبدو موهبة جبران في أبهى تألّقها محتفلة بالمسيح وراويةً سيرته عبر سبعين شخصية عرفتهم. كتب جان ـ بيار دحداح: «كما أنّ كتاب **النبيّ** يعلّمنا أن نحبَّ الحياة، كذلك يعلّمنا **يسوع ابن الإنسان** أن نحبّ يسوع».

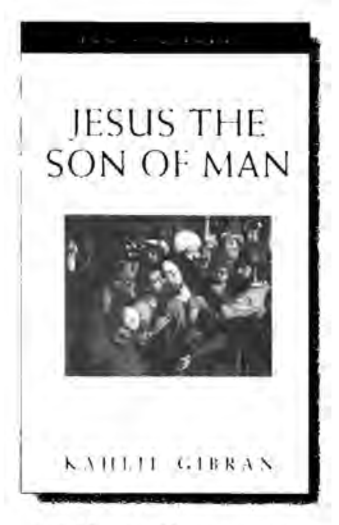
رسم جبران الرسّام يسوع كثيراً في لوحاته ورسومه: «وجه يسوع»، «يسوع ابن الإنسان» (اللوحة محفوظة في تلفيرميوزيوم). هاتان اللوحتان تعكسان جيّداً الصورة التي كان جبران يتخيَّل وفقها هذه الشخصيّة الاستثنائيّة: «رأيت يسوع منحدراً على الدرب صوبي (...) كان وجهه عربي الملامح، ذا أنف أقنى، وعينين سوداوين فاحمتين، كبيرتين وعلى غاية في العمق... بشرته سمراء وكان يفيض نضارة... كان رأسه مكشوفاً حسب عادته ويرتدي حلّة بنّية اللون فضفاضة، يشدّها إلى وسطه حبل»[١].

◀ راجع أيضاً: اللّه؛ تصوّف؛ نيتشه؛ **يسوع ابن الإنسان**.

يسوع ابن الإنسان

في ١٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٢٦، وقد «راوده إلهام ساطع»، قرّر جبران التوقّف مؤقّتاً عن تأليف تتمّة لكتاب **النبيّ** بغية التفرّغ تماماً لوضع كتاب جديد: **يسوع ابن الإنسان** الذي باشر إملاءه على بربارة يونغ. انصرف ثمانية عشر شهراً إلى العمل بلا توقّف على الكتاب الذي يروي سيرة يسوع. وفي ١١ أكتوبر/

(١) Virginia Hilu, *op. cit*, 1972, p. 170 et 405.



غلاف «يسوع ابن الإنسان» بالإنكليزية

كانون الأوّل ١٩٢٩، أرسل جبران إلى ماري هاسكل لمناسبة ذكرى مولدها، المخطوطة التي كان أنجزها للتوّ. ولكي لا تثير غضب زوجها، عمدت ماري إلى قراءتها في الخفاء. وفي ١٢ أكتوبر/تشرين الأوّل ١٩٢٨، صدر الكتاب مصحوباً بأربعة عشر رسماً للمؤلّف، اثنان منها بالألوان. أهمّية **يسوع ابن الإنسان** تكمن في أنّ الكتاب يتغنّى بالبطل ـ المسيح عبر سبعين شخصيّة مستعارة من الكتاب المقدّس ومن الميتولوجيا. بعض هؤلاء الشخصيّات ـ الشهود أحبّ يسوع وبعضها الآخر نظر إليه بلامبالاة أو فضول أو عدوانية. يذكّر مثل هذا الأسلوب في التأليف بـ **الحلقة والكتاب** *The ring and the book*، لمؤلّفه روبرت براوننغ Robert Browning، حيث يعرض عدد من الشخصيّات شخصيّة يسوع كما تراءت لهم. وكذلك يرسم بخياله الشاعري وحساسيّته صورة آسرة ليسوع: صورة كائن متفوّق وجدير بالعبادة في آن واحد، وقريب من البشر إخوته. يبدو المسيح رمزاً للإنسانية التي تتخطّى فردانيّتها لتذوب في الوحدة الكونيّة التي هي اللّه.

لدى صدور **يسوع ابن الإنسان**، استقبلت الصحافة الأميركية الكتاب بالترحاب، فكتبت صحيفة Union Springfield في تعليقها على الكتاب: «لغة جبران الإنكليزيّة تتّسم بقدرة من الجمال والشفافيّة من شأنهما أن يكونا مصدر إلهام لكتّاب آخرين ممّن لغتهم الأمّ هي الإنكليزية. أمّا معلّق صحيفة Manchester Guardian، فأكّد أنّ القارئ «يشعر بفرح بالغ لدى اكتشافه هذا العمل المتميّز بفرادته وجماله الحسّي».

يونغ، بربارة (١٨٧٩ ـ ١٩٦٤) Young, Barbara

بربارة يونغ ناقدة أدبية في صحيفة **النيويورك تايمز**. اسمها هنرييتا بوتون لكنّها اشتهرت باسمها المستعار بربارة يونغ. ألّفت عدداً من الكتب المنشورة تحت أسماء مستعارة (منها ديوان عنوانه *Keys of heaven* **مفاتيح الجنّة** عام ١٩٢٧، و*I Go Walking*، عام ١٩٣٣. غداة صدور **النبيّ**، حضرت بربارة يونغ أمسية شعرية ألقى فيها الممثّل باتلر دافنبورت Butler Davenport بعض المقاطع من **النبيّ**، في كنيسة «سانت مارك» الانغليكانية. وإذ فتنها المؤلّف، كتبت رسالة إلى جبران عام ١٩٢٥ تطلب فيها موعداً لمقابلته فدعاها إلى منزله. وعلى الفور نشأت مودّة بينهما بحيث أنّ بربارة ظلّت طوال ست سنوات سكرتيرة جبران المتفانية مدوّنةً ثم طابعةً على الآلة الكاتبة كل ما يمليه عليها، حافظةً أوراقه ومدبّرةً شؤون أعماله. بعد ماري هاسكل، أصبحت بربارة ملاكه الحارس. نظّمت له حفلة قراءات لأعماله في فندق بريفورت Brevort والعديد من الاحتفالات الأخرى في «جمعية أصحاب المكتبات» في الجادّة الخامسة. وهي التي وجدته في ١٠ أبريل/نيسان ١٩٣١ يُحتضر في سريره فسارعت تنقله إلى مستشفى سانت ـ فنسنت.

عقب وفاة جبران، تولّت بربارة يونغ نشر كتاباته: **التائه** (ألغت كل التعديلات التي أجرتها ماري هاسكل لتبقي على «كلمات القدّيس» في المخطوطة كما هي) وتتمّة كتاب **النبيّ**: **حديقة النبيّ** التي تعرّضت على يدها لتحويرات



بربارة يونغ في محترف جبران في نيويورك

جوهرية. أقامت بربارة يونغ في محترف الفنّان وحوّلته إلى «مكان مقدّس»، وقد حاولت إتلاف رسائل الكاتب ولكن ماري هاسكل، لحسن الحظّ، أنقذتها في اللحظة الأخيرة، لحرصها على محو آثار «نقاط ضعفه» كما زعمت. وإثر قيامها عام ١٩٣٩ برحلة إلى لبنان، كرّست له كتاب سيرة نشرته في دار ألفرد كنوبف تمجيداً لشخصية الراحل: «هذا الرجل من لبنان» *This Man from Lebanon*، الذي تضمّن أحد عشر رسماً غير معروف للكاتب.

وفي ١٢ يوليو/تموز ١٩٤٥، وجّهت رسالة إلى السيّد سميث، المسؤول لدى دار ألفرد كنوبف للنشر بغية إقناعه بالعدول عن ترجمة **الأجنحة المتكسّرة** إلى الإنكليزية معتبرة أنّ هذا العمل الذي يعود إلى فترة الصبا يسيء إلى سمعة جبران كونه يتضمّن أفكاراً ثورية، ولأنّه شديد الرومنسية: «أقول ذلك صراحة. ما من أحد غيري يمكنه أن يفعل ذلك [إعادة كتابة **الأجنحة المتكسّرة**] على طريقة جبران، لأنّ لا أحد عمل معه كما عملت أنا (...) لست «متعصّبة» لجبران،

على الرّغم ممّا يقوله نقّاد كثيرون. هناك كتاب آخر بإمكاني كتابته وبإمكاني أن أسرد فيه قصصاً كثيرة عن تجارب خضتها معه. لكن، ليقيني بسموّ الموقع الذي سيحتلّه هذا العمل في أذهان وقلوب مئات الآلاف من الناس في جميع أنحاء العالم، فلن أكتبه أبداً. ليبقَ هذا بيننا. كتبت عن الأشياء التي اعتبرتها ضروريّة للمكانة التي يحتلّها جبران. وللحقيقة (. . .) لذلك، من موقع المسؤولية، الذي تتمتّع به، أنت كناشر لأعمال جبران وأنا كمنفّذة لإرثه الأدبي وكمساعدته طوال سنوات، لا يمكننا بكل بساطة أن نسمح بقبول ذلك». في أواخر أيّامها، منحت بربارة يونغ أو باعت لوحات عدّة لجبران من بينها **يسوع ابن الإنسان** المحفوظة في نيويورك في الـ World House - Riverside Drive.

◀ راجع أيضاً: **الأجنحة المتكسّرة**.

ييتس، وليم باتلر (١٨٦٥-١٩٣٩) Yeats, William Butler

شاعر ومسرحيّ إيرلندي حائز جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٣. في ٢٨ سبتمبر/أيلول ١٩١١، وفيما كان في بوسطن، اصطحب جبران ماري هاسكل إلى «عصبة الدراما» في «البلايموت ثياتر» حيث كان ييتس يلقي محاضرة عن جون. م. سينج John. M. Synge. بعد المحاضرة، دعا صديق لماري هاسكل جبران وماري إلى الكواليس. وهناك تحدّث جبران إلى ييتس واقترح عليه أن يرسم صورة له مؤكّداً له على «قدرته على القيام برسم من مستوى رفيع»، فوافق الشاعر الإيرلندي. وفي الأوّل من أكتوبر/تشرين الأوّل باشر جبران في فندق توران Touraine، برسم البورتريه، وقد استغرقت الجلسة خمسين دقيقة. ولكنّ الكاتبين تناقشا ثلاث ساعات خاصّة أنّ كليهما آتٍ من بلاد يحتلّها الأجنبي، وكليهما متأثّر بماترلنك وسوينبرن ومتنبّه للمسائل الروحية والعقائد الباطنيّة (كان ييتس عضواً في جمعية هيلينا بتروفنا بلافاتسكي) والتناسخ والفكر المشرقيّ. بعد أن رأت ماري هاسكل البورتريه، هنّأت محظيها على عمله واعتبرت أنّه أدرك



متحف جبران

الكاتب ييتس بريشة جبران (١٩١١)

كيف يظهر كل التعقيد الذي تتحلّى به شخصية ييتس و«ما لا يدرك كنهه في ذلك **التائه** أبداً».

فُتن جبران بهذا الشاعر «الذي أفسدته الحمية الوطنية» والتقيا مجدّداً خلال مأدبة عشاء في دارة السيدة فورد وفي مقرّ «جمعية الفنون والعلوم» عام ١٩٢٠.

تنويه

أودّ أن أتوجّه بالشكر إلى الشاعر هنري زغيب الذي راجع هذا القاموس وإلى لجنة جبران الوطنية والسيدة بث مور من متحف تلفير في سافانا والسيد إيلي مسنّ وقسم المحفوظات في جريدة «النهار»، لتعاونهم.

المحتويات

مقدّمة ٥

أ

أبو ماضي، إيليّا ٧
أجنحة ٨
الأجنحة المتكسّرة ٩
إرم ذات العماد ١٤
الأرواح المتمرّدة ١٥
اسم ١٦
الأعمى ١٧
اللّه ١٧
آلهة الأرض ١٨
أوبنهايم، جيمس ١٩
أورفليس ٢٠
أونيل، روز سيسيل ٢١

ب

باري، جرترود ٢٢
باريس ٢٣
باينر ويتر ٢٨
البحر ٣١
البدائع والطرائف ٣١
برنهارت، سارة ٣٢
بشرّي ٣٣
أنطونيوس، بشير ٣٦
بطرس ٣٧
بلايك، وليم ٣٧
البهائيّة ٣٩
بوسطن ٤٢
بوفي دو شافان، بيار ٤٤
بيبودي، جوزفين بريستون ٤٥
بيرس، فلورانس ٥٢
بيل، جيسي فريمونت ٥٢

ت

التائه ٥٤
تابت، أيّوب ٥٥
تابت، سلطانة ٥٦
تصوّف ٥٧

تقمّص (أو تناسخ) ٥٨
تِلر، شارلوت ٦٠
التيوصوفية ٦١

ج

جبران، خليل سعد ٦٣
جبران، سلطانة ٦٥
جبران، مريانا ٦٦
جبران، نخلة ٦٧
جوليان، أكاديمية ٦٧

ح

حدّاد، عبد المسيح ٦٩
الحدّاد، يوسف ٧٠
حديقة النبيّ ٧١
حرب ٧٣
حسّ الدعابة ٧٥
الحكمة، معهد ٧٧
الحلقة الذهبية ٧٨
الحويّك، يوسف ٧٩

خ

الخريف ٨٢
الخوري، ماري ٨٣

د

داي، فريد هولاند ٨٥
دايفيس، آرثر باون ٨٨
دمعة وابتسامة ٩٠
دونيسون هاوس ٩٠
الدويهي، اسطفان ٩١
ديانة ٩٢

ذ

الذات الإلٰهية أو الذات المجنحة .. ٩٤

ر

الرابطة القلمية ٩٥
رايدر، ألبرت بنكهام ٩٧
رحمة، بطرس ٩٩
رحمة، كاملة ١٠٠
رسم ١٠٢
رقابة ١٠٧
رقص ١٠٨
رمل وزبد ١٠٩
.... ١١١
روزفلت روبنسن، كورين ١١٢
روزينا ١١٤
ريح ١١٥
الريحاني، أمين ١١٥

ز

زيادة، مي ١١٩
زيدان، إميل ١٢٦
زيدان، جرجي ١٢٧

س

السابق ١٢٨

ستيرن، جرترود ١٢٩
السنتور ١٢٩
سوريا ١٣٠
سياسة ١٣٠

ش

شمس ١٣٢

ص

صحافة ١٣٣
صحة ١٣٥
صوفيّة ١٣٨
الصومعة ١٣٩

ض

الضاهر، حلا ١٤١
الضاهر، سليم ١٤٢
ضباب ١٤٢

ط

طاغور، رابندرانات ١٤٤
طبيعة ١٤٥

ع

العثمانيون ١٤٨
عرائس المروج ١٥٠
عرب ١٥١
عريضة، نسيب ١٥١
عشرون رسماً ١٥٣
العاصفة ١٥٣
العواصف ١٥٤

غ

غابة ١٥٦
غارلند، ماري تودور ١٥٦
الغريّب، أمين ١٥٦
غسطين، هيلانة ١٥٨
غويني، لويز إيموجين ١٦٠

ف

فارس، فليكس ١٦١

ق

قاديشا ١٦٣
قهوجي، ماري ١٦٤

ك

كاريير، أوجين ١٦٥
كاهونزي ١٦٦
كحول ١٦٧
كنوبف، ألفرد ١٦٨
كنوبف، بلانش ١٧١
كنيسة ١٧٢
كوينسي سكول ١٧٣
كولاروسي، أكاديمية ١٧٤

ل

لبنان ١٧٥

لعازر ومحبوبته ١٧٧
لغات ١٧٨
لندن ١٨١
لوتي، بيار ١٨٢
لوسن، ماريتا ١٨٣

م

ماترلنك، موريس ١٨٥
مار سركيس ١٨٦
مارسيل ـ بيرونو، بيار ١٨٦
الماسونية ١٨٧
مايزن ـ منهايم، مدلين ١٨٨
ماينس، جاكوب فلورنس ١٩٠
متحف ١٩٠
مثليّة جنسية ١٩١
المجنون ١٩٢
مسرح ١٩٥
المصطفى ١٩٦
معبد الفنّ ١٩٨
المعلوف، جميل ١٩٩
مكرزل، سلّوم ٢٠٠
مكرزل، نعوم ٢٠١
ملك البلاد وراعي الأغنام ٢٠٢
المواكب ٢٠٢
مورتن، ألكزندر ومرجوري ٢٠٣
الموسيقى ٢٠٤
ميترا أو الميترا ٢٠٥
ميشيل، إميلي ٢٠٥

ن

ناي ٢٠٨
النبيّ ٢٠٨
نساء ٢١٢
نعيمة، ميخائيل ٢١٥
نيتشه، فريدريك ٢١٨
نيويورك ٢٢٠

هـ

هاسكل، ماري إليزابيت ٢٢٣
هينكل، بياتريس موزس ٢٢٩

و

وحدة ٢٣٠
وصيّة ٢٣٠
ولادة ٢٣١
ويتمان، ولت ٢٣٢

ي

يسوع ٢٣٤
يسوع ابن الإنسان ٢٣٧
يونغ، بربارة ٢٣٩
ييتس، وليم باتلر ٢٤١

تنويه ٢٤٣

يتوقّف القاموس على أهم العلامات التي تجلّت في أدب جبران: التقمّص، العود الأبدي، الذات المجنّحة، وحدة الوجود ...، والأمكنة التي سكنها أو سكنته: باريس، بشري، بوسطن، نيويورك ...، والنساء اللواتي وسمن حياته: كاملة رحمة، جوزفين بيبودي، ماري هاسكل ...، والمفردات الموحية ومدلولاتها الرمزية: الغاب، الضباب، العواصف، البحر ...، إضافة إلى المناهل الدينية والأدبية والفكرية التي شرب منها: يسوع، نيتشه، وليم بلايك، الصوفيّة ...

هذا القاموس، الأول من نوعه، هو مدخل أساسي إلى عالم جبران الغنيّ، لا بدّ من العودة إليه متى راود القارئ شيء من اللبس، أو متى شاء الوقوف على أبرز الإشارات التي تقوده سريعاً إلى ذلك العالم.

اسكندر نجار: محام وكاتب لبناني. هو مستشار وزير الثقافة منذ العام **1999**، ويشرفُ على الملحق الأدبي **L'orient littéraire** لجريدة **L'Orient- le jour** التي تصدر في بيروت. له روايات عدّة بالفرنسية تُرجِمَت إلى العربية منها: **دروب الهجرة، الفلكي، مدرسة الحرب، ورواية بيروت** التي ستصدر ترجمتها العربية قريباً عن دار الساقي. له بالفرنسية أيضاً كتاب **جبران** الذي لاقى رواجاً كبيراً وتُرجم إلى لغات عديدة منها العربية. أشرف على **الأعمال الكاملة** لجبران الصادرة باللغة الفرنسية. ونال جوائز عدّة في لبنان وفرنسا.




ISBN 978-1-85516-279-2
9 781855 162792 >